

الشفاء بتعريف حقوق المصطفى

القاضي عياض ج ١

[١]

الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للعلامة القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي ٥٤٤ هـ مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء للعلامة أحمد بن محمد بن محمد الشمى ٨٧٣ الجزء الأول دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

[٢]

جميع حقوق إعادة الطبع محفوظة للناشر ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م دار الفكر بيروت لبنان { المكاتب: البناية المركزية - هاتف: ٢٤٤٧٣٩ - ص ب: ٧٠٦١ / ١١ المطابع والمعمل: حارة حريك - شارع عبد النور - هاتف: ٣٩٠٦٦٣ (٨٣٨٢٠٢ - ٨٣٧٨٩٨) برقيا: فكسى. تلكس: ٤١٣٩٢ فكر LE FIKR ٤١٣٩٢

[١]

كلمة الناشر: بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين. أما بعد: فلما كان نشر العلم فضيلة وكانت السنة الشريفة من أجل علوم الشريعة وأرفعها قدرا) وكان على المسلم أن يتخذ من أقوال وأفعال رسول الله (ص) نورا وضياء ينير له الطريق لفهم دينه وأحكامه، ومحركا لسلوكه في عاجلته وذخرا لأخرته، فقد اهتمت دار الفكر منذ تأسيسها بطبع كتب السنة المحمدية والحديث الشريف، مثل: صحيح البخاري وشرحه فتح الباري وصحيح مسلم وشروحاته وتصنيفاته، والموطأ وكافة كتب الصحاح وشروحا إلى جانب أعظم تفاسير القرآن الكريم وأنفعها مثل: الدر المنثور في التفسير بالمأثور ومعالم التنزيل في التفسير والتأويل للبيهقي، والتفسير الكبير للفخر الرازي، وجامع البيان عن تأويل أي القرآن للطبري وغير ذلك من أمهات الكتب في التفسير وعلوم القرآن والحديث والفقه على مختلف المذاهب والتاريخ واللغة وسائر العلوم والفنون الإسلامية. وتقدم اليوم احياء للسنة المحمدية كتاب: شفاء القاضي عياض المسمى: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى في طبعة جديدة ومصححة ومتقنة، وإتماما للفائدة أضفنا للكتاب كحاشية له. درة مفيدة هي: حاشية العلامة الشمى المسماة: مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء التي لم تطبع قبل الآن. وفيما يلي نبذة يسيرة للتعريف بمؤلفي الكتاب والحاشية:

[٢]

ترجمة القاضي عياض (١) هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي، الإمام العلامة، يكنى أبا الفضل، ستنى الدار

والميلاد: أندلسى الأصل. قال ولده محمد: كان أجدادنا في القديم بالأندلس، ثم انتقلوا إلى مدينة فاس وكان لهم استقرار بالقيروان لا أدري قبل حلولهم بالأندلس أو بعد ذلك. وانتقل عمرو إلى سبتة بعد سكنى فاس. وكان القاضى أبو الفضل إمام وقته في الحديث وعلومه، عالما بالتفسير وجميع علومه، فقيها أصوليا عالما بالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأسابهم، بصيرا بالأحكام، عاقدا للشروط، بصيرا حافظ لمذهب مالك رحمه الله تعالى، شاعرا مجيدا ويا نا من علم الأدب، خطيبا بليغا صبورا حلما جميل العشرة، جوادا سمحا كثير الصدقة، دؤوبا على العمل، صلبا في الحق. رحل إلى الأندلس سنة تسع وخمسمائة طالبا العلم، فأخذ بقرطبة عن القاضى أبى عيد الله محمد بن على بن حمدين، وأبى الحسين بن سراج، وعن أبى محمد بن عتاب وغيرهم وأجاز له أبو على الغساني، وأخذ بالمشرق عن القاضى أبى على حسين بن محمد الصدفي وغيره، وعنى بقاء الشيوخ والأخذ عنهم، وأخذ عن أبى عيد الله المازينى: كتب إليه يستجيزه، وأجاز له الشيخ أبو بكر الطرطوشى. ومن شيوخه. القاضى أبو الوليد بن رشد. قال صاحب الصلة البشكوالية: وأظنه سمع عن أبى زيد، وقد إجتمع له من الشيوخ بين من سمع منه وبين من أجاز له مائة شيخ وذكر ولده محمد منهم: أحمد بن بقى، وأحمد بن محمد بن محمد ابن مكحول، وأبو الطاهر أحمد بن محمد السلفي، والحسن بن محمد بن سكره، والقاضى أبو بكر بن العربي، والحسن بن على بن طريف، وخلف بن إبراهيم بن النحاس، ومحمد بن أحمد بن الحاج القرطبي، و عبد الله بن محمد الخشنى وغيرهم ممن يطول ذكرهم.

(١) نقلت هذه الترجمة من كتاب الديباج الذهب في معرفة أعيان علماء المذهب للعلامة برهان الدين ابن فرحون المالكي. (*)

[٢]

قال صاحب الصلة: وجمع من الحديث كثيرا وله عناية كبيرة به واهتمام بجمعه وتقييده وهو من أهل التفنن في العلم واليقظة والفهم، وبعد عودته من الأندلس أجله أهل سبتة للنظرة عليه في المدونة وهو ابن ثلاثين سنة أو ينيف عنها، ثم أجلس للشورى ثم ولى قضاء بلده مدة طويلة حمدت سيرته فيها، ثم نقل إلى قضاء غرناطة في سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة ولم يطل أمره بها، ثم ولى قضاء سبتة ثانيا. قال صاحب الصلة: وقدم علينا قرطبة فأخذنا عنه بعض ما عنده. قال الخطيب: وبنى الزيادة الغربية في الجامع الأعظم وبنى في جانب المينا الراتبة الشهيرة وعظم صيته. ولما ظهر أمر الموحدين بادر إلى المسابقة بالدخول في طاعتهم ورجل إلى لقاء أميرهم بمدينة سلا، فأجزل صلته، وأوجب بره، إلى أن اضطربت أمور الموحدين عام ثلاثة وأربعين وخمسمائة فتلاشت حاله، ولحق بمراكش مشردا به عن وطنه فكانت بها وفاته. وله التصانيف المفيدة البديعة منها كمال المعلم: في شرح صحيح مسلم، ومنها كتاب الشفا: بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم أبدع فيه كل الإبداع، وسلم له أكفاؤه كفاءته فيه ولم ينازعه أحد في الانفراد به ولا أنكروا مزية السبق إليه بل تشوفوا للوقوف عليه، وأنصفوا في الاستفادة منه، وحمله الناس عنه، وطارت نسخه شرقا وغربا، وكتاب مشارق الأنوار في تفسير غريب حديث الموطأ والبخاري ومسلم وضبط الألفاظ والتنبيه على مواضع الأوهام والتصحيحات وضبط أسماء الرجال وهو كتاب لو كتب بالذهب أو وزن بالجوهر لكان قليلا في حقه، وفيه أنشد بعضهم: مشارق أنوار تبتد بسبتة * ومن عجب كون المشارق بالغرب وكتاب التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة: جمع فيه غرائب من ضبط الألفاظ وتحرير المسائل، وكتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة

أعلام مذهب مالك وكتاب الإعلام بحدود قواعد الإسلام، وكتاب الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع، وكتاب بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد، وكتاب الغنيمة في شيوخه، وكتاب المعجم في شيوخ ابن سكره، وكتاب نظم البرهان على حجة حزم الأذان، وكتاب مسألة الأهل المشروط بينهم التزاور، ومما لم يكمله: المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان، وكتاب العيون الستة في أخبار سبته، وكتاب غنية الكاتب وبغية الطالب في الصدور

[٤]

والترسل، وكتاب الأجوبة المحيرة على الأسئلة المتخيرة، وكتاب أجوبة القرطبيين، وكتاب أجوبته عما نزلت في أيام قضائه من نوازل الأحكام في سفر، وكتاب سر السراة في أدب القضاة، وكتاب خطبه وكان لا يخطب إلا بإنشائه، وله شعر كثير حسن رائع فممنه قوله: يا من تحمل عني غير مكترث * لكنه للضنى والسقم أوصى بى تركتني مسهام القلب ذا حرق * أجا جوى وتباريح وأوصاب أراقب النجم في جنح الدجى سمرا * كأننى راصد للنجم أو صابى وله رحمة الله تعالى: الله يعلم أنى منذ لم أركم * كطائر خانه ريش الجناحين ولو قدرت ركبت الريح نحوكم * فإن بعدكم عني جنى حينى وله من أبيات: إن البخيل بلحظه أو لفظه * أو عطفه أو رفته لبخيل وله في خامات الزرع بينها شقائق النعمان هبت عليها أرياح: انظر إلى الزرع وخاماته * تحكى وقد ماست أمام الرياح كتيبة خضراء مهزومة * شقائق النعمان فيها جراح وله غير ذلك. كان مولد القاضى عياض بسبته في شهر شعبان سنة ست وتسعين وأربعمائة، وتوفي بمراكش في شهر جمادى الأخيرة وقيل في شهر رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وقيل إنه مات مسموماً سمه يهودى. ودفن رحمه الله تعالى بباب إيلان داخل المدينة. و (عياض) بكسر العين المهملة وفتح الياء المثناة التحتية وبعد الألف ضد معجمة و (اليحصى) بفتح الياء المثناة التحتية وسكون الحاء المهملة وضم الصاد المهملة وفتحها وكسرهما وبعدها ياء موحدة نسبة إلى يحصب بن مالك قبيلة من حمير، وسبته مدينة مشهورة، وغرناطة: مدينة بالأندلس وهى بفتح العين المعجمة وسكون الراء المهملة ثم نون مفتوحة بعدها ألف وبعد الألف طاء مهملة ثم هاء ويقال فيها أغرناطة بألف قبل الغين.

[٥]

ترجمة العلامة الشمني (١) صاحب الحاشية هو أحمد بن محمد بن محمد حسن بن على بن يحيى بن محمد التقى السكندرى المولد القاهرى المنشأ الحنفى ويعرف بالشمني بضم المعجمة والميم ثم نون مشددة نسبة لمزرعة ببلاد المغرب أو لقرية بها ولد في العشر الأخير من رمضان سنة إحدى وثمانمائة واشتغل أولاً مالكيًا ثم تحول حنفياً لكون البساطى فيما قيل قدم عليه بعض من هو دونه من رفقاته وبرع في الفقه والأصليين والعربية والمعاني والبيان والمنطق والصرف والهندسة والهيئة والحساب وسمع الحديث على جماعة وبحث على شيخنا دروساً من شرح ألفية العراقي ولازمه بعد والده فأحسن إليه وساعده في استخلاص مبلغ ممن وثب عليه في بعض وظائف أبيه وزاد إقبالا عليه حين وقع السؤال عن حكمة الترقى من الذرة إلى الحبة إلى الشعيرة في حديث ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلق فليخلقوا ذرة الحديث. وأجاب التقى بديهته بأن صنع الأشياء الدقيقة فيه صعوبة والأمر بمعنى التعجيز فناسب التذلى من الأعلى إلى الأدنى فاستحسنه شيخنا فزاد في إكرامه والتعريف بفضيلة وتصدى للإقراء، وصنف حاشية على المغنى لخصها من

حاشية الدماميني وزاد عليها أشياء نفيسة سماها المنصف من الكلام على مغنى ابن هشام، وتعليقا لطيفا في ضبط ألفاظ الشفاء لخصه من شرح البرهان الحلي وأتى بتتمات يسيرة فيها تحقيقات دقيقة سماه (مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء) وغير ذلك وأقرأ في العقلية بدون ملاحظة كراس ولا حاشية وقد اتفق دخول اثنين من فضلاء العجم الجمالية فوجداه يقرئ في المطول بدون كراس فجلسا عنده وبحثا معه واستشكلا عليه فلم ينقطع منهما بل أفحمهما بحيث امتلأت أعينهما من جلالته وصرحا بعد انفصالهما عنه لبعض أخصائه بأنهما لم يظنا أن في أبناء العرب من ينهض فحكاه للشيخ فتبسم وقال بذلك قد أقرأته اثني عشر مرة بغير مطالعة وكان إماما علامة سنيا متين الديانة ممن ينسب إلى التصوف لم يتدنس بما يحط مقداره وقد عم النفع به حتى بقى جل الفضلاء من سائر المذاهب من أهل مصر بل وغيرها من تلامذته

من البدر الطالع المنتخب من الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. (*)

[٦]

واشتدت رغبتهم في الأخذ عنه وتزاحموا عليه وهرعوا صباحا ومساء إليه، وامتدحه من الشعراء: الشهاب المنصوري وغيره كل ذلك من الشهامة وحسن الشكالة والأبهة وبشاشة الوجه ومحبة الحديث وأهله وقد حضرت كثيرا من دروسه وتقنعه بخلوة في الجمالية يسكنها وأمة سوداء لقضاء وطره وغير ذلك وقد استقر به قنابى الجركسى في خطابة تربته ومشیخة الصوفية بها وتحول إليها ولم يكن يحابى في الدين أحدا بحيث التمس منه بعض الشبان من ذوى البيوت إذنه له في التدريس بعد أن أهدى إليه شيئا فبادر لرد الهدية وامتنع من الإذن وربما كتب فيما لا يرتضيه لقصد جميل ككتابته على كراس من تفسير البقاعي الذى سماه المناسبات فإنه قال لى حين عاتبتة على ذلك إنما كتبت لصونه عما رام تمریغا أن يوقعه به ووالله ما طالعته وليس هو عندي في زمرة العلماء ولم تكن له رغبة في الكتابة على الفتوى مع سؤالهم له ولا في حضور عقود المجالس وقد خطبه الشهاب ابن العینی أيام ضخامته للحضور عنده وأج عليه وكان قرره متصدرا فيما جده بمدرسة جده فلم يجد بدا من إجابته وجاء العبادي ليجلس فوقه بينه وبين الحنفي فما مكنه الشهاب وحول العبادي إلى جهة يمينه، بل خطب لقضاء الحنفية فأبى بعد مجئ كاتب السر إليه وإخباره بأنه إن لم يجب نزل إليه السلطان فصمم وقال الاختفاء ممكن فقال له كاتب السر فيماذا تجيب إذا سألك الله تعالى عن امتناعك بعد تعيينه عليك فقال يفتح الله تعالى حينئذ بالجواب ولم يزل على وجهته إلى أن تغل ومات في ليلة الأحد سابع عشر ذى الحجة سنة اثنين وسبعين وثمانمئة بمنزل سكنه من التربة المشار إليها وصلى عليه عند بابها ودفن بها وخلف ذكرين وأنثى من جارية وألف دينار وحفظت جهاته لولديه رحمه الله تعالى وإيانا.

[٧]

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صلى على محمد وآله وسلم. قال الفقيه القاضى الإمام الحافظ أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض البيهقي رحمه الله عليه: الحمد لله المنفرد باسمه الأسمى، المختص بالعرز الأحمى، الذى ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى، الظاهر لا تخيلا ولا وهما، الباطن بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد

حمد الله على إفضاله. وصلواته على نبيه محمد وآله، فيقول الفقير إلى الله تعالى: أحمد بن محمد بن محمد بن حسن الشمني، ختم الله بالسعادة أعماله، وجعل الجنة منقلبه ومآله: قد يسر الله تعالى عند إقرائني للشفاء شيئا من تفسير مفرداته، ونبذا من فتح مغلقاته، وحل مشكلاته، فجمعت ذلك نفعاً لطالبيه، وإعانة لمحصليه وقارئيه، وسميته بمزيل الخفاء عن الفاظ الشفاء، ومن الله أطلب التوفيق، والهداية إلى سواء الطريق. (قوله المختص) أي المنفرد والممتاز (قوله ليس دونه منتهى) في الصحاح دون نقيض فوق وهو تقصير عن الغاية، ويقال هذا دون ذلك أي أقرب منه انتهى. والمعنى هنا أنه تعالى ليس في جهة وحيز، ولا على مسافة وامتداد لأن كل ذي جهة ومسافة للقرب منه نهاية، وليس للقرب منه تعالى نهاية، فليس في جهة، فهو من باب نفي الشيء بنفي لازمه (قوله ولا ورائه مرمى) قال ابن الأثير في النهاية: أي ليس بعد الله لطالب مطلب، فإليه انتهت العقول فليس وراء معرفته والإيمان به غاية تقصد. والمرمى في الأصل: الغرض الذي ينتهي إليه سهم الرامي (قوله الظاهر) أي بالدلالة الدالة على وجوده قطعاً وبقينا لا تخيلاً ووهما (قوله الباطن) أي بحقيقته فلا تدرك كنهه العقول. (*)

[٢]

تقدسا لا عدما، وسع كل شئ رحمة وعلما، وأسبغ على أوليائه نِعما عما، وبعث فيهم رسولا من أنفسهم أنفسهم عربا وعجما، وأزكاهم محتدا ومنمى، وأرجحهم عقلا وحلما، وأوفرهم علما وفهما، وأقواهم يقينا وعزما، وأشدهم بهم رافة ورحما، زكاه روحا وحسما، وحاشاه عيبا ووصما وأتاه حكمة وحكما، وفتح به أعينا عميا وقلوبا غلغا وأدانا صما، فأمن به وعززه ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسما، وكذب به وصدف عن آياته من كتب الله عليه الشفاء حتما،

(قوله تقدسا) أي تنزهها وتعاليا (قوله عما) بضم المهملة وتشديد الميم جمع عميمة أي تامة يقال نخلة عميمة ونخل عم إذا كانت طويلا وامرأة عميمة تامة الغوام والخلفة (قوله من أنفسهم أنفسهم) الأول بضم الفاء جمع نفس بسكون الفاء، والثاني بفتحها من النفاسة أي أعلاهم وأشرفهم (قوله عربا وعجما) العرب بضم المهملة وسكون الراء ويفتحهما جيل من الناس وهم أهل الأمصار، والأعراب منهم سكان البادية خاصة والعجم بضم المهملة وسكون الجيم ويفتحهما خلاف العرب (قوله وأزكاهم) أي أظهرهم (قوله محتدا) هو بميم مفتوحة فمهملة ساكنة فمثناة فوقية مكسورة فدال مهملة: الأصل والطبع كذا في القاموس (قوله ومنمى) هو بميم مفتوحة فنون ساكنة مصدر ميمي بمعنى النمو (قوله وأوفرهم) أي أزيدهم (قوله رافة) هي أشد الرحمة (قوله ورحما) هو بضم الراء فسكون المهملة الرحمة قال الله تعالى (وأقرب رحما) (قوله وحاشاه عيبا ووصما) يقال حاشيته بمعنى استثنائه والمعنى أنه تعالى استثناه وأخرجه من العيب والوصم أي العار (قوله وأتاه) بمد الهمزة أي أعطاه (قوله حكمة وحكما) الحكمة علم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق والحكم بضم المهلة القضاء (قوله وعززه) بمهملة مفتوحة فزاي مشددة فراء أي وقره وعظمه (قوله وصدف) بمهلتين مفتوحتين ففاء: أي أعرض (قوله حتما) أي لازما (*)

[٢]

(ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى) صلى الله عليه وسلم صلاة تنمو وتنمى، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. (أما بعد) أشرق الله قلبي وقلبك بأنوار اليقين، ولطف لي ولك بما لطف بأوليائه المتقين: الذين شرفهم الله بنزل قدسه، وأوحشهم من الخليفة بأنسه، وخصهم من معرفته، ومشاهدة عجائب

(قوله ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى) أي من كان في الدنيا لا يبصر رشده كان في الآخرة لا يرى طريق النجاة، وقيل أعمى الثاني للتفصيل ولذلك عطف عليه أضل وأمال الأول ولم يمله أبو عمر ويعقوب لأن أفعل التفضيل تاممه بمن فكانت ألفه في حكم المتوسط كما في أعمالهم (قوله تنمو) كذا في غالب النسخ. وفي بعضها تنمى بفتح المثناة الفوقية وكسر الميم (قوله تنمى) بضم المثناة الفوقية وفتح الميم في الصحاح: نمى المال وغيره ينمى نماء وربما. قالوا ينمو نمواً وأنماه الله قال الكسائي ولم أسمعه بالواو إلا من أخوين من بنى سليم ثم سألت عنه بنى سليم فلم يعرفوه بالواو والمعنى أنها تزيد عدداً ويزيدها الله نواباً. (قوله أما بعد) ذكر النووي في باب الجمعة من شرح مسلم أنه اختلف العلماء في أول من تكلم بأما بعد: فقيل داود عليه السلام وقيل يعرب بن قحطان وقيل قيس ابن ساعدة وقيل بعض المفسرين أو كثير منهم إنه فصل الخطاب الذي أوتيته داود وقال المحققون فصل الخطاب: الفصل بين الحق والباطل انتهى، وفي الكشف ويدخل فيه يعنى في فصل الخطاب أما بعد فإن المتكلم إذا أراد أن يخرج إلى الغرض المسوق إليه فصل بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله أما بعد انتهى. وفي غريب مالك لدار قطني بسند ضعيف أن يعقوب عليه السلام لما جاءه ملك الموت قال كان من جملة كلامه أما بعد فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء وهذا يدل على أن أول من تكلم به يعقوب عليه السلام (قوله أشرف) بالمعجمة والقاف أي أضاء (قوله ولطف لى) في الصحاح اللطف من الله التوفيق والعصمة وفي المجمل: اللطف من الله الرأفة والرفق (قوله ينزل قدسه) النزول بضم النون والزاى الطعام الذى يهيا للضيف. (*)

[٤]

ملكوته وأثار قدرته: بما ملأ قلوبهم حبرة، ووله عقولهم في عظمته حيرة، فجعلوا همهم به واحداً، ولم يروا في الدارين غيره مشاهداً، فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون، وبين أثارى قدرته وعجائب عظمته يترددون، وبالانقطاع إليه والتوكل عليه يتعززون، لهجين بصادق قوله قل اللهم ثم ذرهم في خوضهم يلعبون، فإنك كررت على السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه الصلاة والسلام، وما يجب له من توفير وإكرام، وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر، أو قصر في حق منصبه الجليل قلامه ظفر، وأن أجمع لك ما لأسلافنا وأئمتنا في ذلك من مقال، وأبينه بتنزيل صور وأمثال، فاعلم أكرمك الله أنك حملتني من ذلك أمراً إمرأ، وأرهقتني فيما نديتني إليه عسراً، وأرقيتني بما كلفتنني مر تقى صعباً، ملأ قلبى رعباً، فإن الكلام في ذلك يستدعى تقدير

قوله ملكوته) الملكوت فعلوت من الملك (قوله ملأ قلوبهم حبرة) الحبرة بفتح المهملة ويسكون الموحدة السرور، قال الله تعالى (فهم في روضة يحرون) أي ينعمون ويسرون (قوله في عظمته حيرة) الحيرة بالمهملة والمثناة التحتية والراء: مصدر حار يحار (قوله قلامه ظفر) القلامه بضم القاف: ما سقط من الظفر والعرب تكفى به عن الشيء الحقيق. قال أبو البقاء: الجمهور على ضم الطاء والفاء من ظفر ويقراً بإسكان الفاء، ويقراً بكسر الطاء وإسكان الفاء (قوله أمراً إمرأ) الأول بفتح الهمزة بمعنى شئ والثانى بكسرها بمعنى شديد وقوله تعالى (لقد جنت شيئاً إمرأ) أي منكراً ويقال عجبا كذا في الصحاح (قوله وأرهقتني) في الصحاح أرهقه عسراً أي كلفه إياه (قوله وأرقيتني) أي أضعفتني. (*)

[٥]

أصول، وتحرير فصول، والكشف عن غوامض ودقائق، من علم الحقائق، مما يجب للنبي ويضاف إليه، أو يمتنع أو يجوز عليه، ومعرفة النبي والرسول والرسالة والنبوة، والمحبة والخلة وخصائص هذه الدرجة العلية، وههنا مهامه فيح تحار فيها القطا، وتقصر بها الخطا، ومجاهل تضل فيها الأحلام إن لم تهتد بعلم علم ونظر سديد) ومداحض تزل بها الأقدام إن لم تعتمد على توفيق من الله وتأييد، لكنى لما رجوته لى ولك في هذا السؤال والجواب، من نواب وثواب، بتعريف قدره الجسيم، وخلقه العظيم، وبيان خصائصه التى لم تجتمع قبل في مخلوق، وما يبدان الله تعالى به من حقه الذى هو أرفع الحقوق (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً)

(قوله مهامه) جمع مهمه بميمين مفتوحتين بينهما هاء ساكنة وفي آخره هاء وهى المفازة (قوله فيح) بكسر الفاء فالمثناة التحتية الساكنة فالمهملة جمع فيحاء بفتح الفاء والمد بمعنى واسعة (قوله القطا) بالقاف والهملة والقصر جمع قطاة؛ طائر يضرب به المثل في الهداية قال ابن ظفر القطا يترك فراخه ثم يطلب الماء من مسيرة عشرة أيام وأكثر فيرده فيما بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ثم يرجع فلا يخطئ لا صادرا ولا واردا (قوله ومجاهل) بفتح الميم جمع مجهل وهو المفازة لا علامة فيها (قوله تضل) بفتح الأول وكسر الثاني أي تضيع (قوله بعلم) بفتحين العلامة والجبل (قوله ومداحض) جمع مدحض اسم مكان من الدحض وهو الزلق (قوله لما رجوته) بكسر اللام وتخفيف الميم وكذلك ما عطف عليه من قوله ولما أخذ الله، وقوله لما حدثنا، وكل من اللامات الثلاث متعلق بمحذوف مؤخر أي لهذه الأمور الثلاثة عزمت على ما ذكرت على السؤال فيه فبادرت (قوله الجسيم) يقال جسم الرجل إذا عظم. (*)

[٦]

ولما أخذ الله تعالى على الذين أوتوا الكتاب لتبينه للناس ولا تكتُمونه، ولما حدثنا به أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه، قال حدثنا الحسين بن محمد حدثنا أبو عمر النمري حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن حدثنا أبو بكر محمد بن بكر حدثنا سليمان ابن الأشعث حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا حماد أخبرنا علي بن الحكم عن عطاء عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة، فبادرت إلى نكت سافرة عن وجه الغرض، مؤديا من ذلك الحق المفترض، اختلستها على استعجال، لما المرء بصدده من شغل البدن والبال، بما قلده من مقاليد المحنة التى ابتلى بها

(قوله النمري) بفتح النون والميم نسبة إلى نمر بفتح النون كسر الميم أي قبيلة، فتحوا ميمه في النسبة كراهية توالى الكسرات كذا في الصحاح (قوله أبو بكر) هو ابن داسة بمهملتين أحد رواة أبي داود (قوله سليمان بن الأشعث) هو الحافظ أبو داود صاحب السنن كانت وفاته يوم الجمعة سادس عشر شوال سنة خمس وسبعين ومائتين وكان مولده فيما حكاه أبو بيده الأجرى سنة ثنتين ومائتين (قوله حدثنا حماد) هو أبو سلمة بن دينار أحد الأعلام (قوله من سئل عن علم) المراد علم يلزم ويتعين تعليمه (قوله فبادرت) عطف على ما قدرناه أنفا متعلقا للامات الثلاث (قوله والنكت) بضم النون وفتح الكاف وبالمثناة الفوقية جمع نكتة بضم النون وسكون الكاف وهى كل نقطة من بياض في سواد وعكسه، ونكت الكلام: لطائفه ودقائقه التى تفتقر إلى تفكر ونكت في الأرض (قوله اختلستها) الاختلاس بالخاء المعجمة: اختطاف الشئ بسرعة (قوله والبال) بالموحدة القلب والحال، والمراد الأول. (*)

[٧]

فكادت تشغل عن كل فرض ونفل، وترد بعد حسن التقويم إلى أسفل سفلى، ولو أراد الله بالإنسان خيرا لجعل شغله وهمه كله، فيما يحمد غدا ولا يذم محله، فليس ثم سوى نضرة النعيم أو عذاب الجحيم، ولكن عليه بخويصته، واستنقاذ مهجته، وعمل صالح يستزيده، وعلم نافع يفيد أو يستفيد، جبر الله تعالى صدع قلوبنا، وغفر عظيم ذنوبنا، وجعل جميع استعدادنا لمعادنا، وتوفر دواعينا فيما ينجينا ويقربنا إليه زلفى، ويحظينا بمنه ورحمته. ولما نويت تقريبه، ودجت تبويبه، ومهدت تأصيله وخلصت تفصيله، وانحيت حصره

(قوله سفلى) هو بضم المهملة وكسرهما وسكون الفاء (قوله لجعل شغله وهمه كله) فيما يحمد غدا ولا يذم محله) بمعنى فيما يحمد بفعله واجبا كان أو نفلا أو فيما يذم

بتركه وهو الواجب وكل من يحمد ويذم مبنى للفاعل وفاعله مستتر فيه عائد على العبد في قوله ولو أراد بعيد خيرا والظاهر أن المراد بما يذم محله الحرام. فإن قيل: كيف يكون شغل العبد الذي يريد به خيرا في الحرام، أجيب بأن الشغل أعم من الشغل بالفعل والشغل بالترك فشغل العبد الذي يريد الله به خيرا فيما يحمد محله بفعله وشغله فيما يذم محله بتركه (قوله بخوبصة) بضم المعجمة وتشديد الصاد المهملة تصغير خاصة والمراد هنا نفسه أو الأمر الذي يختص به (قوله واستنقاذ) بالقاف والذال المعجمة أي تخلص، والمهجة الروح والدم (قوله ويحظينا) بضم المثناة التحتية وسكون المهملة وكسر المعجمة أي يفضلنا (قوله ولما نويت) لما هذه بفتح اللام وتشديد الميم (قوله ودرجت) بفتح الدال المهملة وتشديد الراء، وفي الصحاح: درجه إلى كذا واستدرجه. أي أدناه منه على التدرج (قوله وانتحيت) بالحاء المهملة بعدها مثناة تحتية بمعنى قصدت. (*)

[٨]

وتحصيله. ترجمته (بالشفا بتعريف حقوق المصطفى) وحصرت الكلام فيه في أربعة أقسام: (القسم الأول) في تعظيم العلي الأعلى، لقدّر هذا النبي قولاً وفعلًا، وتوجه الكلام فيه في أربعة أبواب: الباب الأول: في ثنائه تعالى عليه وإظهاره عظيم قدره لديه، وفيه عشرة فصول. الباب الثاني: في تكميله تعالى له المحاسن خلقًا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا، وفيه سبعة وعشرين فصلا. الباب الثالث: فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه الله به في الدارين من كرامته، وفيه اثنا عشر فصلا. الباب الرابع: فيما أظهره الله تعالى على يديه من الآيات والمعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات، وفيه ثلاثون فصلا. (القسم الثاني) فيما يجب على الأنام من حقوقه عليه الصلاة والسلام ويترتب القول فيه في أربعة أبواب: الباب الأول: في فرض الإيمان به ووجوب طاعته وإتباع سنته، وفيه خمسة فصول. الباب الثاني: في لزوم محبته ومناصحته، وفيه ستة فصول. الباب الثالث: في تعظيم أمره ولزوم توقيره وبره، وفيه سبعة فصول

[٩]

الباب الرابع: في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته، وفيه عشرة فصول. (القسم الثالث) فيما يستحيل في حقه صلي الله عليه وسلم وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الأمور البشرية أن يضاف إليه، وهذا القسم - أكرمك الله تعالى - هو سر الكتاب، ولباب ثمرة هذه الأبواب، وما قبله له كالقواعد والتمهيدات، والدلائل على ما نوره فيه من النكت البينات، وهو الحاكم على ما بعده، والمنجز من غرض هذا التأليف وعده، وعند التقصى لموهبته، والتفصى عن عهدته، يشرق صدر العدو اللعين، ويشرق قلب المؤمن باليقين، وتملاً أنواره جوانح صدره، ويقدر العاقل النبي حق قدره، ويتحرر الكلام فيه في بابين: الباب الأول: فيما يختص بالأمور الدينية ويتشبهت به القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا.

(قوله وعند التقصى لموهبته والتفصى عن عهدته) كلاهما بالصاد المهملة والأول بالقاف يقال استقصى فلان في المسألة وتقصى بمعنى والثاني بالقاف يقال تفصى عن كذا أي تخلص عنه (قوله يشرق) بفتح أوله وثالثه يقال شرق صدره بكذا بكسر الراء أي ضاق به حسداً (قوله ويشرق) بضم أوله وكسر ثالثه أي يضئ (قوله جوانح صدره) الجوانح جمه جانحة وهى الأضلاع التى تحت الترائب مما يلى الصدر كالضلع مما يلى الظهر، والترائب عظام الصدر ما بين الترقوة إلى السرة، كذا في الصحاح (قوله ويقدر) بفتح أوله وضم ثالثه. (*)

[١٠]

الباب الثاني: في أحواله الدنيوية وما يجوز طرده عليه من الأعراض البشرية، وفيه تسعة فصول. (القسم الرابع) في تصرف وجوه الأحكام على من تنقصه أو سبه صلى الله عليه وسلم، وينقسم الكلام فيه في بابين: الباب الأول: في بيان ما هو في حقه سب ونقص من تعريض أو نص وفيه عشرة فصول. الباب الثاني: في حكم شأنه ومؤذيه ومنتقصه وعقوبته وذكر استنابته والصلاة عليه ووراثته، وفيه عشرة فصول، وختمنه باب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسألة ووصله للباين اللذين قبله في حكم من سب الله تعالى ورسله وملائكته وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه، واختصر الكلام فيه في خمسة فصول، وبتمامها ينتجز الكتاب، وتتم الأقسام والأبواب، ويلوح في غرة الإيمان لمعة

(قوله وما يجوز طرده) قال ابن القطاع طراً على القوم طروا قدم وطرا طروا بلا هنز كذلك (قوله والصلاة عليه ووراثته وفيه عشرة فصول) كذا في الأصل وصوابه خمسة فصول لأننا لم نر فيما يأتي إلا خمسة فصول (قوله واختصر الكلام فيه في خمسة فصول) كذا في الأصل وصوابه عشرة فصول لأنه فيما يأتي ذكر عشرة (قوله ينتجز بالجيم والزاي مطاوع نجرت الحاجة قضيتها) (قوله في غرة الإيمان) الغرة في الأصل بياض في وجه الفرس فوق الدرهم والفرجة في وجه الفرس دون الدرهم ثم استعيرت الغرة للشرف والاشتهار حتى صار ذلك عند العرب على الحقيقة ويقال أيضا الأغر للأبيض. (*)

[١١]

منيرة أو في تاج التراجم درة خطيرة، تزيح كل لبس، وتوضح كل تخمين وحدس: وتشفى صدور قوم مؤمنين وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين، وبالله تعالى - لا إله سواه - أستعين. القسم الأول (في تعظيم العلى الأعلى لقدر النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلًا) قال الفقيه القاضى الإمام أبو الفضل وفقه الله تعالى وسدده: لاختفاء على من مارس شيئاً من العلم، أو خص بأدنى لمحة من الفهم: بتعظيم الله قدر نبينا صلى الله عليه وسلم وخصوصه إياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضب لزاماً: وتنويه من عظيم قدره بما تكل عنه الألسنة والأقلام، فمنها ما صرح به تعالى في كتاب: ونبه به على جليل

(قوله خطيرة) بمعجمة مفتوحة بعدها مهملة مكسورة أي ذات خطر وقدر (قوله تزيح) بالزاي والحاء المهملة أي تذهب واللبس الاختلاط (قوله تخمين وحدس) التخمين بالمعجمة القول بالحدس والحدس مصدر حدس بفتح الدال المهملة يحدث بكسرهما: قال شيئاً برأيه. (القسم الأول) (قوله لمحة) بفتح اللام هي النظرة الخفيفة (قوله لزاماً) أي لضابط استعير من زمام النعل وهو ما يشد به شسع النعل أو استعير من زمام الناقة وهو الخيط الذي يشد في البرة بضم الموحدة وفتح الراء الخفيفة وهي حلقة من نحاس تجعل في أنف البعير أو يشد في الخشاش بكسر الخاء المعجمة وبشنيين معجمتين بينهما ألف حلقة من حديد تجعل في أنف البعير. (*)

[١٢]

نصابه، وأثنى به عليه من أخلاقه وأدابه، وحضي العباد على التزامه وتقلد إيجابه: فكان جل جلاله هو الذى تفضل وأولى. ثم طهر وزكى، ثم مدح بذلك وأثنى، ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى، فله الفضل بدأ وعوداً، والحمد أولى وأخرى، ومنها ما أبرزه للعيان من خلقه على أتم وجوه الكمال والجلال، وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والأخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة والفضائل العديدة وتأييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات البينة: التى شاهدها من

عاصره، ورأها من أدركه، وعلمها علم يقين من جاء بعده، حتى انتهى علم حقيقة ذلك إلينا، وفاضت أنواره علينا: صلى الله عليه وسلم كثيرا * حدثنا القاضي الشهيد أبو علي الحسين بن محمد الحافظ قراءة مني عليه، قال حدثنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار وأبو الفضل أحمد بن خيرون، قالا حدثنا أبو يعلى البغدادي، قال حدثنا أبو علي السنجي، قال حدثنا محمد بن أحمد بن محبوب، قال حدثنا أبو عيسى بن سورة الحافظ. قال حدثنا إسحاق بن منصور،

(قوله نصابه) بكسر أوله أي منصبه (قوله من خلقه) هو بفتح المعجمة وسكون اللام (قوله الباهرة) أي العالية (قوله القاضي الشهيد) هو ابن سكرة الأندلسي (قوله أبو يعلى البغدادي) هو المعروف بزوج الحرة (قوله أبو علي السنجي) هو بكسر المهملة وسكون النون وبالجميم نسبة إلى سنح مرو (قوله ابن سورة) بفتح المهملة وسكون الواو وفتح الراء الترمذي الضريب صاحب الجامع: قيل ولد أكمه توفى بترمز سنة تسع وسبعين ومائتين قاله ابن ماكولا في الإكمان وترمز بفتح = (*)

[١٣]

حدثنا عبد الرزاق. أنبأنا معمر بن قتادة عن أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بانبراق ليلة أسرى به ملجما مسرجا، فاستصعب عليه، فقال له جبرئيل: أيمحمد تفعل هذا، فما ركبك أحد أكرم على الله منه؟ قال فافرض عرقا. الباب الأول في ثناء الله تعالى عليه وإظهاره عظيم قدره لديه أعلم أن في كتاب الله العزيز آيات كثيرة مفصحة بجميل ذكر

= المثناة من فوق وكسر الميم ويكسرهما ويضمهما قاله النووي في التهذيب في الكنى في أبي جعفر الترمذي (قوله عبد الرزاق) هو الحافظ ابن همام بن نافع للضغاني أحد الأعلام (قوله معمر) بفتح الميم وإسكان المهملة وفتح الميم وبالراء (قوله بالبراق) هو دابة فوق الحمار ودون البغل: ورد في الصحيح: سمى براقا لسرعته وقيل لشدة صفائه وقيل لكونه أبيض وقال المصنف لكونه ذا لونين من قولهم شاة براق إذا كان في خلال صوفها الأبيض طاقات سود وفي كتاب الاحتفال لابن أبي خالد في أسماء خيل النبي صلى الله عليه وسلم أن البراق دون البغل وفوق الحمار ووجهه كوجه الإنسان وجسده كجسد الفرس وقوائمه كقوائم الثور وذنبه كذنب الغزال لا ذكر ولا أنثى (قوله فاستصعب عليه) قيل استصعبه لبعده عهد بالأنبياء لطول الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم. وقيل لأنه لم يذلل قبل ذلك ولم يركبه أحد والقول الأول مبنى على أن الأنبياء عليهم السلام ركبه قبل النبي صلى الله عليه وسلم والقول الثاني مبنى على أنه لم يركبه أحد قبل النبي صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك خلاف وقيل استصعبه تبيها وزهوا بركوب النبي صلى الله عليه وسلم عليه (قوله فافرض) بفاءين بينهما راء ساكنة وبضاد معجمة مشددة أي جرى وسال وفاعله مستتر عائذ على البراق وعرقا تمييز. (*)

[١٤]

المصطفى صلى الله عليه وسلم وعد محاسنه وتعظيم أمره وتنويه قدره، اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبيان فحواه، وجمعنا ذلك في عشرة فصول: (الفصل الأول) فيما جاء من ذلك مجئ المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) الآية. قال السمرقندي: وقرأ بعضهم (من أنفسكم) بفتح الفاء. وقراءة الجمهور بالضم، قال الفقيه القاضي أبو الفضل وفقه الله تعالى: أعلم الله تعالى المؤمنين أو العرب أو أهل مكة أو جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب: أنه بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون صدقه وأمانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم: لكونه منهم، وأنه لم تكن في العرب قبيلة إلا ولها على رسول الله عليه وسلم ولادة أو قرابة، وهو

عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى (إلا المودة في القربى) وكونه من أشرفهم وأرفعهم وأفضلهم على قراءة الفتح هذه نهاية المدح، ثم وصفه بعد بأوصاف حميدة، وأثنى عليه بمحامد كثيرة:

(الفصل الأول) (قوله السمرقندي) هو الامام الجليل الحنفي أبو الليث المعروف بإمام الهدى: تفقه على أبي جعفر الهندواني وتوفى سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة ولهم أبو الليث السمرقندي متقدم يلقب بالحافظ وهو الفرق بينهما، ذكره السمعاني. (*)

[١٥]

من حرصه على هدايتهم ورشدهم وإسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم وأخراهم وعزته عليه ورأفته ورحمته بمؤمنيهم، قال بعضهم أعطاه اسمين من أسمائه رؤف رحيم ومثله في الآية الأخرى قوله تعالى (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) الآية وفي الآية الأخرى (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم) الآية وقوله تعالى (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم) الآية، وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (من أنفسكم) قال نسبا وصورا وحسبا ليس في آبائي من لدن آدم سفاح كلها نكاح قال ابن الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم فما وجدت فيهم سفاحا ولا شيئا مما كان عليه الجاهلية، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (وتقلبك في الساجدين) قال من نبى إلى نبى حتى

(قوله وشده) هو بالجر والتأنيث عطف على حرصه، وعزته عطف على شدة والضمير لما والجار والمجرور أعنى عليه متعلق بالشدة أو بالعزة على طريق التنازع، والضمير المجرور فيه وفي رأفته وفي رحمته للنبي صلى الله عليه وسلم كالضمير في حرصه (قوله يعنتهم) يضم أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه مخففا ويضم أوله وفتح ثانيه وكسر ثالثه مشددا. في القاموس: أعنته غيره وعنته شدد عليه وألزمه ما يصعب عليه أداؤه (قوله وحسبا) الحسب ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه (قوله سفاح) السفاح بكسر السين المهملة الزنا. (*)

[١٦]

أخرجتك نبيا، وقال جعفر بن محمد علم الله تعالى عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا أنهم لا ينالون الصفو من خدمته، فأقام بينه وبينهم مخلوقا من جلسهم في الصورة، ألبسه من نعته الرأفة والرحمة، وأخرجه إلى الخلق سفيرا صادقا، وجعل طاعته طاعته، وموافقته موافقته فقال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقال الله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) قال أبو بكر محمد بن طاهر: زين الله تعالى محمد صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق، فمن أصابه شئ من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما إلى كل محبوب، ألا ترى أن الله تعالى يقول (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال صلى الله عليه وسلم (حياتي خير لكم وموتي خير لكم) وكما قال عليه الصلاة والسلام (إذا أراد الله رحمة بامة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا) وقال

(قوله جعفر بن محمد) هو جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (قوله سفيرا) في الصحاح السفيير الرسول والمصلح بين الخلق (قوله قال أبو بكر بن طاهر) هو ابن مفوز بن أحمد بن مغور المعافى الشاطبي (قوله فكان كونه) أي وجود النبي صلى الله عليه وسلم فيكون مصدر كان التامة اسم لكان الناقصة ورحمة خير لها (قوله شمانله) الشمانل جمع شمال بكسر المعجمة وهو الخلق بضم الخاء وسكون اللام (قوله فرطا) بفتح الفاء والراء وهو الذي يتقدم الواردين فيهم ما يحتاجون إليه. (*)

[١٧]

السمرقندي (رحمة للعالمين) يعنى للجن والإنس، قيل لجميع الخلق: للمؤمن رحمة بالهداية، ورحمة للمنافق بالأمان من القتل، ورحمة للكافر بتأخير العذاب قال ابن عباس رضى الله عنهما: هو رحمة للمؤمنين والكافرين، إذ عوفوا مما أصاب غيرهم من الأمم المكذبة، وحكى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام (هل أصابك من هذه الرحمة شئ) قال: نعم، كنت أخشى العاقبة فأمنت لثناء الله عز وجل على بقوله (ذى قوة عند ذى العرش مكين. مطاع ثم أمين) وروى عن جعفر بن محمد الصادق في قوله تعالى (فسلام لك من أصحاب اليمين) أي بك إنما وقعت سلامتهم من أجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم، وقال الله تعالى (الله نور السماوات والأرض) - الآية قال كعب الأحبار وابن جبير: المراد بالنور الثاني هنا: محمد صلى الله عليه وسلم، وقوله تعالى (مثل نوره) أي نور محمد صلى الله عليه وسلم، وقال سهل بن عبد الله: المعنى الله هادى أهل السماوات والأرض، ثم قال مثل نور

(قوله كعب الأحبار) هو كعب بن مانع - بالثناة من فوق - ابن هينوع أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره وأسلم في خلافة أبي بكر وقيل في خلافة عمر رضى الله عنهما وكان قبل إسلامه على دين اليهود وسكن اليمن، توفى بحمص سنة اثنين وثلاثين (قوله وقال سهل بن عبد الله) يعنى التسترى، وتسر قال ابن خلكان: بلد من كورة الأهواز ويقول الناس لها (شستر) وبها قبر البراء بن مالك، وقال النووي - هو بمثنائين من فوق الأولى مضمومة والثانية مفتوحة بينهما سين مهملة - مدينة بخوزستان. (١ - ٢) (*)

[١٨]

محمد إذ كان مستودعا في الأصلاب كمشكاة صفتها كذا، وأراد بالمصباح قلبه، والزجاجة صدره: أي كأنه كوكب درى لما فيه من الإيمان والحكمة، يوقد من شجرة مباركة: أي من نور إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وضرب المثل بالشجرة المباركة، وقوله: يكاد زيتها يضىء: أي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت، وقد قيل في هذه الآية غير هذا والله أعلم، وقد سماه الله تعالى في القرآن في غير هذا الموضع نورا وسراجا منيرا فقال تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) وقال تعالى (إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا) ومن هذا قوله تعالى (ألم نشرح لك صدرك) إلى آخر السورة، شرح: وسع، والمراد بالصدر هنا: القلب، قال ابن عباس رضى الله عنهما: شرحه بنور الإسلام، وقال سهل: بنور الرسالة، وقال الحسن: ملأه حكما وعلمًا، وقيل معناه: ألم يطهر قلبك حتى لا يقبل الوسواس ؟ (ووضعنا عنك وزرك، الذى أنقض

(قوله كمشكاة) المشكاة الكوة في الحائط التى ليست بنافذة وقيل المراد بها في الآية القنديل وبالمصباح الفتيلة وقيل المراد بها معلاق القنديل وبالمصباح القنديل

وقيل المراد بها موضع الفتيلة وبالمصباح الفتيلة الموقودة (قوله تبيين) بفتح المثناة
الفوقية وكسر الموحدة أي تظهر (قوله وقال الحسن) هو ابن أبي الحسن البصري
مات سنة عشر ومائة. (*)

[١٩]

ظهرك): قيل ما سلف من ذنبك يعنى قبل النبوة، وقيل أراد ثقل أيام
الجاهلية، وقيل أراد ما أثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها. حكاه
الماوردي والسلمي، وقيل عصمناك ولولا ذلك لأثقلت الذنوب ظهرك.
حكاه السمرقندي، (ورفعنا لك ذكرك): قال يحيى بن آدم: بالنبوة،
وقيل إذا ذكرت ذكرت معنى في قول لا إله إلا الله محمد رسول الله،
وقيل في الأذان والإقامة، قال الفقيه القاضى أبو الفضل: هذا تقرير
من الله جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه
لديه وشريف منزلته عنده وكرامته عليه بأن شرح قلبه للإيمان
والهداية ووسعه لوعى العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل أمور
الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين
كله وحط عنه عهدة أعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل إليهم
وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعته ذكره وقرانه مع اسمه
اسمه، قال قتادة: رفع الله تعالى ذكره في الدنيا والآخرة، فليس
خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا يقول أشهد أن لا إله إلا الله
وأن محمدا رسول الله: وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه أن
النبي صلى

(قوله ثقل) هو بكسر المثناة وفتح القاف ضد الخفة، وبكسر المثناة وسكون القاف
واحد الأثقال، ويفتحهما متاع المسافر وحشمه (قوله السلمي) هو بضم المهملة
وفتح اللام أبو عبد الرحمن النيسابوري شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم
(قوله أعباء الرسالة) جمع عبء بكسر العين المهملة وسكون الموحدة بعدها همزة،
في الغاموس هو الحمل والثقل من أي شئ كان والعدل. (*)

[٢٠]

الله عليه وسلم قال: (أتانى جبريل عليه السلام فقال إن ربى وربك
يقول: تدرى كيف رفعت ذكرك؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: إذا
ذكرت ذكرت معنى) قال ابن عطاء: جعلت تمام الإيمان بذكرك معنى،
وقال أيضا: جعلتك ذكرا من ذكرى فمن ذكرك ذكركني. وقال جعفر بن
محمد الصادق: لا يذكرك أحد بالرسالة إلا ذكركني بالربوبية، وأشار
بعضهم في ذلك إلى مقام الشفاعة، ومن ذكره معه تعالى أن قرن
طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال تعالى (وأطيعوا الله والرسول)،
(وآمنوا بالله ورسوله) فجمع بينهما بواو العطف المشتركة، ولا يجوز
جمع هذا الكلام في غير حقه صلى الله عليه وسلم. حدثنا الشيخ
أبو على الحسين بن محمد الجيانى الحافظ فيما أجازنيه وقرأته على
الثقة عنه، قال حدثنا أبو عمر النمري قال حدثنا أبو محمد بن عبد
المؤمن حدثنا أبو بكر بن داسة حدثنا أبو داود السجزي حدثنا أبو
الوليد الطيالسي حدثنا شعبة عن منصور عن عبد الله ابن يسار عن
حذيفة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

(قوله قال ابن عطاء) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمى الزاهد
البغدادي أحد مشايخ الصوفية (قوله الجيانى) بالجيم المفتوحة والمثناة التحتية
المتشددة والنون: نسبة إلى بلد بالأنديس (قوله السجزي) بكسر المهملة وسكون
الجيم وكسر الزاى. قال ابن ما كولا هي نسبة إلى سجستان على غير قياس وهو
إقليم ذو مدائن بين خراسان والسند وكرمان. (*)

لا يقولن أحدكم ما شاء الله وشاء فلان، ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان، قال الخطابي: أرشدهم صلى الله عليه وسلم إلى الأدب في تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه، واختارها بتم التي هي للنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك، ومثله الحديث الآخر: أن خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصمها، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم (بئس خطيب القوم أنت، قم - أو قال - اذهب) قال أبو سليمان: كره منه الجمع بين الأسمين بحرف الكناية لما فيه من التسوية، وذهب غيره إلى أنه إنما كره له الوقوف على يعصمها. وقول أبي سليمان أصح لما روى في الحديث الصحيح أنه قال: ومن يعصمها فقد غوى، ولم يذكر الوقوف على يعصمها، وقد اختلف المفسرون وأصحاب المعاني في قوله تعالى (إن الله وملائكته

(قوله الخطابي) بفتح الخاء المعجمة وتشديد الطاء المهملة هو حمد بفتح المهملة وسكون الميم بعدها دال مهملة ابن إبراهيم بن خطاب الإمام الحافظ البستي والخطابي نسبة إلى جده ويقال إنه من نسل زيد بن الخطاب (قوله أن خطيبا خطب عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هو ثابت بن قيس بن شماس (قوله وقول أبي سليمان أصح) قال النووي: الصواب أن سبب النهي أن الخطب شأنها الإيضاح واجتناب الرمز ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا لتفهم لا كراهة الجمع بين الأسمين بالكتاب لأنه ورد في مواضع منها قوله عليه السلام أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما. (*)

يصلون على النبي) هل يصلون راجعة على الله تعالى والملائكة أم لا ؟ فأجازه بعضهم، ومنعه آخرون لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الآية: إن الله يصلى وملائكته يصلون، وقد روى عن عمر رضى الله عنه أنه قال: من فضيلتك عند الله أن جعل طاعتك طاعته فقد قال تعالى) من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقد قال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله) الأيتين، وروى أنه لما نزلت هذه الآية قالوا إن محمدا يريد أن نتخذه حنابا كما اتخذت النصارى عيسى، فأنزل الله تعالى (قل أطيعوا الله والرسول) فقرن طاعته بطاعته رغما لهم، وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في أم الكتاب (اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم) فقال أبو العالية والحسن البصري: الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار أهل بيته وأصحابه، حكاه عنهما أبو الحسن الماوردي، وحكى مكي عنهما نحوه وقال هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما، وحكى أبو الليث السمرقندي مثله عن أبي العالية في قوله تعالى

(قوله حنابا) في الصحاح: الحناب الرحمة: وقال ابن الأثير: الحناب العطف ومنه قول ورقة ابن نوفل حين كان يمر ببلال وهو يعذب لئن قتلتموه لأتخذنه حنابا (قوله رغما) بفتح الراء وسكون العين المعجمة أي غيظا (قوله فقال أبو العالية) هما اثنان تابعيان من أهل البصرة أحدهما الرياحي بكسر الراء والآخر البراء بفتح الواو وتشديد الراء. (*)

(صراط الذين أنعمت عليهم) قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح. وحكى الماوردي ذلك في تفسير (صراط الذين أنعمت عليهم) عن عبد الرحمان بن زيد. وحكى أبو عبد الرحمان السلمى عن بعضهم في تفسير قوله تعالى (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أنه محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل الإسلام، وقيل شهادة التوحيد، وقال سهل في قوله تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) قال نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم، وقال تعالى (والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) الآيتين: أكثر المفسرين على أن الذى جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم، قال بعضهم: وهو الذى صدق به، وقرئ صدق بالتخفيف، وقال غيرهم الذى صدق به المؤمنون، وقيل أبو بكر، وقيل على، وقيل غير هذا من الأقوال، وعن مجاهد في قوله تعالى (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) قال بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه. الفصل الثانى (في وصفه تعالى له بالشهادة وما يتعلق بها من الثناء والكرامة) قال الله تعالى (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) الآية، جمع الله تعالى له في هذه الآية ضرباً من رتب

[٢٤]

الأثرة، وجملة أوصاف من المدحة، فجعله شاهداً على أمته لنفسه بإبلاغهم الرسالة، وهى من خصائصه صلى الله عليه وسلم، ومبشراً لأهل طاعته، ونذيراً لأهل معصيته، وداعياً إلى توحيد عبادته، وسراجاً منيراً يهتدى به للحق * حدثنا الشيخ أبو محمد بن عتاب، حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد، حدثنا أبو الحسن القابسى، حدثنا أبو زيد المروزى، حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف، حدثنا البخاري، حدثنا محمد بن سنان، حدثنا فليح، حدثنا هلال عن عطاء بن يسار، قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأمينين، أنت عبدى ورسولى سميتك

(قوله الأثرة) بضم الأثرة وسكون المثلثة ويفتحهما: الاستبداد بالشئ والانفراد به. اسم، من استأثر بالشئ: استبد به (قوله المدحة) هو بكسر الميم الثنا والذكر الحسن (قوله ابن عتاب) بالمهملة والمثناة المشددة والباء الموحدة هو مسند الأندلس في زمانه عبد الرحمن القرطبي الأندلسى (قوله أبو القاسم حاتم) هو المعروف بالأطرابلسى (قول القابسى) هو الحافظ على بن محمد بن خلف المعافرى القروى وإنما قيل له القابسى لأن عمه كان يشد عمامته شدة أهل قابس (قوله فليح) بضم الفاء وفتح اللام بعدها باء ساكنة فحاء مهملة. هو ابن سليمان العدوى مولاهم (قوله وحرزاً) بالمهملة المكسورة فالراء الساكنة فالزاي: أي حفظاً (قوله للأمينين) أي للعرب لأن الكتابة عندهم قليلة والامى من لا يحسن الكتابة، نسبة إلى أمة العرب حين كانوا لا يحسنون الكتابة، أو لأم بمعنى أنه كما ولدته أمه. (*)

[٢٥]

المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء: بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح به أعينا عمياً، وأدانا صماً، وقلوبنا غلفاً) وذكر مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار، وفى بعض طرقه عن ابن إسحاق: ولا صخب في الأسواق ولا متزيل بالفحش: ولا قوال للخنا، أسدده لكل جميل، وأهب له كل خلق كريم، وأجعل السكينة لباسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة معقولة، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خلقه،

والعدل سيرته، والحق شريعته، والهدى إمامه، والإسلام ملته،
وأحمد اسمه، أهدى به بعد الضلالة، وأعلم به

(قوله ليس بفظ) أي بسئ الخلق (ولا غليظ) أي شديد القول (قوله ولا سخاب) بالسين المهملة والخاء المعجمة المشددة من السخب وهي لغة ربيعة في الصخب وهو رفع الصوت (قوله الملة العوجاء) يعني ملة إبراهيم لأن العرب عبرتها عن استقامتها فصارت كالعوجاء (قوله غلغا) بضم المعجمة وسكون اللام جمع أغلف وهو الشيء في غلاف وغشاء بحيث لا يوصل إليه (قوله ابن سلام) بتخفيف اللام لا غير هو الأنصاري الخزرجي كان اسمه في الجاهلية حصينا فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله (قوله ولا صخب) هو بالصاد المهملة والخاء المعجمة المكسورة من الصخب وهو رفع الصوت في السوق في لغة غير ربيعة (قوله للخنا) يفتح المعجمة والقصر: الفحش (قوله إمامه) بكسر الهمزة (قوله أهدى) يفتح الهمزة أي أرشد (قوله وأعلم) بضم الهمزة وتشديد اللام. (*)

[٣٦]

بعد الجهالة، ورفع به بعد الخمالة، وأسمى به بعد النكرة، وأكثر به بعد القلة، وأغنى به بعد العيلة، وأجمع به بعد الفرقة، وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء منشتنة وأمم متفرقة، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس). وفي حديث آخر: أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التوراة: (عبدى أحمد المختار، مولده بمكة، ومهاجره بالمدينة - أو قال طيبة - أمته الحمادون لله على كل حال، وقال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي) الآيتين، وقد قال تعالى (فيما رحمة من الله لنت لهم) الآية، قال السمرقندي: ذكرهم الله تعالى منته أنه جعل رسوله صلى الله عليه وسلم رحيمًا بالمؤمنين، رثوفاً، لين الجانب، ولو كان فظاً خشناً في القول: لتفرقوا من حوله، ولكن جعله الله تعالى: سمحاً، سهلاً، طليقاً، براً، لطيفاً: هكذا قاله الضحاك. وقال تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) قال

(قوله بعد الخمالة) في الصحاح: الخامل الساقط الذي لا نباهة له وقد حمل يخمل خمولا وفي أفعال ابن القطاع حمل خمولا: خفى ذكره (قوله وأسمى) بضم الهمزة وتشديد الميم (قوله وأغنى) بضم الهمزة وسكون المعجمة (قوله بعد العيلة هي يفتح المهملة الفجر (قوله سمحاً) يفتح السين المهملة وسكون الميم أي جواداً (قوله طليقاً) بسكون اللام أي منبسط الوجه متهلله، يقال طلق الرجل بالضم فهو طليق (قوله الطحاك) هو ابن مزاحم الهلالي الخراساني يروي عن أبي هريرة وابن عباس وابن عمر وأنس. (*)

[٣٧]

أبو الحسن القابسي: أبان الله تعالى فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل أمته بهذه الآية، وفي قوله في الآية الأخرى (وفى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس) وكذلك قوله تعالى (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد) الآية، وقوله تعالى (وسطاً) أي عدولاً خياراً، ومعنى هذه الآية: وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بأن جعلناكم أمة خياراً عدولاً لتشهدوا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام على أممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق، قيل إن الله جل جلاله إذا سأل الأنبياء: هل بلغتكم؟ فيقولون: نعم، فتقول أممهم: ما جاءنا من بشير ولا نذير، فتشهد أمة محمد صلى الله عليه وسلم للأنبياء، وبزكيتهم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الآية: إنكم حجة على كل من خالفكم، والرسول صلى الله عليه وسلم حجة عليكم، حكاه السمرقندي، وقال تعالى (وبشر

الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم) قال قتادة والحسن وزيد بن أسلم: قدم صدق هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم، وعن الحسن أيضا: هي مصيبتهم بنبيهم، وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم، هو شفيع صدق عند ربهم وقال سهل بن عبد الله التستري: هي سابقة رحمة أودعها في محمد صلى الله

[٢٨]

عليه وسلم وقال محمد بن على الترمذي: هو إمام الصادقين والصديقين: الشفيح المطاع، والسائل المجاب: محمد صلى الله عليه وسلم. حكاه عنه السلمى الفصل الثالث فيما ورد من خطابه إياه مورد الملاطفة والمبرة فمن ذلك قوله تعالى (عفا الله عنك لم أذنت لهم) قال أبو محمد مكي قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة: أصلحك الله، وأعزك الله. وقال عون بن عبد الله: أخبره بالعفو قبل أن يخبره بالذنب، حكى السمرقندى عن بعضهم أن معناه: عافاك الله يا سليم القلب لم أذنت لهم، قال ولو بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: لم أذنت لهم، لخيف عليه أن ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام، لكن الله تعالى برحمته أخبره بالعفو حتى سكن قلبه، ثم قال له: لم أذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب؟ وفى هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذى لب، ومن إكرامه إياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب، قال

(قوله محمد بن على الترمذي) هو الإمام الحافظ الزاهد المؤذن صاحب التصانيف الحكيم الترمذي (قوله عون) هو ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلى الكوفى الزاهد الفقيه يروى عن أبي هريرة وابن عباس وغيرهما (قوله قيل أن يخبره) بضم المثناة التحتية وسكون المعجمة وكسر الموحدة الخفيفة أو بفتح المعجمة وتشديد الموحدة، في الصحاح: أخبرته وخبرته بمعنى (قوله ولو بدأ) هو مهموز من الابتداء (قوله على ذى لب) اللب العقل (قوله نياط القلب) بكسر النون وتخفيف المثناة التحتية: عرف يعلق به القلب من الوتين إذا قطع مات صاحبه. (*)

[٢٩]

نفظويه: ذهب ناس إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الآية، وحاشاه من ذلك، بل كان مخيرا، فلما أذنت لهم أعلمه الله تعالى أنه لو لم يأذن لهم لقعدها لنفاقهم، وأنه لا حرج عليه في الإذن لهم. قال الفقيه القاضى وفقه الله تعالى: يجب على المسلم المجاهد نفسه ارائض بزمام الشريعة خلقه أن يتأذب بأداب القرآن في قوله وفعله ومعاناته ومحاوراته، فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة الآداب الدينية والدينية، وليتأمل هذه الملاطفة العجيبة في السؤال من رب الأرباب: المنعم على الكل، المستغنى عن الجميع ويستشير ما فيها من الفوائد وكيف ابتداء بالإكرام قبل العتب، وأنس بالعفو قبل ذكر الذنب إن كان ثم ذنب. وقال تعالى (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم

(قوله نفظويه) النجوى الواسطي قال ابن الصلاح أهل العربية يقولونه، ونظائره بواو مفتوحة مفتوح ما قبلها ساكن ما بعدها، ومن ينحوها نحو الفارسية يقولها بواو ساكنة مضموم ما قبلها مفتوح ما بعدها وبعدها هاء والتاء خطأ، سمعت الحافظ أبا العلاء يقول: أهل الحديث لا يحبون وبه أي يقولون نفظويه مثلا بواو ساكنة تأدبا من أن يقع في آخر الكلام وبه انتهى (قوله الرائض بزمام الشريعة) رضى المهر إذا ذلته وجعلته طوع إرادتك، والزمهم هنا مستعار للأحكام أي أحكام الشريعة (قوله ومحاوراته) هو بالحاء المهمله جمع محاورة وهى المجاورة (قوله هو عنصر) العنصر بضم الصاد

المهملة وفتحها: الأصل (قوله المنعم على الكل) في الصحاح وكل لفظه واحد ومعناه جمع، فعلى هذا تقول كل حضرت وكل حضروا على اللفظ مرة وعلى المعنى أخرى، وكل وبعض معرفتان ولم يجئ عن العرب بالألف واللام، وهو جائز لأن فيها معنى الإضافة أضيفت أم لم تصف انتهى. (*)

[٢٠]

شيئا قليلا) قال بعض المتكلمين: عاتل الله الأنبياء صلوات اللهم عليهم بعد الزلات، وعاتب نبينا صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه، ليكون بذلك أشد انتهاء ومحافضة لشرائط المحبة، وهذه غاية العناية، ثم انظر كيف بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر ما عتبه عليه وخيف أن يركن إليه. ففي أثناء عتبه براءته، وفي طي تخويفه تأمينه وكرامته، ومثله قوله تعالى (قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك) الآية. قال على رضى الله عنه: قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب مما جئت به، فأنزل الله تعالى (فإنهم لا يكذبونك) الآية. وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه: حزن، فجاءه جبرئيل عليه السلام فقال: ما يحزنك؟ قال: كذبتني قومي، فقال إنهم يعلمون أنك صادق، فأنزل الله تعالى الآية، ففي هذه الآية منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى له صلى الله عليه وسلم، وإلطافه في القول: بأن قرر عنده أنه صادق عندهم، وأنهم غير مكذبين له، معترفون بصدقه قولا واعتقادا، وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الأمين، فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب، ثم جعل

(قوله ما يحزنك) يقال حزنه وأحزنه (قوله منزع) بفتح الميم والزاي وهو ما يرجع إليه الرجل من أمره (قوله وإلطافه) بكسر الهمزة مصدر الطفه بكذا: بره به (قوله ارتماض) هو بالراء الساكنة والمثناة المكسورة والضاد المعجمة مصدر ارتماض الرجل من كذا: اشتد عليه وأقلقه. (*)

[٢١]

الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال تعالى (ولكن الظالمين بايات الله يجحدون) وحاشاه من الوصم، وطرقهم بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم، إذ الجحد إنما يكون ممن علم الشيء ثم أنكره كقوله تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) ثم عزاه وأنسه بما ذكره عن قبله ووعدته بالنصر بقوله تعالى (ولقد كذبت رسل من قبلك) الآية، فمن قرأ لا يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجحدونك كاذبا، وقال الفراء والكسائي: لا يقولون إنك كاذب، وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه، ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك إلى الكذب، وقيل لا يتعدون كذبك. ومما ذكر من خصائصه وبر الله تعالى به أن الله تعالى خاطب جميع الأنبياء بأسمائهم، فقال: يا آدم يا نوح يا إبراهيم يا موسى يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى، ولم يخاطب هو إلا: يا أيها الرسول، يا أيها النبي، يا أيها المزملي، يا أيها المدثر. الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره قال الله تعالى: لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون) اتفق أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه

(قوله من الوصم) أي من العيب (قوله عزاه) بتشديد الزاي: أي صبره. (*)

وسلم، وأصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال، ومعناه: وبقائك يا محمد، وقيل وعيشك، وقيل: وحياتك، وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف. قال ابن عباس رضى الله عنهما: ما خلق الله تعالى وما ذراً وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم. وما سمعت الله تعالى أقسم بحياة أحد غيره، وقال أبو الجوزاء: ما أقسم الله تعالى بحياة أحد غير محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أكرم البرية عنده، وقال تعالى (يس والقرآن الحكيم) الآيات، اختلف المفسرون في معنى (يس) على أقوال، فحكى أبو محمد مكي أنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لى عند ربي عشرة أسماء ذكر منها منها أن طه ويس إسمان له، وحكى أبو عبد الرحمان السلمى عن جعفر الصادق أنه أراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم، وعن ابن عباس (يس) يا إنسان أراد محمداً صلى الله عليه وسلم، وقال هو قسم وهو من أسماء الله تعالى وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا إنسان، وعن ابن الحنفية يس يا محمد وعن كعب يس قسم أقسم الله تعالى به قبل أن يخلق السماء والأرض بألفى عام يا محمد إنك لمن المرسلين،

(قوله أبو الجوزاء) هو بفتح الجيم فواو ساكنة فزاي فهمزة ممدودة: أوس بن عبد الله الربيعي البصري يروى عن عائشة وغيرها، وأما أبو الحوراء بالحاء المهملة والراء فراوي حديث القنوت (قوله الزجاج) هو أبو إسحاق إبراهيم النحوي، إليه ينسب عبد الرحمن الزجاجي صاحب الجمل. (*)

ثم قال (والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين) فإن قدر أنه من أسمائه صلى الله عليه وسلم وضح فيه أنه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم ويؤكد فيه القسم عطف القسم الآخر عليه وإن كان بمعنى النداء فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدأته أقسم الله تعالى باسمه وكتابه أنه لمن المرسلين بوحيه إلى عباده وعلى صراط مستقيم من إيمانه أي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق، قال النقاش: لم يقسم الله تعالى لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلا له. وفيه من تعظيمه وتمجيده على تأويل من قال إنه يا سيد ما فيه، وقد قال صلى الله عليه وسلم (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) وقال تعالى (لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد) قيل لا أقسم به إذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاة مكي، وقيل لا زائدة أي أقسم به وأنت به يا محمد حلال أو حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين، والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة، وقال الواسى أي يحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا وبركتك ميتا يعنى المدينة والأول أصح لأن السورة مكية وما بعده يصححه قوله تعالى (حل بهذا البلد) ونحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى (وهذا البلد الأمين) قال أمنها الله تعالى بمقامه فيها وكونه بها فإن كونه أمان حيث كان

(قوله قال النقاش) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلي البغدادي المقرئ المفسر. (١ - ٢) (*)

ثم قال تعالى (ووالد وما ولد) من قال أراد آدم فهو عام ومن قال هو إبراهيم وما ولد فهي إن شاء الله تعالى إشارة إلى محمد صلى الله عليه وسلم فتتضمن السورة القسم به صلى الله عليه وسلم في موضعين * وقال تعالى (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه) قال ابن عباس هذه الحروف أقسام أقسم الله تعالى بها، وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التستري: الألف هو الله تعالى واللام جبرئيل والميم محمد صلى الله عليه وسلم، وحكى هذا القول السمرقندي ولم ينسبه إلى سهل وجعل معناه الله أنزل جبريل على محمد بهذا القرآن لا ريب فيه، وعلى الوجه الأول يحتمل القسم أن هذا الكتاب حق لا ريب فيه ثم فيه من فضيلة قرآن اسمه باسمه نحو ما تقدم، وقال ابن عطاء في قوله تعالى (ق والقرآن المجيد) أقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله وقيل هو اسم للقرآن وقيل هو اسم لله تعالى وقيل جبل محيط بالأرض وقيل غير هذا، وقال جعفر بن محمد في تفسير (والنجم إذا هوى) إنه محمد صلى الله عليه وسلم وقال: النجم قلب محمد صلى الله عليه وسلم، هوى انشرح من الأنوار وقال انقطع عن غير الله وقال ابن عطاء في قوله تعالى (والفجر وليال عشر) الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لأن منه تفجر الإيمان.

[٢٥]

الفصل الخامس في قسمه تعالى جده له لتحقيق مكانته عنده، قال جل اسمه (والضحى والليل إذا سجى) السورة، اختلف في سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة في ذلك بكلام وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة. قال الفقيه القاضى وفقه الله تعالى: تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له وتنويهه به وتعظيمه إياه ستة وجوه: الأول القسم له عما أخبره به من حاله بقوله تعالى (والضحى والليل إذا سجى) أي ورب الضحى وهذا من أعظم درجات المبرة، الثاني بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله تعالى (ما ودعك ربك وما قلى) أي ما تركك وما أبغضك وقيل ما أهملك بعد أن اصطفاك، الثالث قوله تعالى (وللآخرة خير لك من الأولى) قال ابن إسحق أي مالك في مرجعك عند الله أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا، وقال سهل: أي ما ادخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك

(قوله فتكلمت امرأة) روى الحاكم في المستدرک في تفسير سورة الضحى أنها امرأة أبى لهب أم جميل بنت حرب أخت أبى سفيان بن حرب واسمها العوراء (قوله وحظوته بالحاء المهملة المضمومة والطاء المعجمة الساكنة من حظيت المرأة عند زوجها. واعلم أن كل اسم على فعلة لامة واو بعدها هاء التأنيس فإنه مثلث الفاء*)

[٣٦]

مما أعطيتك في الدنيا، الرابع قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة وأنواع السعادة وشتات الإنعام في الدارين والزيادة، قال ابن إسحق يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب في الآخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة، وروى عن بعض آل النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ليس آية في القرآن أرجى منها، ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل أحد من أمته النار، الخامس ما عده تعالى عليه من نعمه وقرره من آلائه قبله

في بقية السورة منه دايته إلى ما هداه له أو هداية الناس به على اختلاف التفاسير ولا مال له فأغناه بما آناه أو بما جعله في قلبه

(قوله بالفالج) هو بضم الفاء وسكون اللام، بعدها جيم: الفوز والظفر كالإفلاج (قوله عن بعض آله عليه السلام) هو علي بن أبي طالب ذكره الثعلبي في تفسيره (قوله ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل أحد من أمته النار) قيل ظاهر الآية مع هذه المقدمة يدل على أن أحدا من أمته صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار، والجواب أنه إنما يدل على ذلك لو كان حصول الإعطاء الموعود به في الآية قبل أن يدخل أحد من أمته النار ولم يقر دليل على ذلك بل جاز أن يكون بعده فإنه مستقبل في القيامة ولو سلم فتلك الدلالة متروكة الظاهر بالأدلة القائمة على أن بعض العصاة من أمته يدخلون النار ثم يخرجون منها لشفاعته صلى الله عليه وسلم (قوله من آياته) أي نعمه جمع ألا - بفتح الهمزة والتنوين - كرحى، وقيل بكسرهما وبالتنوين كمعى، وقيل بفتحها. وسكون اللام وبالواو كدلو، وقيل بكسرهما وسكون اللام وبالياء كنى (قوله قبله) بكسر القاف وفتح الموحدة أي عنده. (*)

[٢٧]

من القناعة والغنى وبتيما فحذب عليه عمه وأواه إليه وقيل آواه إلى الله وقيل بتيما لا مثال لك فأواك إليه، وقيل المعنى ألم يجدك فهدي بك ضالا وأغنى بك عائلا وأوى بك بتيما؟ ذكره بهذه المنن وأنه على المعلوم من التفسير لم يهمله في حال صغره وعيلته وبتمه وقيل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه واصطفائه؟ السادس أمره بإظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره وإشادة ذكره بقوله تعالى (وأما بنعمة ربك فحدث) فإن من شكر النعمة التحدث بها وهذا خاص له عام لأتمته * وقال تعالى (والنجم إذا هوى) إلى قوله تعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) اختلف المفسرون في قوله تعالى (والنجم) بأقويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها القرآن وعن جعفر بن محمد أنه محمد صلى الله عليه وسلم وقال هو قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقد قيل في قوله تعالى (والسما والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب) إن النجم هنا أيضا محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي، تضمنت هذه الآيات من فضله وشرفه العد ما يقف دونه العد وأقسم جل اسمه على

(قوله فحذب) بحاء مهملة مفتوحة فдал مهملة مكسورة فموحدة، في الصحاح حذب عليه ويحذب أي يعطف (قوله عمه) هو أبو طالب واسمه عبد مناف على الصحيح وقيل اسمه كنيته (قوله وإشادة ذكره) هو مصدر أشاد بذكره - بالدال - أي رفع من قدره (قوله وشرفه العد) بكسر العين المهملة أي الذى لا ينقطع مادته يقال ماء عد أي دائم لا انقطاع له كماء العين والبيتر. (*)

[٢٨]

هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلا وأنه وحى يوحى أوصله إليه عن الله جبرئيل وهو الشديد القوى ثم أخبر تعالى عن فضيلته بقصة الإسراء وانتهائه إلى سدرة المنتهى وتصديق بصره فيما رأى وأنه رأى من آيات ربه الكبرى وقد نبه على مثل هذا في أول سورة الإسراء، ولما كان ما كاشفه صلى الله عليه وسلم من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت لا تحيط به العبارات ولا تستقل بحمل سماع أدناه العقول رمز عنه تعالى بالإيماء والكناية الدالة على التعظيم فقال تعالى (فأوحى إلى عبده ما أوحى) وهذا النوع من الكلام يسميه أهل النقد والبلاغة بالوحى والإشارة وهو عندهم أبلغ أبواب الإيجاز وقال لقد رأى من آيات ربه الكبرى انحسرت

الأفهام عن تفصيل ما أوحى وتاهت الأحلام في تعيين تلك الآيات الكبرى، قال القاضي أبو الفضل اشتملت هذه الآيات على إعلام الله تعالى بتزكية جملته صلى الله عليه وسلم وعصمتها من الآفات في هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه، فقلبه بقوه تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى) ولسانه بقوله (وما ينطق عن الهوى) وبصره بقوله (ما زاغ البصر وما طغى) * وقال تعالى (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) إلى قوله (وما هو بقول شيطان رحيم)

(قوله الجبروت) هو فعلوت من الجبر وهو القهر كالمملوكوت من الملك، والرهبوت من الرهبة، والرحموت من الرحمة (قوله رمز عنه) الرمز الإشارة. (*)

[٢٩]

لا أقسم أي أقسم إنه لقول رسول كريم أي كريم عند مرسله ذي قوة على تبليغ ما حملة من الوحي مكين أي متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم أي في السماء أمين على الوحي، قال على بن عيسى وغيره: الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الأوصاف بعد على هذا له وقال غيره هو جبريل فترجع الأوصاف إليه ولقد رآه يعنى محمد صلى الله عليه وسلم قيل رأى ربه وقيل رأى جبريل في صورته وما هو على الغيب بظنين أي بمتهم ومن قراها بالضاد فمعناه ما هو يبخل بالدعاء به والتذكير بحكمه ويعلمه وهذه لمحمد صلى الله عليه وسلم باتفاق * وقال تعالى (ن والقلم) الآيات أقسم الله تعالى بما أقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وأنسه وبسط أمله بقوله محسنا خطابه (ما أنت بنعمه ربك بمجنون) وهذه نهاية المبرة في المخاطبة وأعلى درجات الآداب في المحاورة ثم أعلمه بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا يأخذه عد ولا يمن به عليه فقال وإن لك لأجرا غير ممنون ثم أثنى عليه بما منحه من

(قوله على بن عيسى) الظاهر أنه الرماني النحوي، توفى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة له تفسير القرآن أخذ الأدب عن أبي دريد وغيره قال ابن خلكان يجوز أن يكون نسبته إلى الرمان وبيعه وأن يكون إلى قصر الرمان وهو قصر بواسط معروف (قوله غمصته) يفتح المعجمة والميم وبعدهما صاد مهملة، قال ابن القطاع: غمص الناس احتقارهم والطعن عليهم. (*)

[٤٠]

هباته وهداه إليه وأكد ذلك تميمًا للتمجيد بحرفى التأكيد فقال تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم) قيل القرآن وقيل الإسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة إلا الله، قال الواسطي أثنى عليه بحسن قبوله لما أسداه إليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لأنه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذى يسر للخير وهدى إليه، ثم أثنى على فاعله وجزاه عليه سبحانه ما أكرم نواله وأوسع إفضاله ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده به من عقابهم وتوعدهم بقوله (فستبصر ويبصرون) الثلاث الآيات ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معاييه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه صلى الله عليه وسلم فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله تعالى (فلا تطع المكذبين) إلى قوله (أساطير الأولين) ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شفائه وخاتمة بواره بقوله تعالى (سنسمه على الخرطوم)

فكانت نصره الله تعالى لم أتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه أبلغ من رده وأثبت في ديوان مجده.

(قوله ما أعمر نواله) هو بالغين المعجمة أي ما أكثره، والنوال: العطاء. (قوله بضع عشرة خصلة) البضع في العدد بكسر الموحدة وفتحها من ثلاث إلى تسعة وقيل ما بين الواحد إلى العشرة لأنه قطعة من العدد، والخصلة بفتح الخاء المعجمة وسكون الصاد المهملة. (*)

[٤١]

الفصل السادس فيما ورد من قوله تعالى في جهته صلى الله عليه وسلم مورد الشفقة والإكرام قال تعالى (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) قيل طه اسم من أسمائه صلى الله عليه وسلم وقيل هو اسم لله وقيل معناه يا رجل وقيل يا إنسان وقيل هي جروف مقطعة لمعان، قال الواسطي أراد يا طاهر يا هادي وقيل هو أمر من الوطاء والهاء كناية عن الأرض أي اعتمد على الأرض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله تعالى (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) نزلت الآية فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل، أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي أبو الوليد الباجي إجازة ومن أصله نقلت قال حدثنا أبو ذر الحافظ

(قوله من الوطاء) هو بفتح الواو وسكون المهملة وبهمزة: الاعتماد على القدم (قوله أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن) هو الفقيه القاضي ابن عبد الرحمن بن علي بن سيرين أحد العلماء الصلحاء من رجال الأندلس، صحب القاضي أبا الوليد الباجي واختص به (قوله الباجي) هو الإمام صاحب التصانيف أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد ابن أيوب، أصله من مدينة بطليوس وانتقل جده إلى مدينة باجة التي يقرب أشبيلية ونسب إليها، وقيل هو من باجة القيروان التي ينسب إليها أبو محمد الباجي الحافظ، مات بالمدينة سنة أربع وسبعين وأربعمئة.

[٤٢]

حدثنا أبو محمد الحموي حدثنا إبراهيم بن خزيم الشاشي حدثنا عبد ابن حميد حدثنا هاشم بن القاسم عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى فأنزل الله تعالى (طه) يعني طاً الأرض يا محمد (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) الآية، ولا خفاء بما في هذا كله من الإكرام وحسن المعاملة، وإن جعلنا طه من أسمائه صلى الله عليه وسلم كما قيل أو جعلت قسماً لحق الفصل بما قبله، ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى (فلعلك باخع نفسك على أثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً) أي قاتل نفسك لذلك غضبا أو غيظاً أو جزعا ومثله قوله تعالى أيضاً (لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين) ثم قال تعالى (إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) * ومن هذا الباب قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) إلى قوله تعالى (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) إلى آخر السورة وقوله (ولقد استهزئ برسلك من قبلك) الآية قال مكى سلاه تعالى بما ذكر وهون عليه

(قوله الحموي) بفتح المهملة وضم الميم المشددة وكسر الواو وياء؛ للنسبة إلى جده حمويه وحمويه بلسان المصامدة عبارة عن محمد. (قوله ابن خزيمة) بالمعجمة المضمومة والزاي المفتوحة. (قوله عن الربيع عن أنس) هو بفتح الراء؛ بصرى نزل خراسان يروى عن أنس. (قوله نمط الشفقة) أي نوعها والنمط في الأصل نوع من أنواع البسط ولا يستعمل في غيره في الأكثر إلا مقيدا. (*)

[٤٣]

ما يلقاه من المشركين وأعلمه أن من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية قوله تعالى (وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) ومن هذا قوله تعالى (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون) عزاه الله تعالى بما أخبر به عن الأمم السالفة ومقاتلتها لأنبيائهم قبله ومحتنهم بهم وسلاسه بذلك عن محتنته بمثله من كفار مكة وأنه ليس أول من لقي ذلك ثم طيب نفسه وأبان عذره بقوله تعالى (فتول عنهم) أي أعرض عنهم (فما أنت بملوم) أي في أداء ما بلغت وإبلاغ ما حملت ومثله قوله تعالى (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) أي اصبر على أذاهم فإنك بحيث نراك ونحفظك، سلاه الله تعالى بهذا في أي كثيرة من هذا المعنى. الفصل السابع فيما أخبر الله تعالى به في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الأنبياء وحطوة رتبته عليهم قال الله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة) إلى قوله (من الشاهدين) قال أبو الحسن القابسي استخض

(قوله يحل به) في الصحاح حل العذاب يحل بالكسر أي وجب ويحل بالضم أي نزل، وقرئ (فيحل عليكم غضبي) وأما قوله تعالى (أو يحل قريبا) فبالضم أي ينزل. (*)

[٤٤]

الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره أبانه به وهو ما ذكره في هذه الآية، قال المفسرون أخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا إلا ذكر له محمدا ونعته وأخذ عليه ميثاقه إن أدركه لا يؤمن به وقيل أن يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم، وقوله ثم جاءكم؛ الخطاب لأهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم، قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذن العهد بذلك على قومه. ونحوه عن السدي وقتادة في أي تضمنت فضله من غير وجه وحد؛ قال الله تعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) الآية وقال تعالى (إننا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح - إلى قوله

(قوله ولينصرنه ويأخذن) بفتح الذال عطف على ما قبله ونون التوكيد مراده نحو لا تهينن الفقير. (قوله ونحوه عن السدي) هو بضم السين وتشديد الذاك المهملتين نسبة إلى السدة وهي الباب وهما اثنان كوفيان تابعي كبير وهو إسماعيل بن عبد الرحمن يروى عن ابن عباس وأنس وهو المراد هنا، قال أبو الفتح اليعمرى في السيرة في تحويل القبلة كان يجلس في المدينة في مكان يقال له للسدة فنسب إليه انتهى، وقال الحافظ عبد الغنى في الكمال كان يقعد في سدة باب الجامع بالكوفة فسمى السدي انتهى، وفي الصحاح للجوهري والسدة باب الدار تقول رأيت قاعدا بسدة باب داره، وسمى إسماعيل السدي لأنه كان يبيع الحمر وللقاتع في سدة مسجد الكوفة، وهي ما يبقى من الطاق المسدودة انتهى. وتابعي صغير وهو محمد بن مروان يروى عن هشام بن عروة والأعمش منزول منهم. (*)

شهيذا) روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) الآية بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول! قال قتادة إن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره قال السمرقندى في هذا تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم بعثا، المعنى أخذ الله تعالى عليهم الميثاق إذ أخرجهم من ظهر آدم كالذر وقال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) الآية قال أهل التفسير أراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله عليه وسلم لأنه بعث إلى الأحمر والأسود وأجلت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات وليس أحد من الأنبياء أعطى فضيلة أو كرامة إلا وقد أعطي محمدا صلى الله عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله أن الله تعالى خاطب الأنبياء بأسمائهم وخاطبه

(قوله بعث إلى الأحمر والأسود) أي العرب والعجم لأن الغالب على ألوان العجم الحمرة والبياض وعلى ألوان العرب الأدمة والسمر، وقيل الجن والإنس، وقيل الأحمر: الأبيض مطلقا فإن العرب تقول امرأة حمراء أي بيضاء. (*)

بالنبوة والرسالة في كتابه فقال يا أيها النبي ويا أيها الرسول وحكى السمرقندى عن الكلبي في قوله تعالى (وان من شيعته لإبراهيم) أن الهاء عائدة على محمد صلى الله عليه وسلم أي إن من شيعته محمد لإبراهيم أي على دينه ومنهجه، وأجازته الفراء وحكاه عنه مكى، وقيل المراد نوح عليه السلام. الفصل الثامن في إعلال الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفع العذاب بسببه قال الله تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) أي ما كنت بمكة فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وبقي فيها من بقى من المؤمنين نزل (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وهذا مثل قوله (لو تزيلوا لعذبنا) الآية وقوله تعالى (ولولا رجال مؤمنون) الآية فلما هاجر المؤمنون نزلت (وما لهم ألا يعذبهم الله) وهذا من أبين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرأته العذاب عن أهل مكة بسبب كونه ثم كون أصحابه بعده بين أظهرهم فلما خلت مكة منهم عذبهم الله بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم إياهم وحكم فيهم سيوفهم وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وفى الآية أيضا تأويل آخر * حدثنا القاضى الشهيد أبو على رحمه الله بقراءتي عليه قال حدثنا أبو الفضل

(قوله منهجه) المنهـاج الطريق الواضح. (*)

ابن خيرون وأبو الحسين الصيرفي قال حدثنا أبو يعلى بن زوج الحرة حدثنا أبو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب المروزي حدثنا أبو عيسى الحافظ حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا ابن نمير عن إسماعيل بن إبراهيم ابن مهاجر عن عباد بن يوسف عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل الله على أمانين لأمتي: ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فإذا مضيت تركت فيكم الاستغفار، ونحو منه قوله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) قال صلى الله عليه وسلم أنا أمان لأصحابي. قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن قال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الأمان الأعظم ما عاش وما دامت سنته باقية فهو باق فإذا أميت سنته فانتظروا البلاء والفتن وقال الله تعالى (إن الله وملائكته يلون على النبي) الآية، أبان الله تعالى فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلاته عليه ثم بصلاته ملائكته وأمر عباده بالصلاة والتسليم عليه وقد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض العلماء تأول قوله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة على هذا أي في صلاة الله تعالى على

(قوله وأبو الحسين الصيرفي) هو تصغير حسن وهو المبارك بن عبد الجبار وفي بعض النسخ حسن وليس بحسين. (قوله عن عباد بن يوسف) قال المزني في أطرافه عبادة بن يوسف ويقال ابن سعيد والصحيح عباد. (قوله عن أبي بردة بن أبي موسى) قيل اسمه الحارث وقيل عامر، قال النووي وهو الصحيح المشهور. (*)

[٤٨]

وملائكته وأمره الأمة بذلك إلى يوم القيامة والصلاة من الملائكة ومنا له دعاء ومن الله عز وجل رحمة وقيل يصلون بباركون وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة والبركة وسنذكر حكم الصلاة عليه وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف (كهيعص) أن الكاف من كاف أي كفاية الله لنبيه قال تعالى (أليس الله بكاف عبده) والهاء هدايته له قال (ويهديك صراطا مستقيما) والياء تأييده قال (وأيدك بنصره) والعين عصمته له قال: (والله بعصمك من الناس) والصاد صلاته عليه قال (إن الله وملائكته يصلون على النبي) وقال تعالى (وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه) الآية مولاه أي وليه وصالح المؤمنين قيل الأنبياء وقيل الملائكة وقيل أبو بكر وعمر وقيل على رضى الله عنهم أجمعين وقيل المؤمنون على ظاهره. الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) إلى قوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) تضمنت هذه الآيات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء إليه فابتدأ جل جلاله بإعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهور

[٤٩]

وغلبيته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وأنه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون قال بعضهم أراد غفران ما وقع وما لم يقع أي أنك مغفور لك وقال مكى جعل الله المنة سببا للمغفرة وكل من عنده لا إله غيره منة بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر لك وقيل بفتح مكة والطائف وقيل يرفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك فأعلمه تمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له وفتح أهم البلاد عليه وأحبها له ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته على

أمتة المؤمنين بالسكينة والطمأنينة التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم بما لهم عند ربهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوه في الدنيا والآخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال (إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) الآية فعد محاسنه وخصائصه من شهادته على أمتة لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لأمتة بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعذاب وقيل مخدرا من الضلالات ليؤمن بالله تم به من سبقت له من الله الحسنى ويعزروه أي يجلونه وقيل ينصرونه وقيل يبالغون في تعظيمه ويوقروه أي يعظمونه وقرأه

(قوله بخضوع من تكبير لك) الجار والمجرور متعلق بخضوع (قوله وسوء منقلبهم) أي انقلابهم (قوله يعزروه) بمهمله وزاى وراء أي يوقروه. (٤ - ١) (*)

[٥٠]

بعضهم (ويعزروه) بزاءين من العز والأكثر والأظهر أن هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال (ويسبحوه) فهذا راجع إلى الله تعالى قال ابن عطاء جمع للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهى من أعلام الإجابة والمغفرة وهى من أعلام المحبة وتمام النعمة وهى من أعلام الاختصاص والهداية وهى من أعلام الولاية فالمغفرة تبرئة من العيوب وتمام النعمة إبلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهى الدعوة إلى المشاهدة: وقال جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه أن جعله حبيبه وأقسم بحياته ونسخ به شرائع غيره وعرج به إلى المحل الأعلى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه إلى الأحمر والأسود وأحل له ولأمتة الغنائم وجعله شفعا مشفعا وسيد ولد آدم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله أحد ركني التوحيد ثم قال (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) يعنى بيعة الرضوان أي إنما يبايعون الله ببيعتهم إياك (يد الله فوق أيديهم) يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده، وهذه استعارات وتجنيس في الكلام وتأكيد لعقد بيعتهم إياه وعظم شأن المبايع صلى الله عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) وإن كان الأول

(قوله تبرئة) بالموحدة بعد المثناة الفوقية وبالراء، أو بالنون بعد المثناة الفوقية وبالزاي. (*)

[٥١]

في باب المجاز وهذا في باب الحقيقة لأن القاتل والرامي بالحقيقة هو الله وهو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومشيتته ولأنه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه الآية الأخرى إنها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته أي ما قتلتهم وما رميتهم أنت إذا رميت وجوههم بالحصاء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع أي أن منفعة الرمي كانت من فعل الله فهو القاتل والرامي بالمعنى وأنت بالاسم. الفصل العاشر فيما أظهره الله تعالى في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل: من ذلك ما قصه تعالى من قصة الإسراء في سورة سبحان، والنجم، وما انطوت عليه القصة من

عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجائب، ومن ذلك عصمته من الناس بقوله تعالى (والله يعصمك من الناس) وقوله تعالى (وإذ يمكر بك الذين كفروا) الآية وقوله (إلا تنصروه فقد نصره الله) وما دفع الله به عنه في هذه القصة من أذاهم بعد تحريمهم لهلكه وخلوصهم بحيا في أمر

(قوله لهلكه) الهلك بضم الهاء وإسكان اللام: الاسم من هلك. (*)

[٥٢]

والأخذ على أبصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه في الأغر وما ظهر في ذلك من الآيات ونزول السكنينة عليه وقصة سراقه بن مالك حسبما ذكره أهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث الهجرة ومنه قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر، فصل لربك وانحر، إن شانئك هو الأبتى) أعلمه الله تعالى بما أعطاه، والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخبر الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة، ثم أجاب عنه عدووه ورد عليه قوله فقال تعالى (إن شانئك هو الأبتى) أي عدوك ومبغضك، والأبتى الحقيقير الدليل أو المفرد الوحيد أو الذى لا خير فيه وقال تعالى (ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم) قيل السبع المثانى السور الطوال الأولى والقرآن العظيم أم القرآن، وقيل السبع المثانى أم القرآن والقرآن العظيم سائره وقيل السبع المثانى ما في القرآن من أمر ونهى وبشرى وإنذار وضرب مثل

(قوله حسبما ذكره أهل الحديث) هو بفتح السين وقد يسكن أي على قدره وعدده (قوله الطوال) بكسر الطاء جمع طويلة وأما بضم الطاء فمفرد يقال رجل طوال أي زائد في الطول، واختلف في سابعة هذا الطوال فقيل الأنفال والتوبة لأنهما في حكم سورة واحدة ولهذا لم يفصل بينهما بالبسملة وقيل التوبة وقيل يونس (قوله سائره) هو بمهملة في أوله وهمزة مكسورة ثالثة، قال صاحب الصحاح سائر الناس جميعهم واعترض بأنه انفرد بهذا فلا يقبل منه وأجيب بأنه لم ينفرد بل شاركه في نقله التبريزي والجواليقي وغيرهما وفي القاموس السائر الباقي لا الجميع كما توهم جماعات وقد تستعمل له بعد ذكره أشياء عن العرب مما استعمل له. (*)

[٥٣]

وإعداد نعم وآتيناك نبأ القرآن العظيم وقيل سميت أم القرآن مثانى لأنها نثى في كل ركعة وقيل بل الله تعالى استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم وذخرها له دون الأنبياء وسمى القرآن مثانى لأن القصص نثى فيه وقيل السبع المثانى أكرمناك بسبع كرامات: الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والكسينة وقال (وأنزلنا إليك الذكر) الآية وقال (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا) وقال تعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا) الآية قال القاضى رحمه الله فهذه من خصائصه وقال تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومهم ليبين لهم) فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الخلق كافة كما قال صلى الله عليه وسلم (بعثت إلى الأحمر والأسود) وقال تعالى (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) قال أهل التفسير أولى بالمؤمنين من أنفسهم أي ما أنفذه فيهم من أمر فهو ماض عليه كما يمضى حكم السيد على عبده وقيل اتباع أمره أولى من اتباع رأى النفس وأزواجه أمهاتهم أي هن في الحرمة كالأمهات حرم نكاحهن

عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولأنهن له أزواج في الجنة وقد قرئ
وهو أب لهم ولا يقرأ به الآن لمخالفته المصحف وقال الله تعالى

(قوله لأنها تننى) بفتح المثناة وتشديد النون المفتوحة ويتسكين المثناة وفتح النون
(قوله في كل ركعة) أي كل صلاة من باب تسمية الشيء باسم جزئه (قوله لأن
القصص هو بكسر القاف جمع قصة ويفتحها الخبر (قوله وقد قرئ وهو أب لهم) هذه
قراءة مجاهد وقيل أبي بن كعب. (*)

[٥٤]

(وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة) الآية قيل فضله العظيم بالنبوة
وقيل بما سبق له في الأزل وأشار الواسطي إلى أنها إشارة إلى
احتمال الرؤية التي لم يحتملها موسى عليه السلام. الباب الثاني
في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقاً وقرانه جميع الفضائل
الدينية والدنيوية فيه نسفاً اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم
الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم أن خصال الجمال والكمال في
البشر نوعان: ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا،
ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب إلى الله تعالى زلفى، ثم
هي على فنيين أيضاً منها ما يتخلص لأحد الوصفين ومنها ما يتمزج
ويتداخل فأما الضروري المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا
اكتساب مثل ما كان في حملته من كمال خلقته وجمال صورته وقوة
عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه وأعضائه وإعتدال
حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم أرضه ويلحق به ما تدعوه
ضرورة حياته إليه من غذائه ونومه

(قوله خلقا وخلقاً) الأول بفتح المعجمة وسكون اللام والثاني بضمها أو بضم المعجمة
وسكون اللام (قوله الجبلة) بكسر الجيم والموحدة وتشديد اللام المفتوحة: الخلق،
ومنه قوله تعالى والجبلة الأولين (قوله من غذائه) بكسر المخعجة وبالذال المعجمة:
ما يغتذى به من الطعام. (*)

[٥٥]

وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه، وقد تلحق هذه الخصال
الأخرة بالأخروية إذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك
طريقها وكانت على حدود الضرورة وقواعد الشريعة، وأما المكتسبة
الأخروية فسائر الأخلاق العلمية والآداب الشرعية من الدين والعلم
والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود
والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن
الأدب والمعاشرة وأخواتها وهي التي جماعها: حسن الخلق. وقد
يكون من هذه الأخلاق ما هو في الغريزة وأصل الجبلة لبعض الناس
وبعضهم لا نكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها
في أصل الجبلة شعبية كما سنبينه إن شاء الله تعالى وتكون هذه
الأخلاق دنيوية إذا لم يرد بها وجه الله والدار الآخرة ولكنها كلها
محاسن وفضائل باتفاق أصحاب العقول السليمة وإن اختلفوا في
موجب حسننها وتفضيلها. (فصل) قال القاضي إذا كانت خصال الكمال
والجلال ما ذكرناه ورأينا الواحد منا يتشرف بواحدة منها أو اثنتين إن
إتفقت له في كل عصر إما من نسب أو جمال أو قوة أو علم أو حلم
أو شجاعة

(قوله جماعها) في الصحاح جماع الشئ بالكسر جمعه يقال جماع الخبا الأخبية (قوله في الغريزة) يفتح العين المعجمة وكسر الراء بعدها مثناة تحتية فزأى: أي الطبيعة (قوله شعبية) بضم الشين المعجمة وسكون العين المهملة: أي فرقة وقطعة. (*)

[٥٦]

أو سماحة حتى يعظم قدره ويضرب باسمه الأمثال ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب أثره وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال إلى ما لا يأخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والإسراء والرؤية والقرب والدنو والوحى والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث إلى الأحمر والأسود والصلاة بالأنبياء والشهادة بين الأنبياء والأمر وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة والندارة والمكانة عند ذى العرش والطاعة ثم والأمانة والهداية ورحمة للعالمين وإعطاء الرضى والسؤل والكوثر وسماع القول وإتمام النعمة والعفو عما تقدم وما تأخر وشرح الصدر ووضع الإصر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتأييد بالملائكة وإيلاء الكتاب والحكمة والسبع

(قوله رمم) الرمم: جمع رمة وهى العظام البالية (قوله والوسيلة) هي في الأصل ما يتوصل به إلى الشئ، قيل هي هنا الشفاعة وقيل منزلة من منازل الجنة (قوله والمقام المحمود) قيل الشفاعة العظمى في إراحة الناس من الموقف إلى الحساب، وقيل إعطاؤه لواء الحمد، وقيل إخراج طائفة من النار، وقيل أن يكون أقرب من جبريل (قوله ووضع الإصر) في الصحاح: الإصر: العهد والذنب والثقل، والأغلال أي الموانيق اللازمة لزوم الغل للعنق (قوله ونزول السكينة هي فعيلة من السكون قيل في قوله عليه السلام ونزلت عليهم السكينة وهى الرحمة وقيل الطمأنينة والوقار وقيل ما يسكن به = (*)

[٥٧]

المثنائى والقرآن العظيم وتزكية الأمة والدعاء إلى الله وصلاة الله تعالى والملائكة والحكم بين الناس بما أراه الله ووضع الإصر والأغلال عنهم والقسم باسمه وإجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم وإحياء الموتى وإسماع الصم ونبع الماء من بين أصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب الأعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصى وإبراء الآلام والعصمة من الناس إلى مالا بحويه محتفل ولا يحيط بعلمه إلا ما نحه ذلك ومفضله به لا إله غيره إلى ما أعد له في الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التى تقف دونها العقول ويحار دون إدراكها الوهم. (فصل) إن قلت أكرمك الله لا خفاء على القطع بالجملة أنه صلى الله عليه وسلم أعلى الناس قدرا وأعظمهم محلا وأكملهم محاسن

= الإنسان، وفي أنوار التنزيل في قوله تعالى (فيه سكينه من ربكم) أي ما تسكنون إليه وهو التوراة وقيل صورة من زبرجد أو ياقوت لها رأس وذنب كراس الهرة وذنبها وجناحان بأن تنرف الياقوت أي تسرع نحو العدو وهم يتبعونه فإذا ثبت ثبتوا وحصل النصر وقيل صور الأنبياء من آدم إلى محمد عليه السلام، وقيل الثابتون القلب والسكينة ما فيه من العلوم والإخلاص، وإبتائه مصر قلبهم مقر العلم بعد أن لم يكن، وفي الكشاف وعن على رضى الله عنه كان لها وجه كوجه الإنسان وفيها ريح هفاقة (قوله الجمادات) جمع جماد وهو ما ليس بحيوان، وأعجم بضم العين المهملة جمع أعجم وهو من لا يقدر على الكلام أصلا. (*)

وفضلاً وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال مذهباً جميلاً شوقني إلى أن أقف عليها من أوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلاً * فأعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم حبي وحبك أنك إذا نظرت إلى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جيلة الخلقه وحدته صلى الله عليه وسلم حائزاً لجميعها محيطاً بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الأخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع، أما الصورة وجمالها تناسب أعضائه في حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي وأنس بن مالك وأبي هريرة والبراء بن عازب وعائشة أم المؤمنين وابن أبي هالة

(قوله وأبي هريرة) اسمه عبد الرحمن بن صخر على الأصح وفي اسمه نحو من ثلاثين قولاً، فإن قيل هريرة في أبي هريرة العلم غير منصرف وليس فيه إلا التانيث وهو مشروط بكون مدخوله علماً وهريرة ليس بعلم وإنما العلم أبو هريرة: أجب بأن الجزء الأخير من العلم الإضافي ينزل منزلة كلمة ويجرى عليه أحكام الأعلام فهريرة في أبي هريرة العلم غير منصرف وإن كان في غيره منصرفاً (قوله وابن أبي هالة) هو هند ولد أم المؤمنين خديجة، قال السهيلي: كانت خديجة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أبي هالة وهو هند بن زرارة وكانت قبل أبي هالة عند عتيق بن عائذ ولدت له عبد مناف بن عتيق كذا قال ابن أبي خيثمة وقال الزبير ولدت لعتيق جارية اسمها هند، وولدت لأبي هالة ابناً اسمه هند أيضاً مات بالطاعون - طاعون البصرة - وقد مات في ذلك اليوم نحو من سبعين ألفاً فشغل الناس جنازتهم عن جنازته فلم يوجد من يحملها فصاحت نادبته واهند بن هنداه وأربيب رسول الله فلم يبق جنازة إلا تركت وحملت جنازته على أطراف الأصابع، ذكره الدولابي. ولخديجة من أبي هالة ابنان آخران أحدهما الطاهر والآخر هالة. (*)

وأبي جحيفة وجابر بن سمرة وأم معبد وابن عباس ومعرض بن معيقب وأبي الطفيل والعداء بن خالد وخرم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم رضى الله عنهم من أنه صلى الله عليه وسلم كان أزهر اللون أدعج أبجل أشكل أهدب الأشفار أبلج أزج أفنى أفلج مدور الوجه واسع

(قوله وأبي جحيفة) بضم الجيم وفتح الجاء المهملة (قوله وأم معبد) اسمها عاتكة وهي التي نزل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة (قوله ومعرض بن معيقب) معرض بضم الميم وفتح العين المهملة وتشديد الراء المكسورة وبالضاد المعجمة، ومعيقب بياء موحدة في آخره كذا بخط الذهبي (قوله وأبي الطفيل) اسمه عامر بن وائلة آخر من مات من الصحابة في الدنيا (قوله والعداء) بفتح العين وتشديد الدال المهملتين وبالمد (قوله وخرم بن فاتك) خرم بضم المعجمة ثم براء مفتوحة ثم مثناة تحتية ساكنة، وفاتك بالفاء والمثناة الفوقية المكسورة والكاف (قوله وحكيم بن حزام) حكيم بفتح المهملة وكسر الكاف وحزام بكسر المهملة وبالزاي، ولدا في الكعبة على الأشهر، وفي مستدرک الحاكم أن علي بن أبي طالب ولد أيضاً في داخل الكعبة (قوله أزهر اللون) قيل نيره وقيل حسنه ومنه (زهرة الحياة الدنيا) وهو زينتها وهذا كما جاء في الحديث الآخر ليس بالأبيض الأمهق ولا بالأدم والأمهق: الناصع البياض، والأدم الأسمر (قوله أدعج) الدعج شدة سواد الحدقة (قوله أنجل) بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الجيم أي ذو نجل يفتحتين وهو سعة شق العين (قوله أشكل) بفتح الهمزة وسكون المعجمة من الشكلة بضم المعجمة وسكون الكاف وهي حمرة في بياض العين كالشبهة في سوادها (قوله أهدب الأشفار) في الصحاح الأهدب الرجل الكبير أشفار العين وهي حروف الأحقان التي ينبت عليها الشعر وهو الهدب (قوله أبلج) بالهمزة المفتوحة والموحدة الساكنة واللام المفتوحة والجيم أي مشرق وفي الصحاح عن أبي عبيدة في حديث أم سعيد أبلج الوجه أي مشرقه ولم ترد بلج الحاجب لأنها وصفته بالقرن (قوله أزج) أي مقوس الحاجب مع طول وإمتداد (قوله أفنى) أي محدوب الأنف (قوله أفلج) من الفلج يفتحتين وهو تباعد ما بين الثنايا. (*)

الجبين كث اللحية تملأ صدره سواء البطن والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام عبل العضدين والذراعين والأسافل رجب الكفين والقدمين سائل الأطراف أنور المتجرد دقيق المسربة ربة القد ليس بالطويل البائن ولا القصير المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر إذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام، إذا تكلم رء كالنور يخرج من ثناياه، أحسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم، قال البراء ما رأيت

(قوله سواء البطن) السواء بفتح المهملة والمد: المستوي (قوله عبل العضدين) العبل بفتح المهملة وسكون الموحدة: الضخم (قوله والأسافل) أي الفخذين والساقين (قوله رجب الكفين) بفتح الراء وسكون المهملة أي وأسعها (قوله سائل الأطراف) أي طويل الأصابع (قوله أنور المتجرد) بالجيم والراء المشددة المفتوحين أي ما تجرد عند الثياب من البدن (قوله المسربة) بفتح الميم وسكون المهملة وضم الراء وفتح الموحدة: خيط الشعر الذي بين الصدر والسرته (قوله رجل الشعر) بفتح الراء وكسر الجيم وفتحها، في الصحاح شعر رجل إذا لم يكن شديد الجعود ولا سبطا (قوله إذا افتر ضاحكا) أي إذا بدا أسنانه حالة أنه ضاحك (قوله حب الغمام) هو البرد (قوله ليس بمطهم) هو يضم الميم وبالطاء المهملة والهاء المشددة المفتوحين المنتفخ الوجه وقيل الفاحش السمن (قوله ولا بمكلثم) هو بالمثلثة المفتوحة: القصير الحنك الدائي الجبهة المستدير الوجه، أراد أنه كان أسيل الوجه ولم يكن مستديره قاله ابن الأثير (قوله متماسك البدن) أي يمسك بعضه بعضا (قوله ضرب اللحم) بفتح الضاد المعجمة وسكون الراء، قال الخليل الضرب من الرجال: القليل اللحم. (*)

من ذى لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو هريرة رضى الله عنه ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى في وجهه وإذا ضحك يتلألأ في الجدر وقال جابر بن سمرة وقال له رجل: كان وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف؟ فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت أم معبد في بعض ما وصفته به: أجمل الناس من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب وفى حديث ابن ابى هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال على رضى الله عنه في آخر وصفه له: من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم، والأحاديث في بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه كفاية في القصد إلى المطلوب وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك نقف عليه هناك إن شاء الله تعالى. (فصل) وأما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الأقدار وعورات الجسد فكان قد خصه الله تعالى في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم تتمها بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر وقال

(قوله من ذى لمة) اللمة بكسر واللام: هي شعر الرأس دون الجمة وسميت به لأنها تلم بالمنكبين (قوله في حلة حمراء) الحلة ثوبان غير ليفيين إزار ورداء (قوله في الجدر) يضم الجيم والذال: جمع جدار وهو الحائط، (*)

بنى الدين على النظافة * حدثنا سفيان بن العاصي وغير واحد قالوا حدثنا أحمد بن عمر قال حدثنا أبو العباس الرازي قال حدثنا أبو أحمد الجلودى قال حدثنا ابن سفيان قال حدثنا مسلم قال حدثنا قتيبة حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم * وعن جابر بن سمرة أنه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليدته بردا وريحا كأنما أخرجها من جؤنة عطار قال غيره مسها بطيب أم لم يمسه يصفح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام رسول الله صلى الله عليه

(قوله بنى الدين على النظافة) قال الحافظ زين الدين العراقي لم أجده هكذا بل في الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة تنظفوا فإن الإسلام نظيف، وللطبراني في الأوسط بسند ضعيف من حديث ابن مسعود: النظافة تدعو إلى الإسلام (قوله سفيان بن العاصي) بن أحمد بن العاصي بن سفيان بن عيسى الأسدي أبو بحر أصله من بلنسية ثم سكن تلمسان ثم رجع إلى قرطبة فرأس بها (قوله الجلودى) هو بضم الجيم بلا خلاف قال أبو سعيد السمعاتى منسوب إلى الجلود جمع جلد وقال أبو عمرو بن الصلاح إلى سكة الجلود من نيسابور (قوله ما شممت) هو بكسر الميم في الماضي على الأفتح وفتحها في المضارع، لا يفتحها في الماضي وضمها في المضارع (قوله من جؤنة عطار) الجؤنة بضم الجيم وسكون الهمزة وقد تسهل سقط مغشى بجلد يجعل فيه العطار طيبه (قوله فيظل) ظللت أفعل كذا بكسر اللام أظل يفتحها، ونقل حركتها إلى الظاء إذا فعلته نهارا وقد تكون ظل بمعنى دام.

[٦٣]

وسلم في دار أنس فعرق فجاءت أمه بقارورة تجمع فيها عرقه فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيبه وذكر إسحاق بن راهويه إن تلك كانت رائحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم وروى المزني والحري عن جابر أردفني النبي صلى الله عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم النبوة بغمى فكان ينم على مسكا وقد حكى بعض المعتنين بأخباره وشمائله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أراد أن يتغوط انشقت الأرض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك رائحة طيبة صلى الله عليه وسلم وأسند محمد بن سعد كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عائشة رضی الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم إنك تأتي الخلاء فلا نرى منك شيئا من الأذى فقال يا عائشة أو ما علمت أن الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء فلا يرى منه شيء؟ وهذا

(قوله فجاءت أمه) أي أم أنس وهى أم سليم واسمها سهلة وقيل ريملة وقيل أنيسة وقيل بليلة وقيل الرميضا وقيل الغميضا وأم سليم هذه وأخذها أم ملحان خالتا النبي صلى الله عليه وسلم من جهة الرضاع (قوله بقارورة) إناء من زجاج (قوله عن جابر أردفني النبي صلى الله عليه وسلم) عد بعضهم من أردفه النبي صلى الله عليه وسلم على فرس أو غيره فبلغ بهم نيفا وأربعين (قوله فكان ينم) هو بكسر النون يقال نمت الريح إذا جلبت الرائحة، وفى بعض النسخ يثج بالمثلثة المكسورة والجيم أي يسيل. (*)

[٦٤]

الخبر وإن لم يكن مشهورا فقد قال قوم من أهل العلم بطهارة هذين الحديثين منه صلى الله عليه وسلم وهو قول بعض أصحاب الشافعي حكاه الإمام أبو نصر بن الصباغ في شامله وقد حكى القولين عن

العلماء في ذلك أبو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد هذا أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شئ يكره ولا غير طيب * ومنه حديث علي رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أجد شيئاً فقلت طبت حيا وميتاً قال وسطعت منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط ومثله قال أبو بكر رضي الله عنه حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته * ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم أحد ومصه إياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم ذلك له وقوله له لن تصيبه النار، ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال عليه السلام ويل لك من الناس وويل لهم منك

(قوله وسطعت) أي ارتفعت (قوله قط) هو توكيد لنفي الماضي وفيه لغات فتح القاف وضمها مع تشديد الطاء المضمومة، وفتح القاف وتشديد الطاء المكسورة، وفتح القاف وإسكان الطاء وفتح القاف وكسر الطاء المخففة (قوله ومنه شرب مالك بن سنان) هو أبو سعيد الخدري ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته رواه الحاكم والبيهقي والبيهقي والطبراني والدارقطني وقد شرب أيضاً دمه عليه السلام أبو طيبة واسمه دينار وقيل نافع عاش مائة وأربعين سنة وسالم بن الحجاج فقال له عليه السلام لا تعده فإن الدم كله حرام وسقينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه البيهقي وعلى ابن أبي طالب ذكره الرافعي في الشرح الكبير قال ابن الملقن ولم أجد في كتب الحديث. (*)

[٦٥]

ولم ينكر عليه وقد روى نحو من هذا عنه في امرأة شربت بوله فقال لها لن تشتكى وجع بطنك أبداً، ولم يأمر واحداً منهم بغسل فم ولا نهاه عن عودة. وحديث هذه المرأة التي شربت بوله صحيح الزم الدارقطني مسلماً والبخاري إخراجاً في الصحيح، واسم هذه المرأة بركة واختلف في نسبها وقيل هي أم أيمن وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم، قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئاً فسأل بركة عنه فقالت قمت وأنا عطشانة فشربته وأنا لا أعلم، روى حديثها ابن جريج وغيره وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ولد مختوناً

(قوله في امرأة شربت بوله) هذه المرأة بركة حاضنته صلى الله عليه وسلم وهي حيشية أعتقها عليه السلام حين تزوج خديجة وزوجها عبيد الحيشي فولدت له أيمن وكتبت به ثم بعد النبوة تزوجها زيد بن حارثة فأولدها أسامة قال الواقدي كانت أم أيمن عسيرة اللسان فكانت إذا دخلت قالت (سلام لا عليكم) فرخص لها رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام عليكم والسلام عليكم (قوله وأنا عطشانة) كذا وقع وصوابه عطشى لأنه مؤنث عطشان (قوله قدح من عيدان) العيدان بفتح المهملة وسكون المثناة التحتوية وبالذال المهملة جمع عيدانة وهي النخلة الطويلة قال الأصمعي إذا صار للنخلة جذع يتناول منه فتلك العظيد، فإذا أنابت الأيدي فهي الجنابة فإذا ارتفعت فهي الرفلة وعند أهل نجد عيدانة (قوله قد ولد مختوناً) وقيل ختن يوم شق قلبه الملائكة عند ظفره حليلة وقيل ختنه جده يوم سابعه وصنع له مادية ويسماه محمداً وقد ذكر الحاكم في المستدرک ما لفظه: وقد تواترت الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد مسروراً مختوناً وتعقبه الذهبي فقال ما أعلم صحة ذلك فكيف يكون متواتراً؟ وذكر ابن الجوزي عن كعب الأخبار أن ثلاثة عشر من الأنبياء خلقوا مختونين آدم وشيث وإدريس ونوح = (*)

[٦٦]

مقطوع السرة وروى عن أمه أمينة أنها قالت ولدتني نظيفاً ما به قدر، وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم قط، وعن علي رضي الله عنه أوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يغسله غيري فإنه لا يرى أحد عورتى إلا طمست عيناه، وفي حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوطأ قال عكرمة لأنه صلى الله عليه وسلم كان محفوظاً. (فصل) وأما وفور عقله وذكاء له وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم، ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة

= وسام ولوط ويوسف وموسى وشعيب وسليمان ويحيى وعيسى والنبي صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن حبيب الهاشمي هم أربعة عشر: آدم وشيث ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب ويوسف وموسى وسليمان وزكريا وعيسى وحنظلة بن صفوان نبي أصحاب الرأس ومحمد صلى الله عليه وسلم (قوله وروى عن أمه أمانة) توفيت أمه وهو عليه السلام ابن ست سنين بالأبواء بين مكة والمدينة وهي راجعة من المدينة وكان معها أم أيمن فرجعت به عليه السلام إلى مكة ولما مر بالأبواء في عمرة الحديبية زار قبرها وقيل ابن سبع سنين وقيل ابن ثمان سنين وقيل ابن تسع وقيل ابن ثنتي عشرة سنة (قوله غطيط) هو بالعين المعجمة المفتوحة والطاء المهملة المكسورة وبالمتناة التحتية الساكنة فالطاء المهملة، صوت يخرج من نفس النائم (قوله فلا مرية) المرية بكسر الميم وقد تضم: الشك وقرئ بهما في قوله تعالى (فلا تك في مرية). (٥ - ١) (*)

[٦٧]

مع عجب شمائله وبديع سيره فضلا عما أفاضه من العلم وقرره من النشعر دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه: لم يمتد في رجحان عقله وثقوب فهمه لأول بديهة، وهذا مما لا يحتاج إلى تقريره لتحققه وقد قال وهب بن منبه قرأت في أحد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها أن النبي صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا وفي رواية أخرى فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم إلا كحبة رمل من بين رمال الدنيا، وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى (وتقلبك في الساجدين) وفي الموطأ عنه عليه السلام (إنى لأراكم من وراء ظهري) ونحوه عن أنس في الصحيحين، وعن عائشة رضي الله عنها مثله قالت زيادة زاده الله

(قوله ابن منبه) بضم الميم وفتح النون وتشديد الموحدة: ابن سيج بمهملة مفتوحة وقيل مكسورة فمتناة تحتية ساكنة فجيم: تابعي جليل مشهور بمعرفة الكتب الماضية (قوله يرى من خلفه) ذكر مختار بن محمود الحنفي شارح القدوري ومصنف القبية في رسالته الناصرية أنه عليه السلام كان بين كتفيه عينان مثل سم الخياط يبصر منهما ولا تحجبهما الثياب وذكر النووي شرح مسلم في قوله عليه السلام إنى والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي، قال العلماء إن الله خلق له صلى الله عليه وسلم إدراكا في قفاه يبصر به من ورائه وقد انخرقت العادة له صلى الله عليه وسلم بأكثر من هذا، وقال القاضي عياض قال أحمد بن حنبل وجمهور العلماء إن هذه الرؤية رؤية عين حقيقة (*)

[٦٨]

إياها في حجته وفي بعض الروايات إنى لأنظر من ورائي كما أنظر من بين يدي وفي أخرى إنى لأبصر من قفاه كما أبصر من بين يدي وحكى بقى بن مخلد عن عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء. والأخبار كثيرة

صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم الملائكة والشياطين، ورفع النجاشي له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه لقريش والكعبة حين بنى مسجده. وقد حكى عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يرى في الثريا أحد عشر نجما وهذه كلها محمولة على رؤية العين وهو قول أحمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم إلى ردها إلى العلم، والظواهر تخالفه ولا إحالة في ذلك وهي من خواص الأنبياء وخصالهم كما أخبرنا أبو محمد عبد الله ابن أحمد العدل من كتابه حدثنا أبو الحسن المقرئ الفرغانى حدثنا أم القاسم بنت أبي بكر عن أبيها حدثنا الشريف أبو الحسن علي بن محمد الحسنى حدثنا محمد بن محمد بن سعيد حدثنا محمد بن أحمد بن

(قوله النجاشي) بفتح النون وكسرهما وفي آخره ياء: الصواب تخفيفها، قال الطبري لقب لمن ملك الحيشة وكان اسم هذا الملك أضحة كما في صحيح البخاري (قوله أنه كان يرى في الثريا أحد عشر نجما) قال السهيلي في كتابه التعريف والأعلام: الثريا اثنا عشر كوكبا وكان صلى الله عليه وسلم يراها كلها، جاء ذلك في حديث ثابت من طريق العباس، وقال القرطبي في كتاب أسماء النبي وصفاته: إنها لا تزيد على تسعة فيما تذكرونه في كثير من النسخ. (*)

[٦٩]

محمد بن سليمان حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا همام حدثنا الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هرير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لما تجلى الله عز وجل لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ) ولا يبعد على هذا أن يختص نبينا صلى الله عليه وسلم بما ذكرناه من هذا الباب بعد الإسراء والخطوة بما رأى من آيات ربه الكبرى * وقد جاءت الأخبار بأنه صرع ركاة أشد أهل وقته وكان دعاه إلى الإسلام وصارع أبا ركاة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو هريرة رضي الله عنه ما رأيت أحدا أسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كأنما الأرض تطوى له، إنا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث.

(قوله حدثنا همام) كذا في كثير من النسخ وصوابه هانئ وهو هانئ بن يحيى السلمى أخذ عن الحسن بن أبي جعفر الجعفري أحد الضعفاء قال الطبراني لم يروه عن قتادة إلا الحسن بن أبي جعفر تفرد به هانئ بن يحيى (قوله عشرة فراسخ) في الصحاح الفريسي معرب وهو ثلاثة أميال والميل منتهى مد البصر عن ابن السكيت انتهى، وقيل الميل أربعة آلاف خطوة والخطوة ثلاثة أقدام بوضع قدم أمام قدم ويلصق به والبريد أربعة فراسخ (قوله بأنه صرع ركاة) هو بضم الراء وتخفيف الكاف، أسلم يوم الفتح وتوفى بالمدينة سنة أربعين (قوله وصارع أبا ركاة) قيل إنه صارعه عليه السلام جماعة: ركاة وهو أمثلها وأبو ركاة كما ذكر القاضي هنا وأبو جهل ولا يصح وأبو الأسد الجمحي قاله السهيلي وي زيد بن ركاة أو ركاة بن يزيد على الشك رواه البيهقي وأبو داود في مراسيله (قوله غير مكترث) أي غير مبال. (*)

[٧٠]

وفى صفته عليه السلام أن ضحكه كان تبسما إذا التفت التفت معا وإذا مشى مشى تفلعا كأنما ينحط من صيب. (فصل) وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يحهل سلاسة طبع وبراعة منزع وإيجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف أوتى جوامع الكلم وخص بدائع الحكم وعلم السنة العرب فكان يخاطب كل أمة

منها بلسانها ويحاورها بلغتها وبيارها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله. من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والأنصار وأهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذى المشعار

(قوله تغلعا) التقلع رفع الرجل بقوة (قوله من صيب) بفتح المهملة وبالوحدتين الأولى مفتوحة: هو الموضع المرتفع (قوله سلاسة) بفتح السين المهملة أي سهولة (قوله وبراعة منزع) البراعة مصدر برع الرجل بضم الراء وفتحها أي فاق أقرانه في العلم وغيره، والمنزع المأخذ (قوله مقطوع) أي تمام كلام (قوله ونصاعة) النصاعة بفتح النون والصاد والعين المهملتين بينهما ألف: الخلوص (قوله وجزالة) بفتح الجيم والزاي خلاف الركابة (قوله جوامع الكلم) هو جمع جامعة (قوله وتجاوزها) بالحاء المهملة أي تجاوزها (قوله وبيارها) يقال فلان يبارى فلانا أي يعارضه (قوله وسير) بكسر السين المهملة وفتح المثناة التحتية جمع سيرة بسكون المثناة (قوله المشعار) بكسر الميم وسكون الشين المعجمة ثم عين مهملة وقيل معجمة بعدها ألف وراء، والهمداني بسكون الميم وبالذال نسبة إلى همدان قبيلة من اليمن. (*)

[٧١]

الهمداني وطهفة النهدي، وقطن بن حارثة العليمي والأشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندي وغيرهم من أقبال حضرموت وملوك اليمن، وانظر كتابه إلى همدان: (إن لكم فراعها ووهاطها وعزازها. تأكلون علافها، وترعون عفاءها، لنا من دفنهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة. ولهم من الصدقة الثلب

(قوله وطهفه) بكسر المهملة وسكون الهاء، والنهدي بفتح النون (قوله فطن) بالقاف والمهملة المفتوحتين بعدهما نون، وحارثة بالحاء المهملة والمثناة، والعليمي بضم العين المهملة وفتح اللام من بنى عليم (قوله من حجر) بضم الحاء المهملة وسكون الجيم (قوله من أقبال حضرموت) الأقبال بفتح الهمة وفتح المثناة من تحت ثم ألف ولام: جمع قبل بفتح القاف وسكون المثناة، وهو الملك من ملوك حمير، وحضرموت اسم لبلد باليمن ولقبيلة (قوله فراعها) هو بقاء مكسورة وراء وعين مهملة: ما علا من الأرض (قوله ووهاطها) بكسر الواو بالطاء المهملة جمع وهط بفتح الواو وسكون الهاء وهو المطمئن من الأرض (قوله عزازها) بفتح العين المهملة ويزائين مخففتين قال الهروي هو ما اشتد من الأرض وصلب وخشن (قوله علافها) بكسر العين المهملة وتخفيف اللام والفاء قال الهروي هو جمع علف يقال علف وعلاف كجمل وجمال (قوله عفاءها) بفتح العين المهملة وتخفيف الفاء والمد قال الهروي هو ما ليس فيه ملك (قوله من دفنهم وصرامهم) اللف بكسر المهملة وبالفاء الساكنة وبالهمز، والصرام بكسر المهملة وتخفيف الراء قال الهروي معناه من إلبهم وغنمهم وقيل سماها دفنا لأنها يتخذ من أوبارها وأصوافها ما يتدفون به (قوله الثلب) بكسر المثناة وسكون اللام بعدها موحدة قال الهروي هو من الذكور الذي هرم وتكسرت أسنانه. (*)

[٧٢]

والناب والفصيل والفاض الداجن والكيش الحواري وعليهم فيها الصالح والقارح وقوله لنهد: (اللهم بارك لهم في محضها ومخصها ومذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر له التمد وبارك لهم في المال والولد، من أقام الصلاة كان مسلما، ومن أتى الزكاة كان محسنا، ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مخلصا، لكم يا بنى نهد ودائع

(قوله والناب) بالنون والموحدة في آخره. قال الهروي قال أبو بكر هي الناقة الهرمة التي طال نابها وذلك من أمارات هرمها، والفاض الداجن فالفاض بالفاء والراء والصاد المعجمة المسن من الإبل، والداجن بالذال المهملة والجيم المكسورة: الدابة التي تألف البيت (قوله الحواري) بحاء مهملة وواو مفتوحتين وراء مكسورة وياء نسبة، قال ابن الأثير منسوب إلى الحور وهي جلود تتخذ من جلود الضان وقيل هو ما دبغ من

الجلود بغير قرظ وهو أحد ما جاء على أصله ولم يعل، كتاب، قال الكاشغري في كتابه مجمع الغريب: الحورى المكوى منسوب إلى الحورا وهى كية يقال حوره إذا كواه هذا الكية (قوله الصالح) بالصاد المهملة واللام المكسورة والغين المعجمة قال ابن الأثير هو من البقر والغنم الذى كمن وانتهى سنه في السنة السادسة ويقال بالسین انتهى (قوله والقارح) بالقاف والراء والحاء المهملة قال ابن الأثير: الفرس القارح وفى القاموس: القارح من ذوى الحافر بمنزلة البازل من الإبل (قوله لنهد) بفتح النون وسكون الهاء وبالذال المهملة: قبيلة من اليمن (قوله في محضها ومخضها) الأول بالحاء المهملة والصاد المعجمة: اللبن الخالص، والثانى بالمعجمتين وهو ما مخض من اللبن وأخذ زبده (قوله مذقها) هو بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وبالقاف: المزج والخلط والمراد هنا اللبن المخلوط بالماء (قوله في الدثر) يفتح الدال المهملة وسكون المثناة وبالراء: المال الكثير يقع على الواحد والاثنتين والجماعة، قاله ابن الأثير (قوله التمد) يفتح المثناة والميم وبالذال المهملة المال القليل (قوله ودائع الشرك) أي عهوده وموائيقه أعطيته ودبعا أي عهدا وقيل ما كانوا استودعوه (*).

[٧٣]

الشرك ووضائع الملك، لا نلطف في الزكاة ولا تلحد في الحياة ولا تتناقل عن الصلاة، وكتب لهم، في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والقريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس، لا يمنع سرحكم

من أموال الكفار الذين لم يدخلوا في الإسلام، أراد أنها حلال لهم لأنها مال كافر قدر عليه من غير عهد ولا شرط وبدل عليه قوله في الحديث: ما لم يكن عهد (قوله ووضائع) بفتح الواو والصاد المعجمة وفى آخره عين مهمله جمع وضيفة وهى الوضيفة على الملك وما يلزم الناس في أموالهم من الصدقة والزكاة يعنى لا يتجاوزها معكم ولا يزيد فيها وقيل معناه لا يأخذ منكم ما كان ملوكمم وضعوه عليكم بل هو لكم والأول يناسبه الملك بكسر الميم والثاني بضمها (قوله تلطط) بضم المثناة الفوقية وسكون اللام وكسر الطاء المهملة بعدها أخرى يقال لط الغريم وألط إذا منع الحق (قوله ولا تلحد) بضم المثناة الفوقية وسكون اللام وكسر الحاء وبالذال المهملتين قال ابن الأثير: أي لا يحصل منكم ميل عن الحق ما دتمم أحياء (قوله الفريضة) قال ابن الأثير: الفريضة المسنة الهرمة يعنى هي لكم لا يؤخذ منكم في الزكاة ويروى عليكم في الوظيفة الفريضة أي في كل نصاب ما فرض فيه انتهى (قوله الفارض) بالفاء وهى المسنة، وفى بعض النسخ بالعين المهملة وهى الناقة التى يصيبها كسر أو مرض فتخر، والقريش بالفاء والراء المكسورة والمثناة التحتية الساكنة والشين المعجمة قال الهروي قال العتبيى هي التى وضعت حديثا كالنفساء من النساء وقال الأصمعى فرس قريش إذا حمل عليها النتاج لسبع (قوله وذو العنان الركون) العنان بكسر العين المهملة سير اللجام قال ابن الأثير يريد الفرس الذلول لأنه يلجم ويركب (قوله والفلو) بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو: المهر، قال أبو بريد إذا فتحت الفاء شددت الواو وإذا كسرتها خففت فقلت فهو مثل جرو، والضبيس بفتح الضاد المعجمة وكسر الموحدة بعدها مثناة تحتية ثم سين مهمله قال الهروي هو العسر الصعب (قوله سرحكم) بفتح السين المهملة وإسكان الراء وبالحاء المهملة أي ماشيتكم. (*)

[٧٤]

ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق وتأكلوا الرباق، من أفر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن أبي فعليه الربوة) * ومن كتابه لوائل بن حجر: (إلى الأقيال العباهلة والأوراع المشابيب،

(قوله يعضد) بضم المثناة التحتية وسكون العين المهملة وفتح الضاد المعجمة بعدها دال مهملة أي يقطع، والطلح شجر عظام من شجر العطاء وأما قوله تعالي (وطلح منضود) فقال المفسرون هو شجر الموز وقيل الطلع (قوله ولا يحبس دركم) أي ذوات الدر أراد أن الماشية لا تحشر إلى المصدق وهو الذى يأخذ صدقات الماشية ولا يحبس عن المرعى إلى أن يجتمع ثم بعد لما في ذلك من الإضرار بها قاله ابن الأثير (قوله ما لم تضمروا الرماق) بكسر الراء بعدها ميم مخففة ففاه بعد الألف أي النفاق يقال رماقه رماقا وهو أن ينظر إليه شزرا نظر العداوة يعنى ما لم تضق قلوبكم عن الحق يقال عيشه رماق أي ضيق وعيش رماق أي يمسك الرماق وهو بقية الروح وآخر النفس قاله ابن الأثير (قوله وتأكلون الرباق) بكسر الراء وبالموحدة وألف ففاه جمع ربق بكسر الراء وهو الحبل فيه عدة عرى يشد به البيهم، الواحدة من العرى ربقة وفى الحديث خلع ربقة الإسلام من عنقه كذا في الصحاح، قال ابن الأثير شبه ما يلزم

الأعناق من العهد بالرياق واستعار الأكل ليقض العهد فإن البهيمة إذا أكلت الربق خلصت من الشدة (قوله والذمة) هي بمعنى العهد (قوله فعليه الربوة) بكسر الراء وفتحها أي من تقاعد عن أداء الزكاة فعليه الزيادة في الفريضة الواجبة عقوبة عليه (قوله العاهلة) يفتح العين المهملة فالوحدة بعدها ألف فهاء مكسورة فلام، في المصباح عباهلة اليمن ملوكهم الذين أقروا على ملكهم لا يزولون عنه (قوله والأرواع) بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الواو بعدها ألف فعين مهملة قال الهروي هي الحسان الوجوه يقال رائع وأرواع (قوله المشاييب) يفتح الميم والشين المعجمة الخفيفة بعدها ألف فموحدة فمثناة تحتية فموحدة قال الهروي أراد الرؤس السادة الزهر الأولوان، زاد ابن الأثير: واحداهم مشبوب كأنما أوقدت ألوانهم بالنار. (*)

[٧٥]

وفيه: في التبعة شاة لا مقورة الألياط ولا ضناك وأنطوا الشبجة وفي السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصغوه مائة

(قوله في التبعة) بكسر المثناة الفوقية فسكون المثناة التحتية فعين مهملة قال الهروي قال أبو عبيدة هي الأربعون من الغنم وقال أبو سعيد أدنى ما تجب من الصدقة كالأربعين من الغنم فيها شاة وخمس الإبل فيها شاة وأصله من التبع وهو الفئ يقال أتاع فيه فتاع (قوله لا مقورة الألياط) المقورة بضم الميم وفتح القاف وتشديد الواو بعدها راء: والألياط بفتح الهمزة وسكون اللام وتخفيف المثناة التحتية وفي آخره طاء مهملة قال الهروي يعنى لا مسترخية الجلود لهزالها من الانوار وهو الاسترخاء في الجلود والهزال، والألياط جمع ليط وهو الشعر اللانط بالعود يعنى اللانط به (قوله ولا ضناك) بكسر المعجمة وبالنون المخففة والكاف، قال الهروي: الضناك الكثير اللحم (قوله وأنطوا) بفتح الهمزة وسكون النون لغة يمانية في أعطوا، والثبجة: بالمثلثة فالموحدة فالجيم المفتوحات قال الهروي يعنى أعطوا الوسط في الصدقة ولا تعطوا من خيار المال ولا من رذالته وحشوه انتهى (قوله وفي السيوب) بالسين المهملة والمثناة التحتية المضمومتين والوحدة بعد الواو قال الهروي قال أبو عبيد: السيوب الركاز ولا أراه أخذ إلا من السيب وهو العطية قال ابن الأثير وقيل السيوب عروق من الذهب والفضة تسيب في المعادن أي يتلون فيها ويظهر (قوله مم بكر) قال ابن الأثير لغة أهل اليمن يبدلون لام التعريف ميما فعلى هذا تكون راء بكر مكسورة من غير تنوين لأن أصله (من البكر) فلما أبدل اللام ميما بقيت الحركة بحالها كقولهم بالحرث في بنى الحرث ويكون استعمل البكر موضع الأبقار والأشبه أن يكون نكرة منونة وقد أبدلت نون (من) ميما لأن النون الساكنة إذا كان بعدها باء قلبت في اللفظ ميما نحو منبر وعنبر فيكون التقدير من زنا من بكر انتهى ملخصا. فإن قيل ما ذكره من الأشبه لا يتأتى في قوله بعد ذلك مم ثيب؟ أجيب بأن القلب في مم ثيب على هذه المناسبة مم بكر لوقوع الباء الموحدة بعد النون والعرب كثيرا ما يخرجون الكلام عن الأصل إلى غيره للمناسبة كقولهم ما قدم وحدث بضم الدال من حدث لمناسبة قدم والأصل حدث بفتح الدال (قوله فاصغوه) بهمزة وصل وصاد مهملة وقاف مفتوحة وعين مهملة مضمومة. (*)

[٧٦]

واستوفضون عاما ومن زنى مم ثيب فضرجه بالأضاميم ولا توصيم في الدين ولا عمه في فرائض الله وكل مسكر حرام) ووائل بن حجر يترفل على الأفيال، أين هذا من كتابه لأنس في الصدقة المشهور لما كان كلام هؤلاء على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط وأكثر استعمالهم هذه الألفاظ؟ استعمالها معهم ليبين للناس ما نزل إليهم وليحدث الناس بما يعلمون، وكقوله في حديث عطية السعدى: (فإن اليد العليا هي المنطية

قال ابن الأثير أي اضربوه وأصل الصقع الضرب على الرأس وقيل الضرب ببطن الكف (قوله واستوفضون) بهمزة وصل وسين مهملة ومثناة فوقية مفتوحة وواو ساكنة وفاء مكسورة وضاد معجمة قال الهروي أي غربوه وانفواه واطردوه وأصله من استوفضت الإبل إذا تفرقت في رعيها (قوله فضرجه) بالصاد المعجمة المفتوحة والراء المشددة المكسورة والجيم قال الهروي التضريح التدمية وقال ابن الأثير ضرجه بالأضاميم أي دموه بالضرب (قوله بالأضاميم) بفتح الهمزة وتخفيف الضاد المعجمة وميمين بينهما مثناة من تحت قال الهروي يعنى جماهير الحجاز يرد الرجم واحدهما إضمامة لأن

بعضها ضم إلى بعض وكذلك في جماعات الناس الكتب (قوله ولا توصيم) بفتح المثناة الفوقية وسكون الواو وكسر الصاد المهملة قال الهروي يقول لا تفتروا في إقامة الحد ولا تحابوا فيه والوصم الكسل والتواني (قوله ولا غمة) بضم الغين المعجمة وتشديد الميم قال ابن الأثير لا تستر ولا تخفى فرائضه (قوله يتفرل) بتشديد الفاء المفتوحة قال ابن الأثير أي يتسود ويتراس استعارة من ترفيل الثوب وهو إسباغه وإسباله (قوله أين هذا من كتابه لأنس) قيل لم يكتب صلى الله عليه وسلم إلى أنس وإنما أبو بكر هو الذي كتب إليه وأجيب بأن الدارقطني ذكر بإسناد صحيح رواية أنس لهذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر أبو داود عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب كتاب الصدقة ولم يخرجه فعمل به أبو بكر وعمر (قوله فإن اليد العليا هي المنطية) في الصحيحين عن (*)

[٧٧]

واليد السفلى هي المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا. وقوله في حديث العامري حين سأله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم (سل عنك) أي سل عما شئت وهي لغة بني عامر وأما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب، ومنها مالا يوازي فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله: (المسلمون تتكافؤ دماؤهم ويسعى

ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر وذكر الصدقة والتعفف عن المسألة (اليد العليا خير من اليد السفلى) والعليا هي المنفقة والسفلى هي السائلة ورواه مالك وأبو داود والنسائي قال أبو داود وقد اختلف على أيوب عن نافع في هذا الحديث فقال عبد الوارث، اليد العليا المتعفة وقال أكثرهم عن حماد بن زيد عن أيوب: المنفقة، وقال واقد عن حماد المتعفة قال الخطابي رواية المتعفة أشبه وأصح في المعنى لأن ابن عمر ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هذا الكلام وهو يذكر الصدقة والتعفف عنها، فعطف الكلام على سببه الذي خرج عليه وعلى ما يطابقه في معناه أولى وقد يتوهم كثير من الناس أن معنى العليا أن يد المعطى مستعلية فوق يد الأخذ يجعلونه من علو الشئ إلى فوق وليس ذلك عندي بالوجه وإنما هو من علا المجد والكرم يريد التعفف عن المسألة والرفع عنها انتهى كلامه (قوله الدواوين) هو جمع ديوان بكسر الدال المهملة وقد تفتح فارسي معرب وفي الصحاح أصله دووان فعوض عن إحدى الواوين ياء، وسبب تسميته ديوانا وجهان أحدهما أن كسرى اطلع يوما على كتاب ديوانه فراهم يحسبون مع أنفسهم فقال دوانت أي مجانيين ثم حذفت التاء لكثرة الاستعمال والثاني أن الديوان بالفارسية اسم للشياطين فسمى الكتاب باسمهم لحذقهم بالأمور ووقوفهم على الجلى والخفى (قوله يوازي) بضم المثناة التحتية وبالراء المفتوحة أي يماثل ويقابل (قوله تكافؤ) أي تتكافؤ فحذف إحدى التائين والمعنى يتساوى ويتمثل في القصص والديات. (*)

[٧٨]

بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم) * وقوله (الناس كأسنان المشط والمرء مع من أحب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم) * وقوله (أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن أحبكم إلى وأقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطون أكنافا الذين يالفون ويؤلفون) وقوله (لعله كان يتكلم بمالا يعنيه ويخجل بما لا يعنيه) وقوله (ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه عن قبل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ومنع وهات وعقوق الأمهات

(قوله وهم يد) أي جماعة (قوله كأسنان المشط) هو بضم الميم وكسرها وسكون الشين المعجمة (قوله أحاسنكم) جمع حسن (قوله الموطون) بضم الميم وفتح الواو والطاء المشددة المهملة وبالهمزة المضمومة اسم مفعول من التوطئة والتمهيد (قوله

والأكناف) بالنون بعد الكاف الجوانب، أراد الذين جوانبهم وطبئة يتمكن من صاحبها ولا يتأذى (قوله نهي عن قيل وقال) أي ما يتحدث به المتجالسون من قولهم قيل كذا وقال كذا، ويجوز بناؤهما على أنهما فعلان ما ضيان مستتر في كل منهما ضمير، وإعرابهما على إجرانهما مجرى الأسماء ولا ضمير فيهما، وقال أبو عبيد هما مصدران يقال قلت قولاً وقالاً وقيلاً وقيل المراد النهى عن كثرة الكلام ابتداءً وجواباً، وقيل المراد حكاية أقوال الناس والتحدث عما لا يجدى، قال ذلك كله ابن الأثير (قوله وكثرة السؤال) قيل أراد مسألة الناس أموالهم وقيل كثرة البحث عن أخبار الناس ومالا يعنى وقيل كثرة سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عما لم ينزل ولم يؤذن به (قوله وإضاعة المال) هو إنفاقه فيما حرم الله وقيل ترك القيام عليه وإهماله وقيل دفع مال السفينة إليه (قوله ومتع وهات) أي منع ما عليه إعطاؤه وطلب ما ليس له (قوله وعقوق الأمهات) يقال عق والده يعقه عقوقاً إذا آذاه (*)

[٧٩]

وواد البنات وقوله (اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وخير الأمور أوساطها) وقوله (أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما) وقوله (الظلم ظلمات يوم القيامة) وقوله في بعض دعائه (اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها أمرى وتلم بها شعثي وتصالح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكى بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها الفتى وتعصمني بها من كل سوء اللهم إني أسألك الفوز عند القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء) إلى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وأدعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف أنه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقاً لا يقدر قدره وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق

وعصاه وأصله الشق والقطع وإنما خص الأمهات لأن عقوقهن أقبح من عقوق الآباء (قوله وواد البنات) هو بهمزة ساكنة بعد واو مفتوحة دفنهن حيات غيرة وأنفة وتخفيفاً لمؤنثتهن (قوله هونا ما) أي حيا قليلاً، والهون في الأصل السكينة ومصدر هان بمعنى خف (قوله أسألك رحمة من عندك) قيل الأشياء كلها من عند الله فما معنى التقييد بقوله من عندك؟ وأجيب بأن معناه رحمة لا في مقابلة عمل عملته (قوله تلم) يفتح المثناة الفوقية وضم اللام، وشعثي يفتح الشين المعجمة والعين المهملة وكسر المثناة أي تجمع ما تفرق من أمرى (قوله نزل الشهداء) النزل بضم النون والزي ما يهيا للضيف (قوله الكافة عن الكافة) في الصحاح الكافة جمع من الناس، يقال لقيتهم كافة أي جميعهم انتهى، وعن سيبويه إن التعريف في كافة لا يجوز وإنما استعمل منكراً منصوباً على الحال كقاطبة (قوله سبقاً) بفتح السين المهملة (*)

[٨٠]

إليها ولا قدر أحد أن يفرغ في قلبه عليها كقوله، حمى الوطيس، ومات حتف أنفه، لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره) في أخواتها ما يدرك الناظر العجب في مضمونها ويذهب به الفكر في أداني حكمها وقد قال له أصحابه ما رأينا الذي هو أفصح منك فقال، وما يمنعني وإنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين وقال مرة أخرى) أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش ونشأت في بني سعد، فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها إلى التأييد الإلهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري، وقالت أم معبد في وصفها له

ويسكون الموحدة مصدر سبق يسبق ويفتحها المال الذي يؤخذ رهناً على المسابقة (قوله في قلبه) بفتح اللام وكسرها والفتح أكثر (قوله الوطيس) بواو مفتوحة وطاء مهملة مكسورة ومثناة تحتية ساكنة وسين مهملة اسم لشئ يشبه التنور وقيل

الضراب في الحرب، وقيل الوطوس الذي يطس الناس أي يدقهم وقال الأصمعي حجارة مدورة إذا حميت لم يقدر أحد يطؤها (قوله ومات حتف أنفه) أي من غير قتل ولا ضرب قيل كيف يكون هذا من الألفاظ التي لم يسبق بها صلى الله عليه وسلم وقد قال السموءل من قصيدة لامية اختارها أبو تمام في حماسته. وما مات منا سيد حتف أنفه * ولا ظل منا حيث كان قتيل وأجيب بأن القصيدة المذكورة اختلف في قائلها فقيل السموءل وقيل عبد الملك الحارثي وهو إسلامي (قوله بيد) بالموحدة والمثناة التحتية الساكنة والدال المهملة قال ابن مالك وغيره بمعنى غير على حد قوله. ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتاب (*).

[٨١]

حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقة خزرات نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة صلى الله عليه وسلم. (فصل) وأما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه فما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه ولا ببال مشكل ولا خفي منه فإنه نخبة بنى هاشم وسلالة قريش وصميمها وأشرف العرب وأعزهم نفرا من قبل أبيه وأمه ومن أهل مكة من أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده، حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفى رحمه الله قال حدثنا القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف قال حدثنا أبو ذر عبد بن أحمد حدثنا أبو محمد السرخسى وأبو إسحق وأبو الهيثم قالوا حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا محمد بن اسماعيل قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبرى عن

وقال ابن هشام في المغنى هي هنا بمعنى من أجل (قوله فصل) بالفاء المفتوحة والصاد الساكنة المهملة (قوله لا نزر) بفتح النون وسكون الزاي بعدها راء أي لا قليل، فيدل على عدم القدرة على الكلام (قوله ولا هذر) باسكان الذال المعجمة وبعدها راء مصدر هذر إذا كثر كلامه (قوله نخبة) النخبة بضم النون وسكون الخاء المعجمة بعدها موحدة: الخيار (قوله حلالة قريش) سلالة الشئ ما استل منه (قوله السرخسى) هو الحموى وقد تقدم (قوله وأبو إسحق) هو إبراهيم بن أحمد المستملى (قوله وأبو الهيثم) هو محمد بن مكى من زارع (قوله عن عمرو وهو ابن أبى عمرو مولى المطلب يروى عن أنس وعكرمة) (قوله عن سعيد المقبرى) هو سعيد ابن أبى سعيد المقبرى واسم أبى سعيد كيسان وكنية (٦ - ١) (*).

[٨٢]

أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذى كنت منه) وعن العباس رضى الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير قريش ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسا وخيرهما بيتا، وعن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم) قال الترمذي وهذا حديث صحيح، وفى حديث عن ابن عمر رضى الله عنهما رواه الطبري أنه صلى الله عليه وسلم قال (إن الله عز وجل اختار خلقه فاختر منهم بنى آدم ثم اختار بنى آدم فاختر منهم العرب ثم اختار العرب فاختر منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختر منهم بنى هاشم ثم اختار بنى هاشم فاخترني منهم فلم أزل خيارا من خيار ألا من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم) وعن ابن

سعيد أبو سعيد، روى عن أبي هريرة وعائشة وخلق، وروى عنه الليث ومالك وخلق (قوله من خير قرون بنى آدم) القرن أهل كل زمان وقيل أربعون سنة وقيل ستون وقيل سبعون وقيل ثمانون وقيل مائة وقيل مائة وعشرون (قوله وعن وائلة) بمثلثة مكسورة (ابن الأسقع) بسين مهملة وقاف مفتوحة وعين مهملة (قوله رواه الطبري (هو الحافظ محمد بن جرير: أحد الأعلام توفى سنة عشر وثلاثمائة. (*))

[٨٣]

عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت روحه نورا بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فأهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح وقذف بي في صلب إبراهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجني من أبوي لم يلتقيا على سفاح قط، ويشهد بصحة هذا الخير شعر العباس المشهور في مديح النبي صلى الله عليه وسلم. (فصل) وأما ما تدعو ضرورة الحياة إليه مما فصلناه فعلى ثلاثة أضرب: ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب تختلف الأحوال فيه، فأما ما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم، ولم تزل العرب والحكماء تتماذج بقلتهما وتذم بكثرتهما لأن كثرة الأكل والشرب دليل على النهم والحرص والشهوه وغلبة الشهوة، مسبب لمضار الدنيا والآخرة جالب لأدواء

(قوله شعر العباس) هو: من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق، وسيأتى تمامه في كلام المصنف إن شاء الله تعالى (قوله كالغذاء) بكسر العين وبالدال المعجمتين: ما يتغذى به من الطعام والشراب، وأما الغداء بفتح العين المعجمة وبالدال المهملة هو الطعام بعينه وهو خلاف العشاء (قوله النهم بفتح النون والهاء: هو إفراط الشهوة في الطعام (قوله والشهوه) بفتح الشين المعجمة والراء. هو غلبة الحرس (قوله مسبب) بكسر الموحدة الأولى. (*))

[٨٤]

الجسد وختارة النفس وامتلاء الدماغ، وقلته دليل على القناعة وملك النفس، وقمع الشهوة مسبب للصحة وشفاء الخاطر وحدة الذهن، كما أن كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف، وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وفساوة القلب وغفلته وموته، والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواترا من كلام الأمم المتقدمة والحكماء السالفيين وأشعار العرب وأخبارها وصحيح الحديث وأثار من سلف وخلف مما لا يحتاج إلى الاستشهاد عليه وإنما تركنا ذكره هنا اختصارا وإقتصارا على اشتهار العلم به، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخذ من هذين الفين بالأقل، هذا ما لا يدفع من سيرته وهو الذي أمر به وحض عليه لا سيما بارتباط أحدهما بالآخر: حدثنا أبو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه قال حدثنا أبو الفضل الأصفهاني قال حدثنا أبو نعيم الحافظ قال حدثنا

(قوله وختارة النفس) بخاء معجمة وئاء مثلثة مخففة وراء، في الصحاح خترت نفسه بالفتح أي اختلطت وقوم خترى الأنف ختراء الأنف أي مختلطون وقال ابن الأثير في حديث (أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم خائر النفس) أي ثقیل النفس غير طيب ولا نشيط (قوله وملك النفس) بكسر الميم (قوله علي الفسولة) بضم الفاء والسین المهملة يقال فسل بالضم فسالة وفسولة فهو فسيل أي رزل (قوله أبو الفضل الأصفهاني) هو ابن حبرون وقد تقدم قال القاضي عياض قال أبو عبيد: إصبهان بكسر الهمزة وقال بعضهم بفتحها وأهل خراسان يقولون بالفاء مكان الباء وقال الكاشغري

في كتاب (مجمع الغرائب) كسر الهمزة هو الصحيح بالباء كان أو بالفاء، قال المزى، المعروف فتح الهمزة والباء مفتوحة لا غير وقد تبدل بالفاء، (*)

[٨٥]

سليمان بن أحمد قال حدثنا أبو بكر بن سهل قال حدثنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح أن يحيى بن جابر حدثه عن المقدم ابن معد يكرب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه، حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فتلت لطعامه وتلت لشربه وتلت لنفسه، ولأن كثرة النوم من كثرة الأكل والشرب قال سفيان الثوري بقلة الطعام يملك سهر الليل، وقال بعض السلف: لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا، وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان أحب الطعام إليه ما كان على ضفف (أي كثرة الأيدي) وعن عائشة رضی اللہ عنہا: لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شيئا قط، وأنه كان في أهله لا يسألهم طعاما ولا يتشبهه إن أطعموه أكل وما أطعموه قبل وما سقوه شرب، ولا يعترض على هذا بحديث بريرة وقوله (ألم أر البرمة فيها لحم) إذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله عليه وسلم اعتقادهم أنه لا يحل له فأراد بيان سنته، إذ رأهم لم يقدموه إليه

(قوله أكلات) بضم الهمزة والكاف وفتح اللام جمع أكلة بضم الهمزة وسكون الكاف وهى اللقمة، وأما الأكلة بفتح الهمزة وسكون الكاف فالمرة من الأكل (قوله على ضفف) بصاد معجمة وفاء مفتوحتين بعدهما فاء أخرى فسر القاضى بكثرة الأيدي وهو قول الخليل وفسره أبو يزيد بالضيق والشدة قال الأسمعي أن تكون الأكلة أكثر من الطعام (قوله بريرة) بفتح الموحدة وكسر الراء الأولى هي مولاة عائشة وهى بنت صفوان، كذا نسبها النووي، قال بعضهم قبطية وقال الذهبى حبشية، (*)

[٨٦]

مع علمه أنهم لا يستأثرون عليه به فصدق عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه من أمره بقوله (هو لها صدقة ولنا هدية) وفى حكمة لقمان: يا بنى إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وفعدت الأعضاء عن العبادة، وقال سحنون: لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع، وفى صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم (أما أنا فلا أكل متكئا) والاتكاء هو التمكن للأكل والتعقد فى الجلوس له كالمترب وشبهه من تمكن الجلسات التى يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعى الأكل ويستكثر منه، والنبي صلى الله عليه وسلم إنما كان جلوسه للأكل جلوس المستوفز مفعيا ويقول (إنما أنا عبد أكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد) وليس معنى الحديث فى الاتكاء الميل على شق عند المحققين، وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك الآثار الصحيحة، ومع ذلك فقد قال صلى الله عليه وسلم (إن عينى تنامان ولا ينام قلبى) وكان نومه على جانبه الأيمن استظهارا على قلة النوم لأنه على الجانب الأيسر أهنا لهدو القلب وما يتعلق به من الأعضاء الباطنة

(قوله لقمان) قال الثعلبي فى تفسيره كان لقمان مملوكا وكان أهون مملوكي سيده عليه، وروى أنه كان عبدا حبشيا نجارا واسم أبيه أنعم وقيل ما ثان وقيل مكشورا (قوله المعدة) بكسر العين المهملة مع فتح الميم وباسكان العين المهملة مع فتح الميم وكسرهما وبكسرهما (قوله مفعيا) قال الهروي قال ابن شميل الإقعاء أن يجلس على وركيه وهو الاحتفاز والاستنصار، (*)

حينئذ لميلها إلى الجانب الأيسر فيستدعى ذلك الاستئصال فيه والطول، وإذا نام النائم على الأيمن تعلق القلب وقلق فأسرع الافافة ولم يغمره الاستغراق. (فصل) والضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرتة والفخر بوفوره كالنكاح والجاه. أما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فإنه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرتة عادة معروفة والتماذج به سيرة ماضية، وأما في الشرع فسنة مأثورة، وقد قال ابن عباس: أفضل هذه الأمة أكثرها نساء، مشيرا إليه صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم (تناكحوا تناسلوا فإنى مياه بكم الأمم) ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغمض البصر اللذين نبه عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله (من كان ذا طول فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج) حتى لم يره العلماء مما يقدر في الزهد، قال سهل ابن عبد الله: قد حبين إلى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن ؟ ونحوه

(قوله لم يغمره) بالغين المعجمة وسكون الراء من غمره الماء إذا علاه (قوله فإنى مياه) الذى في سنن أبى داود والنسائي وابن ماجه (فإنى مكاث بكم الأمم) (قوله عن التبتل) هو الانقطاع عن النساء وترك النكاح، وامرأة يتول منقطعة عن الرجال، وبه سميت أم عيسى عليه السلام وسميت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم لانقطاعها عن النساء، فضلا ودينا وحسبا وقيل لانقطاعها عن الدنيا (قوله من كان ذا طول) الطول بفتح الطاء المهملة وإسكان الواو: الفضل والمقدرة. (*)

لابن عيينة، وقد كان زهاد الصحابة رضى الله عنهم كثيرى الزوجات والسرارى كثيرى النكاح، وحكى في ذلك عن على والحسن وابن عمر وغيرهم غير شئ، وقد كره غير واحد أن يلقى الله عزيا. فإن قيل كيف يكون النكاح وكثرتة من الفضائل وهذا يحيى بن زكريا عليه السلام قد أثنى الله تعالى عليه أنه كان حصورا، فكيف يتنى الله عليه بالعجز عما تعده فضيلة وهذا عيسى ابن مريم عليه السلام تبتل من النساء ولو كان كما قررتة لنكح ؟ فاعلم أن ثناء الله تعالى على يحيى بأنه حصور ليس كما قال بعضهم إنه كان هيوبا أو لا ذكر له بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا يليق بالأنبياء عليهم السلام وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب أي لا يأتيها كأنه حصر عنها، وقيل مانعا نفسه من الشهوات، وقيل ليست له شهوة في النساء. فقد بان لك من هذا أن عدم القدرة على النكاح نقص وإنما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها إما بمجاهدة كعيسى عليه السلام أو بكفاية من الله تعالى كيحيى

(قوله عزيا) بفتح المهملة والزاي: من لا أهل له، كذا في القاموس (قوله يحيى بن زكريا) هو من ذرية سليمان بن داود صلوات الله عليهم أجمعين (قوله إنه كان هيوبا) الهيوب بفتح الهاء وضم المثناة التحتية الذى يهاب الفعل المعروف، في الصحاح وفى الحديث (الإيمان هيوب) أي صاحبه يهاب المعاصي (قوله حصور) الحصور الذى يحبس نفسه عما يكون من الرجال مع النساء، وقيل شهوات الدنيا كلها (فعلول) بمعنى مفعول كما يقال ناقة حلوب. (*)

عليه السلام فضيلة زائدة لكونها مشغلة في كثير من الأوقات حاطة إلى الدنيا، ثم هي في حق من أقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم يشغله عن ربه درجة علياء وهي درجة نبينا صلى الله عليه وسلم الذي لم تشغله كثرتهم عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة لتحسينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهديته إياهن بل صرح أنها ليست من حظوظ دنياه هو وإن كانت من حظوظ دنيا غيره فقال عليه السلام (حبيب إلى من دنياكم) فدل أن حبه لما ذكر من النساء والطيب اللذين هما من أمر دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه بل لآخرته، للفوائد التي ذكرناها في التزويج وللقاء الملائكة في الطيب ولأنه أيضا مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك أسبابه، وكان حبه لهاتين الخصلتين لأجل غيره وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز بين الحبين وفصل بين الحاليين فقال (وجعلت قرة عيني في الصلاة) فقد ساوى يحيى وعيسى في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن، وكان صلى الله عليه وسلم ممن أقدر على القوة في هذا وأعطى الكثير منه ولهذا أبيح له من عدد الحرائر ما لم يباح لغيره، وقد روينا عن أنس أنه صلى الله عليه

(قوله حاطة) بالحاء والطاء المشددة المهملتين (قوله أقدر) بضم الهمة وكسر الدال (قوله ولم يشغله) بفتح المثناة التحتية في أوله (قوله وقد روينا) قال المزى يقال روينا بفتح الراء والواو وروينا بضم الراء وكسر الواو المشددة. (*)

[٩٠]

وسلم كان بدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة، قال أنس وكنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين رجلا خرجة النسائي، وروى نحوه عن أبي رافع، وعن طاووس أعطى عليه السلام قوة أربعين رجلا في الجماع، ومثله عن صفوان بن سليم، وقالت سلمى مولاته: طاف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه التسع

(قوله وهن إحدى عشرة) هكذا في صحيح البخاري عن أنس وفيه أيضا عنه تسع نسوة وجمع بينهما بأن أزواجه كن تسعا في هذا الوقت وسريرته مارية وريحانة على رواية من روى أن ريحانة كانت أمة وروى بعضهم أنها كانت زوجة وقال ابن حبان حكى أنس هذا الفعل منه في أول قدومه المدينة حيث كانت تسع نسوة ولا نعلم أنه تزوج نساءه كلهن في وقت واحد ولا يستقيم هذا إلا في آخر أمره حيث اجتمع عنده تسع نسوة وجاريتان ولا نعلم أنه اجتمع عنده إحدى عشرة امرأة بالتزويج فإنه تزوج بإحدى عشر أولهن خديجة ولم يتزوج عليها حتى ماتت (قوله قال أنس) وكنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين) في الحلية لأبي نعيم عن مجاهد أعطى قوة أربعين رجلا كل رجل من رجال أهل الجنة انتهى، وروى الترمذي أن رجال أهل الجنة قوة كل رجل منهم بقوة سبعين رجلا وصححه وروى بقوة مائة رجل وقال صحيح غريب (قوله وروى نحوه عن أبي رافع) هو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل اسمه إبراهيم وقيل أسلم وقيل ثابت وقيل هرمز وقيل صالح كان قبطيا، والذي رواه أبو رافع أخرجه الترمذي في الطهارة والنسائي في عشرة النساء أنه عليه السلام طاف على نسائه بغتسل عند هذه وعند هذه: الحديث (قوله وعن طاووس) هو ابن كيسان اليماني، وقيل اسمه ذكوان فلقب بطاووس، قال ابن معين لأنه كان طاووس القراء (قوله صفوان ابن سليم) بضم السين المهملة وفتح اللام إمام جليل (قوله سلمى) بفتح السين المهملة بلا خلاف هي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل مولاة صفية وهي زوج أبي رافع وداية فاطمة الزهراء. (*)

[٩١]

وتطهر من كل واحدة قبل أن يأتي الأخرى وقال (هذا أطيّب وإطهر)، وقد قال سليمان عليه السلام لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين، وإنه فعل ذلك، قال ابن عباس: كان في ظهر سليمان ماء مائة رجل وكان له ثلاثمائة امرأة وثلاثمائة سرية، وحكى النقاش وغيره سيعمانية امرأة وثلاثمائة سرية، وقد كان لداود عليه السلام على زهده وأكله من عمل يده تسع وتسعون امرأة وتمت بزوج أو رياء مائة، و قد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى (إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة) وفي حديث أنس عنه عليه السلام) فضلت على الناس بأربع: بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش) * وأما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب وقد قال الله تعالى في صفة عيسى عليه السلام (وجيها في الدنيا والآخرة) لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الآخرة: فلذلك ذمه من ذمه

(قوله سليمان) كان أبوه داود عليه السلام يشاوره في أمور مع صغر سنه، قال أهل التاريخ: كان عمر سليمان ثلاثاً وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلاث عشر سنة وابتدأ بناء بيت المقدس بعد ابتداء ملكه بأربع سنين يعنى ابتداء تجديده لأن يعقوب هو الذى بناه، وبهذا - أعنى بكون يعقوب هو الذى بناه - يتبين ما في الصحيحين من حديث أبي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع في الأرض قال (المسجد الحرام) قلت ثم أي؟ قال (المسجد الأقصى) قلت كم بينهما؟ قال (أربعون عاماً) (قوله وثلاثمائة سرية) في المستدرک للحاكم في ترجمة عيسى ابن مريم أن سليمان عليه السلام كان له تسعمائة سرية (قوله أو رياء) بهمزة مضمومة وواو ساكنة وراء مكسورة ومثناة تحتية ومدة. (*)

[٩٢]

ومدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الأرض، وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون أصحابه ويقصدون أذاه في نفسه خفية حتى إذا واجههم أعظموا أمره وقضوا حاجته. وأخباره في ذلك معروفة سياطي بعضها، وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روى عن قيلة أنها لما رأته أرعدت من الفرق فقال (يا مسكينة عليك السكينة)، وفي حديث أبي مسعود أن رجلاً قام بين يديه فأرعد فقال له (هون عليك فإني لست بملك) الحديث * فأما عظيم قدره * بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وإنافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فأمر هو مبلغ النهاية، ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم، وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم بأسره. (فصل) وأما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات في التمدح

(قوله عند الجاهلية) هي ما قبل مبعثه عليه السلام، سموا بذلك لكثرة جهالاتهم، كذا قال النووي (قوله يفرق) بفتح المثناة التحتية وسكون الفاء وفتح الراء أي يفرق (قوله قيلة) بفتح القاف وسكون المثناة التحتية وهي قيلة بنت محرمة العنبرية في الشمائل للترمذي أنها رأته عليه السلام وهو قاعد القرفصاء قالت فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أرعدت من الفرق وفي الصحاح اثنتان آخرتان كل واحدة منهما قيلة: الأولى قيلة أم بنى أنمار ويقال أخت بنى أنمار والثانية قيلة الخزاعية أم سباع (قوله فأرعد) بضم الهمزة وكسر العين أي أخذته الرعدة (قوله وإنافة رتبته) الإنافة بكسر الهمزة مصدر أناف على الشئ أشرف عليه وأنافت الدراهم على المائة زادت (*)

[٩٣]

به والتفاخر بسببه والتفضيل لأجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به إلى حاجاته وتمكن أعراضه بسببه وإلا فليس فضيلة في نفسه، فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منقفا له في مهماته ومهمات من اعتراه وأمله وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه عند أهل الدنيا، وإذا صرفه في وجوه البر وأنفقه في سبل الخير وقصد بذلك الله والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال، ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل أوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة، فإذا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله ليس لنفسه وإنما هو للتوصل به إلى غيره وتصريفه في متصرفاته، فجامعه إذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه غير ملئ بالحقيقة ولا غنى بالمعنى ولا ممتدح

(قوله توصله) بفتح أوله وثانيه وتشديد الصاد المهملة المضمومة (قوله من اعتراه يقال عراه هذا الأمر واعتراه أي عشيته (قوله عاد كثره) الكثر بضم الكاف: المال الكثير يقال ماله قل ولا كثر (قوله وكان منقصة) بفتح القاف وكسرها (قوله على جدد السلامة) الجدد بفتح الجيم وبدالين مهملتين أولهما مفتوحة: الأرض الصلبة، وفي البيان: الجدد المستوى من الأرض (قوله في هوة) الهوة بضم الهاء وتشديد الواو المفتوحة: الوهدة العميقة (قوله غير ملئ) بالهمزة في آخره، في الصحاح يقال ملؤ الرجل صار مليا أي ثقة فهو غنى ملئ بين الملاء والملاءة ممدودان (*)

[٩٤]

عند أحد من العقلاء بل هو فقير أبدا غير واصل إلى غرض من أغراضه، إذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه، فاشبهه خازن مال غيره ولا مال له فكأنه ليس في يده منه شيء، والمنفق ملئ غنى بتحصيله فوائد المال وإن لم يبق في يده من المال شيء، فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد أوتى خزائن الأرض ومفاتيح البلاد وأحلت له الغنائم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دأبى ذلك من الشام والعراق وحبلى إليه من أخماسها وجزبتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك إلا بعضه، وهادته جماعة من ملوك الأقاليم فما استأثر بشيء منه ولا أمسك منه درهما بل صرفه مصارفه وأغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال (ما يسرنى أن لى أحدا ذهبا يبيت عندي منه دينار إلا دينار أرصده لدين) وأتته دنانير مرة فقسماها وبقيت

(قوله وجميع جزيرة العرب) قال الأصمعي هو ما بين أقصى عدن إلى ريف العراق في الطول ومن جدة وما والها إلى أطراف الشام في العرض، وقال أبو عبيدة هو ما بين حفر أبي موسى الأشعري إلى أقصى اليمن في الطول وما بين رمل سر من رأى إلى منقطع السماوة في العرض (قوله من الشام) بهمزة ساكنة وقد تخفف وتذكر وتؤنث ويقال أيضا شام بفتح الأول والثاني على وزن فعال والمشهور أن حده من العريش إلى الفرات طولا وقيل إلى نابلس ومن جبل طيبئ من نحو القبلة إلى نحو الروم وما يسامت ذلك من البلاد. قال ابن عساكر في تاريخه دخول الشام عشرة آلاف عين رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله لو أن لى أحد) بضم همزة والمهملة جبل معروف بالمدينة. (*)

[٩٥]

منها ستة فدفعها لبعض نسائه فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال: (الآن استرحت) ومات ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته إليه وزهد فيما سواه، فكان يلبس ما وجده فيليس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره أقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر، إذ المباهاة في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهى من سمات النساء، والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه ليس مثله غير مسقط لمروءة جنسه مما لا يؤدي إلى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك، وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس إنما يعود إلى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير آلاته وخدمه

(قوله ودرعه مرهونة) الدرع بكسر الدال المهملة وسكون الراء: الزردية، مؤنثة، والجمع القليل أدرع وأدراع، فإذا كثرت فهى الدروع وتضغيرها دريع على غير قياسه لأن قياسه بالهاء، وحكى أبو عبيد أن الدرع يذكر ويؤنث، وأما درع المرأة - وهو قميصها - فمذكر والجمع أدراع، وكان له صلى الله عليه وسلم سبع أدراع: ذات الفضول سميت بذلك لطولها أرسلها إليه سعد بن عبادة حين سار إلى بدر، وفى الهدى لابن قيم الجوزية إنها التى رهنها صلى الله عليه وسلم وذات الوشاح وذات الحواشى والسعدية والفضة أصابها من بنى قينقاع، ويقال السعدية كانت درع داود التى لبسها لقتال جالوت البتراء والجونق (قوله المخوصة) بضم الميم فمعجمة مفتوحة فواو مشددة مفتوحة: أي المنسوجة بالذهب كخوص النخل قاله ابن الأثير (قوله نقاوة الثوب) النقاوة - بفتح النون - النظافة، وبضمها. الخيار (قوله وسعة المنزل) بفتح السين المهملة (*)

[٩٦]

ومركوباته، ومن ملك الأرض وجبى إليه ما فيها وترك ذلك زهدا وتنزهها فهو حائز لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذا الخصلة إن كانت فضيلة زائد عليها في الفخر ومعرف في المدح بإضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها في مظانها. (فصل) وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة والأداب الشريفة التى اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه وأثنى الشرع على جميعها وأمر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بأنه من أجزاء النبوة وهى المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس وأوصافها والتوسط فيها دون الميل إلى منحرف أطرافها، فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال إلى غايتها حتى أثنى الله عليه بذلك فقال تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) قالت عائشة رضى الله عنها: كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه، وقال صلى الله عليه وسلم (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، قال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا، وعن على بن

(قوله ومعرف بضم الميم وسكون العين المهملة وكسر الراء، في الصحاح أعرق الرجل صار عريقا وهو الذى له عرق في الكرم (قوله بإضرابه) بكسر الهمزة مصدر اضرب أي أعرض (قوله يرضى برضاه) أي يرضى برضاء القرآن ويسخط بسخط القرآن، يعنى أن رضاه لم يكن إلا لأوامر الله، وسخطه لم يكن إلا لنواهيه، (*)

[٩٧]

ابى طالب رضى الله عنه مثله، وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها في أصل خلقته وأول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة إلا بجود إلهى وخصوصية ربانية، وهكذا لسائر الأنبياء، ومن طالع

سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال عيسى وموسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم السلام بل غزت فيهم هذه الأخلاق في الجيلة وأودعوا العلم والحكمة في الفطرة قال الله تعالى (وآتيناها الحكم صبيا) قال المفسرون: أعطى الله يحيى العلم بكتاب الله تعالى في حال صباه، وقال معمر: كان ابن سنتين أو ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب؟ فقال (ألعب خلقت)؟ وقيل في قوله تعالى (مصدقا بكلمة من الله) صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث سنين فيشهد له أنه كلمة الله وروحه، وقيل صدقه وهو في بطن أمه فكانت أم يحيى تقول لمريم إني أجد ما في بطني يسجد لما في بطني تحية له، وقد نص الله تعالى على كلام عيسى لأمه عند ولادتها إياه بقوله لها (لا تحزني) على قراءة من قرأ (من تحتها) وعلى قول من قال إن المنادي عيسى ونص على كلامه في مهده فقال (إني عبد الله

(قوله في الفطرة) أي الخلقة (قوله على قراءة من قرأ من تحتها) يفتح الميم والتاء قال البيهقي: قرأ أبو جعفر ونافع وحمة والكسائي وحفص بكسر الميم والتاء، والمعنى نادى جبرئيل مريم من تحتها بأن كانت مريم على أكمة وكان جبرئيل تحت الأكمة، وقرأ الآخرون بفتح الميم والتاء والمراد جبرئيل عند ابن عباس والسدى وقتادة والضحاك، وعند مجاهد والحسن: المراد عيسى لما خرج من بطن أمه (*)

[٩٨]

أتانى الكتاب وجعلني نبيا) وقال تعالى (ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب في قضية المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود أبوه، وقال الطبري إن عمره حين أوتى الملك اثنا عشر عاما، وكذلك قصة موسى مع فرعون وأخذه بلحيته وهو طفل، وقال المفسرون في قوله تعالى (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل) أي هديناه صغيرا، قاله مجاهد وغيره، وقال ابن عطاء: اصطفاه قبل إبداء خلقه، وقال بعضهم: لما ولد إبراهيم عليه السلام بعث الله تعالى إليه ملكا يأمره عن الله أن يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال: قد فعلت ولم يقل أفعل

(قوله في قصة المرجومة وفي قصة الصبي) أما قصة المرجومة فروى أن رجلا راود امرأة في زمن داود عليه السلام فامتنع فأقام أربعة شهود زور، وشهدوا بزناها، فهم داود برجمها، فبلغ ذلك سليمان فدعا الشهود متفرقين فاختلفوا، فبلغ ذلك داود فدعاهم متفرقين فاختلفوا، فدرأ الحد عنها. وأما قصة الصبي فهي ما روى البخاري وغيره أن امرأتين كبرى وصغرى لكل منهما ابن ذهب الذئب بابتدائها فاختصما في الابن الآخر إلى داود فقضى به للكبرى، فلما مر على سليمان فقال شقه بينهما فقالت الصغرى: هو ابنها فقضى به للصغرى، قال النووي: يحتمل أن داود قضى به للكبرى لشبه بينهما أو لأن في شريعته الترجيح بالكبرى أو باليد وكان في يدها، وأما سليمان فتوصل بملاطفته إلى باطل القضية، ولعله استقر الكبرى فأقرت بعد ذلك به للصغرى، فحكم به لها بإقرار صاحبها لا بمجرد الشفقة، فإن قيل المجتهد لا ينقض حكم المجتهد، فالجواب أن سليمان فعل ذلك توسلا إلى إظهار الحق، فلما أقرت به الكبرى عمل بإقرارها، أو ليل في شرعهم ما يجوز للمجتهد نقض حكم المجتهد (قوله مع فرعون) هو عدو الله الوليد بن مصعب بن الريان، كان من القبط العماليق، وعمر أكثر من أربعمئة سنة (*)

[٩٩]

فذلك رشده، وقيل إن إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار ومحتنه كانت وهو ابن ست عشرة سنة وإن ابتلاء إسحاق بالذبح كان وهو ابن سبع سنين، وإن استدلال إبراهيم بالكوكب والقمر

(قوله وإن ابتلاء إسحاق بالذبح) في أنوار التنزيل للبيضاوي: والأظهر بيا بنى إنى أرى في المنام أنى أذبحك (اسماعيل) لأنه الذى ذهب به أثر الهجرة أي هجرته مع لوط وسارة إلى الشام، وقيل إلى حران: وهى بتشديد الراء ونون في الآخر، وللنسبة إليها حرنى بنون بعد الراء الساكنة على غير قياس، كما قالوا منانى في النسبة إلى منان والقياس ما نوى وجرانوى والعامية عليها، وهى في الإقليم الرابع، مدينة عظيمة بين الموصل الشام والروم بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان. قال المفسرون في قوله تعالى (إنى مهاجر إلى ربي) إن التى هاجر إليها حران. وفى قوله تعالى (ونجيناها ولوطا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين) هى حران، فتحت في أيام عمر بن الخطاب على يد عياض بن غنم صلحا مثل ما صالحه عليه أهل الرها، ولأن البشارة بإسحاق معطوفة على البشارة بهذا الغلام، ولقوله عليه السلام (أنا ابن الذبيحين) فأحدهما جده إسماعيل، والآخر أبوه عبد الله فداه أبوه بمائة من الإبل ولذلك سنت الدية مائة ولأن ذلك كان بمكة وكان قرنا الكيش معلقين بالكعبة، احترقا معها في أيام ابن الزبير، ولم يكن إسحاق ثمة، ولأن البشارة بإسحاق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الأمر بذبحه مراهقا. وفى تفسير القرطبي وهو قول أبى هريرة وأبى الطفيل عامر بن وائلة، وروى عن ابن عمر وابن عباس وسعيد ابن المسيب والشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد، وقيل المخاطب به إسحاق وهو قول الأكثرين، وممن قال بذلك: العباس وعمر وجابر في أربعة آخرين من اصحابه وجماعة من التابعين وهو قول أهل الكتابين، قال سعد بن جبيرة سار بن مسية شهر في غداة واحدة حتى أتى به المنحر بمنى، فلما صرف الله عنه الذبح سار به مسيرة شهر في غداة واحدة. وفى الهدى لابن قيم الجوزية: واسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين بعدهم، وأما القول بأنه إسحاق فمردود بأكثر من عشرين وجها (*)

[١٠٠]

والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا، وقيل أوحى الله تعالى إلى يوسف وهو صبي عند ما هم إخوته بإلقائه في الحب يقول الله تعالى (وأوحينا إليه لتبينهم بأمرهم هذا) الآية إلى غير ذلك مما ذكر من أخبارهم. وقد حكى أهل السير أكن أمنة بنت وهب أخبرت أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه إلى الأرض رافعا رأسه إلى السماء، وقال في حديثه صلى الله عليه وسلم (لما نشأت بغضت إلى الأوثان وبغض إلى الشعر ولم أهم بشئ مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم أعد) ثم يتمكن الأمر لهم وتترادف نفحات الله تعالى عليهم وتشرق أنوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا إلى الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى (ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما) وقد

(قوله إلى يوسف) قال الثعلبي: كان يوسف عليه السلام أبيض اللون حسن الوجه جعد الشعر ضخم العين مستوى الخلق غليظ الساعدين والعصدين خميص البطن أقبى الأنف بخده الأيمن خال أسود وبين عينيه، توفى وهو ابن مائة وعشرين سنة ودفن بمصر بالنيل ثم حمله عليه السلام إلى الشام حين خرجت بنو إسرائيل من مصر (قوله الأوثان) بالمثلثة جمع وثن وهو الجنة من أجزاء الأرض أو الخشب تعبد، وفى حديث عدى بن حاتم: قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وفى عنقي صليب من ذهب فقال (ألق عنك هذا الوثن) وفى الصحاح الوثن: الصنم، والصنم، واحد الأصنام ويقال إنه معرب (ممن) وهو الوثن (قوله أهم) بفتح الهمزة وضم الهاء (قوله ثم يتمكن الأمر) عطف على قوله قبل هذا (وهكذا لسائر الأنبياء) (*)

[١٠١]

نجد غيرهم يطبع على بعض هذه الأخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عنابة من الله تعالى كما نشاهد من خلقه بعض الصبيان على حسن السمات أو الشهامة أو صدق اللسان أو السماحة وكما نجد بعضهم على ضدها، فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل

منحرفها، وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس فيها، وكل ميسر لما خلق له، ولهذا ما قد اختلف السلف فيها: هل هذا الخلق جبلة أو مكتسبة؟ وحكى الطبري عن بعض السلف أن الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد، وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن وبه قال هو، والصحيح ما أصلناه. وقد روى سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (كل الخلال يطيع عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب) وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه في حديثه: والجرأة والجبن غرائز يضعهما الله حيث يشاء. وهذه الأخلاق المحمودة والخصال الجميلة الشريفة كثيرة ولكننا نذكر أصولها ونشير إلى جميعها ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها إن شاء الله.

(قوله على حسن السميت) أي الطريقة وهيئة أهل الخير (قوله والشهامة) بفتح الشين المعجمة مصدر شهم الرجل بضم الهاء فهو شهم: أي جلد ذكى الفؤاد (قوله ولهذا ما قد اختلف) هكذا وقع في كثير من النسخ بزيادة (ما) للتأكيد (قوله والجرأة) هي الشجاعة على وزن الجرعة ويقال الجرعة بفتح الراء وحذف الهزمية (*)

[١٠٢]

(فصل) أما أصل فروعها وعنصر ينايعها ونقطة دائرتها فالعقل الذى منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع من هذا ثقبو الرأي وجودة الفطنة والإصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل، وقد أشرنا إلى مكانه منه صلى الله عليه وسلم وبلوغه منه ومن العلم الغاية القصوى التى لم يبلغها بشر سواه وإذ جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه متحققة عند من تتبع مجارى أحواله وإطراد سيره وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه وعلمه بما فى التوراة والإنجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الأمم الخالية وأيامها وضرب الأمثال وسياسات الأنام وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة إلى فنون العلوم التى اتخذ أهلها كلامه صلى الله عليه وسلم فيها قدوة وإشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك مما سنبينه فى معجزاته إن شاء الله تعالى دون تعليم ولا مدارس ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس إلى علمائهم بل نبى أمي

(قوله ونقطة دائرتها) أي مركز دائرتها وهى النقطة التى فى وسط الدائرة يقوم فيها إحدى عشر قوائم البركار وجميع الخطوط الخارجة منها إلى الدائرة متساوية (قوله وحكم) بكسر الحاء المهملة (قوله كالعبارة) يقال عبرت الرؤيا أعبرها عبارة (قوله والطب) هو مثلث الطاء (*)

[١٠٢]

لم يعرف بشئ من ذلك حتى شرح الله صدره وأبان أمره وعلمه وأقرأه، يعلم ذلك بالمطالعة والبحث عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا تطول بسرد الأفاصيل وأحاد القضايا، إذ مجموعها ما لا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع. وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم إلى سائر ما علمه الله تعالى وأطلع عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال الله تعالى (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) حارت العقول فى تقدير فضله عليه وخرست الألسن دون وصف يحيط بذلك أو ينتهى إليه (فصل) وأما الحلم والاحتمال والعفو مع المقدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الألقاب فرق فإن الحلم حالة توقر

وثبات عند الأسباب المحركات، والاحتمال حسب النفس عند الآلام
والمؤذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة، وأما العفو فهو ترك
المؤاخظة وهذا كله مما أدب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم
فقال تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف)

(قوله خرس) بكسر الراء (قوله مع المقدر) بضم الدال وفتحها أي القدرة (قوله
جبريل) قيل جبريل وميكائيل اسمان أضيفا إلى إيل أو إلى إل، وإيل وإل اسمان لله
تعالى، وجبروميك معناه بالسريانية عبد، ورد أبو علي الفارسي بأن إيل وإل لا يعرفان
من أسماء الله تعالى وبأنه لو كان كذلك لم ينصرف آخر الاسم في وجوه العربية وكان
آخره مجرورا أبدا كعبد الله، قال النووي: وهذا الذي قاله هو الصواب (*)

[١٠٤]

الآية، روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم نزلت عليه هذه الآية
سأل جبريل عليه السلام عن تأويلها فقال له حتى أسأل العالم ثم
ذهب فأتاه فقال يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي
من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال له (واصبر على ما أصابك) الآية
وقال تعالى (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) وقال (وليعفوا
وليصفحوا) الآية وقال تعالى (ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم
الأمور) ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله، وأن كل حليم قد عرفت
منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع
كثرة الأذى إلا صبرا وعلى إسراف الجاهل إلا حلما * حدثنا القاضي
أبو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا حدثنا محمد بن عتاب
حدثنا أبو بكر بن واقد القاضي وغيره حدثنا أبو عيسى حدثنا عبد
الله حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن
عائشة رضی الله عنها قالت

(قوله أولوا العزم) أي الجد والثبات وفي أنوار التنزيل في قوله تعالى (فاصبر كما صبر
أولو العزم من الرسل) من للتبيين وقيل للتبعيض، وأولو العزم أصحاب الشرائع اجتهدوا
في تأسيسها وتقريرها وصبرا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها،
ومشاهيرهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وقيل الصابرون على بلاء الله كنوح صبر
على أذى قومه وكانوا يضربونه حتى يغشى عليه، وإبراهيم صبر على النار وذبح ولده،
والذبيح على الذبح، ويعقوب على فقد الولد والبصر، ويوسف على الحب والسجن،
وأيوب على الضر، وموسى قال له قومه (إنا لمدركونك قال كلا إن معي ربي سيهدين)
وداود بكى على خطيئته أربعين سنة، وعيسى لم يضع لينة على لينة انتهى (*)

[١٠٥]

(ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرين قط إلا اختار
أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، وما انتقم
رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله
تعالى فينتقم لله بها. وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما
كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه شقا
شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال (إنى لم أبعث لعانا ولكني بعثت
داعيا ورحمة، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون) وروى عن عمر
رضى الله عنه أنه قال في بعض

(قوله ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما) قال النووي قال القاضي: يحتمل أن يكون
تخييره من الله فيخيره فيما فيه عقوبتان أو فيما بينه وبين الكفار من القتال وأخذ
الجزية أو في حق أمته في المجاهدة في العبادة والاقتصاد فكان يختار الأيسر في

هذا كله، قال وأما قولها: ما لم يكن إثمًا، فيتصور إذا خيره الكفار أو المنافقون، فأما إذا كان التخيير من الله أو من المسلمين فيكون الاستثناء منقطعاً (قوله لما كسرت رباعيته وشج وجهه) الرباعية السن التي بين الثنية والتاب وهي بفتح الراء وتخفيف الموحدة وكسر العين المهملة وتخفيف المثناة التحتية، وفي سيرة ابن هشام: أن عتبة بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجّه في وجهه وأن ابن قميئة جرح وجرحت فدخلت حلقتان من المغفر في وجرنته، وقد اختلف في إسلام عتبة، والصحيح أنه لم يسلم، قال السهيلي ولم يولد من نسله ولد، فبلغ الحلم إلا وهو أبخر وأهم، يعرف ذلك في عقبه، وأما عبد الله بن شهاب فأسلم، وهو جد شيخ مالك محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب، وقد قيل لابن شهاب شيخ مالك: أكان جدك عبد الله بن شهاب ممن شهد بدرًا؟ فقال نعم، ولكن من ذلك الجانب يعنى مع الكفار، وأما ابن قميئة واسمه عبد الله فنطحه تيس فتردى من شاهق، وفي مستدرک الحاكم: أنه لما فعل عتبة ما فعل جاء حاطب بن = أبى بلتعة فقال يا رسول الله من فعل هذا بك؟ فأشار إلى عتبة، فتبعه حاطب حتى قتله وجاء بفرسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (*)

[١٠٦]

كلامه: بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ طهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فأنتبى أن تقول إلا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، قال القاضي أبو الفضل وفقه الله: انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الإحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم، إذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا عنهم ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اغفر أو اهد، ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي، ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فإنهم لا يعلمون، ولما قال له الرجل أعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله: لم يزد في جوابه أن بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال ويحك (فمن يعدل إن لم أعدل؟ خبت وخسرت إن لم أعدل) ونهى من أراد من أصحابه قتله، ولما تصدى

(قوله بأبى أنت وأمى) أي بأبى أنت مفدى وأمى أي بأبى فديتك أنت وأمى (قوله ولما قال له الرجل أعدل) هو ذو الخويصرة التميمي قتل في الخوارج يوم النهروان ويقال حرقوص، كذا في تجريد الذهبي (قوله خبت وخسرت) بضم التاء الفوقية فيهما، كذا عن المرزوق حال القراءة عليه لأنه معلق بعدم العدل الذي هو معصوم منه صلى الله عليه وسلم وليلائم قول القاضي وعظ نفسه وذكرها (قوله ونهى من أراد من أصحابه قتله) هو خالد بن الوليد، وقيل عمر (قوله ولما تصدى له غورث) هو بغين معجمة = مفتوحة وقد تضم فواو ساكنة فراء مفتوحة فناء مثلثة: أسلم وصحب النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك (*)

[١٠٧]

له غورث بن الحارث ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلًا والناس قائلون في غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو قائم والسيف صلتا في يده فقال من يمنعك منى؟ فقال: الله، فسقط السيف من يده: فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى؟ قال كن خير آخذ، فتركه وعفا عنه، فجاء إلى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس * ومن عظيم خبره في العفو عفوهُ عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية، وأنه لم يؤاخذ لبيد بن الأعصم إذ سحره وقد أعلم به وأوحى إليه لشرح أمره، ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته

= مفتوحة وقد تضم فواو ساكنة مفتوحة فثاء مثلثة: أسلم وصحب النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك (قوله ليفتك به) الفتك أن يأتي الرجل إلى آخر ليفتله وهو غافل (قوله منتبذ) يضم الميم وسكون النون وفتح المثناة الفوقية وكسر الباء الموحدة بعدها ذال معجمة أي جالس في ناحية (قوله قائلًا) من القيلولة (قوله في غزاة ذات الرقاع (قوله صلتا) بفتح الصاد المهملة وضمها وفي آخره مثناة فوقية أي مسلولًا (قوله عن اليهودية التي سمته) في مغازي موسى بن عقبة والدلائل للبيهقي أن اسمها زينب بنت الحارث بن سلام، وقال ابن قيم الجوزية هي امرأة سلام بن مشكم، واختلف فيها فروى ابن اسحاق أنه صفح عنها، وروى أبو داود أنه قتلها وصلبها، وجمع بين هاتين الروايتين بأنه صفح عنها، فلما مات بشر بن البراء بن معمر من الأكلة التي أكلها مع النبي صلى الله عليه وسلم من الشاة قتلها به قصاصًا، وذلك أن بشرًا لم يزل معتلا من تلك الأكلة حتى مات منها بعد حول، ويقال إنه مات في الحال. وفي جامع معمر عن الأزهري أنه قال أسلمت فتركها، قال معمر والناس يقولون قتلها وأنها لم تسلم (قوله لبيد بن الأعمص) جاء التصريح بأنه يهودي في الصحيحين وقد هلك = على يهوديته (*)

[١٠٨]

وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن أبي وأشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته قولًا وفعلاً بل قال لمن أشار بقتل بعضهم (لا، لئلا يتحدث أن محمداً يقتل أصحابه) وعن أنس رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه أعرابي بردائه جبذة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال (المال مال الله وأنا عبده - ثم قال ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي) قال لا، قال (لم؟) قال لأنك لا تكافي بالسيئة السيئة فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر، قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله وما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادماً ولا امرأة، وجئ إليه برجل فقيل هذا أراد أن يقتلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم (لن تراع لن تراع ولو أردت ذلك لم تسلط علي) وجاءه

(قوله عبد الله بن أبي) هو عبد الله بن أبي سلول بتونين أبي وكتابة ألف بعدها لأن سلول أم عبد الله وزوجة أبي فلو لم يفعل ذلك لنوهم إن سلول أم أبي وليس كذلك (قوله وأشباهه من المنافقين) قال ابن عباس كان المنافقون من الرجال ثلاثمائة ومن النساء مائة وسبعين (قوله لا يكافئ) بهمزة في آخره (قوله لن تراع) أي لا خوف عليك (قوله وجاءه زيد بن سعدة هو بسين (*)

[١٠٩]

زيد بن سعدة قبل إسلامه يتقاضاه ديناً عليه فجبذ ثوبه عن منكبه وأخذ بمجامع نياحه وأغلظ له ثم قال: إنكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر وشد له في القول والنبي صلى الله عليه وسلم بتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج يا عمر: تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضى، ثم قال لقد بقى من أجله ثلاث، وأمر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعاً لما روعه فكان سبب إسلامه، وذلك أنه كان يقول ما بقى من علامات النبوة شئ إلا وقد عرفتها في وجه محمد إلا اثنتين لم أخبرهما: يسبق حلمه جهله، ولا تزيد شدة الجهل إلا حلماً، فأخبرته بهذا فوجدته كما وصف، والحديث عن حلمه صلى الله عليه وسلم وصبر وعفوه عند المقدرة أكثر من أن تأتي عليه، وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة إلى ما بلغ متواتراً مبلغ اليقين من صبره على مفاصة قريش وأذى الجاهلية

ومصابرة الشدائد الصعبة معهم إلى أن أظفره الله عليهم وحكمه فيهم

مفتوحة مهملة وعين ساكنة مهملة ونون مفتوحة: قال ابن ماكولا في إكماله: هو حير يهودى له ذكر في حديث لعبد الله بن سلام وقال النووي في تهذيبه: هو من أخبار اليهود الذى أسلم وحسن إسلامه وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهد كثيرة وتوفى في غزوة تبوك مقبلا إلى المدينة، وأما أسيد بن سعية: أسيد يفتح الهمزة وكسر السين المهملة، وسعية والذة بفتح السين وسكون العين المهملتين بعدهما منناة تحتية، قال الذهبي في التجريد زيد بن سعدة بالنون أصح وأسيد بن سعية بالياء أصح (قوله مطل) بضم الميم والطاء المهملة جمع مطول على وزن فَعول بمعنى فاعل كغفور (*)

[١١٠]

وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم وإبادة خضرائهم فما زاد على أن عنا وصفح، وقال (ما تقولون إنى فاعل بكم؟ قالوا خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال أقول كما قال أخى يوسف: لا تتربى عليكم الآية، اذهبوا فأنتم الطلقاء) وقال أنس هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى (وهو الذى كف أيديهم عنكم) الآية وقال لأبى سفيان وقد سيق إليه بعد أن جلب إليه الأحزاب وقتل عمه وأصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولا طفه في القول: (ويحك يا أبا سفيان ألم يئن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟ فقال بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأوصلك وأكرمك) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضى، صلى الله عليه وسلم.

وغفر من المطل وهى اللى بالدين (قوله شأفتهم) بشين معجمة وهمزة ساكنة وفاء مخففة وتاء فوقية، في الصحاح: الشأفة قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب يقال في المثل استأصل الله شأفته أي أذهب الله كما أذهب تلك القرحة بالكى (قوله خضرائهم) يفتح الخاء وإسكان الضاد المعجمتين بعدها راء فهمزة ممدودة أي جماعتهم وأشخاصهم (قوله تتربى) قيل معناه لا تغيير وقيل لا تأنيب وقيل لا تبغض وقيل لا أنا في قبول عذركم (قوله الطلقاء) بضم الطاء المهملة وفتح اللام جمع طليق وهو الأسير إذا أطلق وخلقى سبيله (قوله من التنعيم) هو من مكة على ثلاثة أميال من جهة المدينة سمي بذلك لأن عن يمينه جبلا يقال له نعيم وعن شماله جبلا يقال له ناعم وبه واد يقال له نعمان (قوله الأحزاب) هم أهل الخندق وكانوا ثلاثة عساكر وعدتهم عشرة آلاف، قال ابن اسحاق وكان في شوال سنة خمس (قوله ومثل بهم) (*)

[١١١]

(فصل) وأما الجود والكرم والسخاء والسماحة ومعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم الإنفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه أيضا جرأة وهو ضد النذالة، والسماحة التجا في عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة، والسخاء سهولة الإنفاق وتجنب اكتساب مالا يحمد وهو الجود وهو ضد التقدير، فكان صلى الله عليه وسلم لا يوازي في هذه الأخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا، وصفه كل من عرفه. حدثنا القاضى الشهيد أبو على الصدقى رحمه الله حدثنا القاضى أبو الوليد الباجى حدثنا أبو ذر الهروي حدثنا أبو الهيثم الكشميهنى وأبو محمد السرخسى وأبو إسحاق البلخى قالوا حدثنا أبو عبد الله الفربرى حدثنا البخاري حدثنا محمد بن كثير حدثنا سفيان عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله يقول: ما سئل رسول الله صلى الله عليه

وسلم عن شئ فقال لا. وعن أنس رضى الله عنه وسهل ابن سعد رضى الله عنه مثله، وقال ابن عباس رضى الله عنهما: كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وأجود ما كان في شهر رمضان

يقال مثل بالعيد يمثل كقتل يقتل إذا قطع أطرافه أو أنفه أو أذنه أو مذاكيره، وأما مثل بالتشديد فللمبالغة (قوله خطره) بالخاء المعجمة والطاء أي قدره (قوله ضد الشكاسة) هو بفتح الشين المعجمة وتخفيف الكاف وبعدها ألف وسين مهملة، يقال رجل شكس بكسر أوله وسكون ثانيه أي صعب الخلق وقوم شكس بضمهما مثل رجل صدق وقوم صدق (قوله لا يوازي) قال ابن الأثير: الموازة المقابلة والمواجهة: وفي الصحاح أزيته أي حاذيته ولا تقل وازيته (قوله ابن كثير) بفتح (*)

[١١٢]

وكان إذا لقيه جبريل عليه السلام أجود بالخير من الريح المرسله، وعن أنس أن رجلا سأله فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلي قومه وقال أسلموا فإن محمدا يعطى عطاء من لا يخشى فاقة، وأعطى غير واحد مائة من الإبل، وأعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة، وهذه كانت خلقه صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وقد قال له ورقة بن نوفل: إنك تحمل الكل وتكسب المعدوم. ورد على هوازن سباياها

الكاف وكسر المثلثة بعدها مئنة تحتية (قوله أن رجلا سأله) هو صفوان بن أمية (قوله وقد قال له ورقة بن نوفل) بن أسد بن عبد العزى قال الحافظ زين الدين العراقي: ينبغي أن يقال أول من أسلم من الرجال ورقة، لما في الصحيحين من حديث عائشة في قصة بدء الوحي، فإن فيه (أن الوحي تابع في حياة ورقة وأنه آمن به) وقد ذكر ابن منده: ورقة في الصحابة واختلف في إسلامه انتهى، ونقل الذهبي كلام ابن منده ثم قال: والأظهر أنه مات قبل الرسالة وبعد نبوة (قوله نحمل الكل) الذى في الصحيحين أن خديجة هي التى قالت ذلك، والكل بفتح الكاف وتشديد اللام: الشئ الثقيل، والمراد هنا نحو اليتيم والضعيف ومن لا قدرة له (قوله وتكسب المعدوم) بفتح أوله قال ابن قرقور: هي أكثر الروايات وأصحها ومعناه تكسبه لنفسه وقيل تكسبه غيرك وتعطيه إياه يقال كسبت مالا وكسبته غيرى، لازم ومتعد، وروى بضم أوله ومعناه تكسب غيرك المال المعدوم أي تعطيه فحذف أحد المفعولين، وقيل تعطى الناس مالا يجدونه عند غيرك من مكارم الأخلاق وقيل المعدوم الرجل العاجز سماه معدوما لكونه كالميت، وفي النهاية يقال كسبت مالا وكسبت زيدا وأكسبت زيدا مالا أي أعتته على كسبه أو جعلته يكسبه، فإن كان من الأول فتريد خديجة: إنك تصل إلى كل معدوم وتناله فلا يتعذر لبعده عليك وإن جعلته متعديا إلى اثنين فتريد أنك تعطى الناس الشئ المعدوم عندهم وتوصله إليهم وهذا أولى القولين لأنه أشبه بما قبله في باب التفضل والإنعام إذ لا إنعام في أن يكسب هو لنفسه ما كان معدوما عنده وإنما الإنعام أن يوليه غيره وباب الحظ والسعادة في الاكتساب غير باب التفضل والإنعام اهـ. (قوله ورد على هوازن سباياها) وكانت ستة آلاف من الأدميين، وأما الإبل فكانت نحو أربعة وعشرين ألفا، والغنم كانت فوق أربعين ألفا، والورق فأربعة آلاف أوقية من الفضة (*)

[١١٣]

وكانت ستة آلاف وأعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام إليها فقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شئ ولكن ابتع على فإذا جاءنا شئ قضيناها فقال له عمر ما كلفك الله مالا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أنفق ولا تخش من ذى العرش إقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا أمرت. ذكره الترمذي، وذكر عن معوذ بن عفراء قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم

(قوله ولكن ابتغ) هو بموحدة ثم تاء فوقية (قوله وذكر عن معوذ) قال المزى: هذا الحديث روى عن الربيع بنت معوذ بن عفراء، وأما معوذ فإنه استشهد يوم بدر، ولم يعرف له رواية. وقوله وذكر: يعنى الترمذى ذكر في كتاب الشمائل عن الربيع بنت معوذ، قالت: بعثني معاذ بن عفراء بقناع من رطب وعليه أجر من قنأ زغب، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب القنأ فأتيته بها وعنده خلية قدمت إليه من البحرين فملاً يدي منها فأعطانيه. وفي رواية قالت: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب وعليه أجر زغب فأعطاني ملء كفه حلياً أو قالت ذهباً، والربيع بضم الراء وفتح الموحدة وتشديد المثناة التحتية المكسورة ومعوذ بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الواو المشددة. وحكى ابن قرقول فتحها وذال معجمة وعفراء بفتح العين المهملة وسكون الفاء، والمد، والقنأ بكسر القاف وتخفيف النون بعدها ألف وعين مهملة، وأجر بضم الهمزة وسكون الجيم بعدها راء جمع جرو، وفي الصحاح والجرو والجرورة الصغير من القنأ، وفي الحديث أتى النبي صلى الله [٨ - ١] (*)

[١١٤]

وسلم بقناع من رطب يريد طباقاً وأجر زغب يريد قنأ فأعطاني ملء كفه حلياً وذهباً، قال أنس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئاً لغد، والخبر بجوده صلى الله عليه وسلم كرمه كثير، وعن أبى هريرة: أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فاستلف له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فأعطاه وسقاً وقال (نصفه قضاء ونصفه نائل). (فصل) وأما الشجاعة والنجدة: فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل، والنجدة ثقة النفس عند استرسالها إلى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف، وكان صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكمأة والأبطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح، وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه. حدثنا أبو علي

عليه وسلم بأجر زغب، وكذلك جرو الحنظل والرمان انتهى وقال ابن قرقول أجراً جمع أجر وأجر جمع جرو. والزغب بزاي مضمومة وغين معجمة ساكنة وباء موحدة التي عليها زغبها أي شئ يشبه الزغب وهو شعيرات صفر على ريش الفرخ، والقنأ بكسر القاف وضمها فالمثلثة فالمد (قوله نصف وسق) الوسق بكسر الواو وفتحها ستون صاعاً (قوله ونصفه نائل) أي عطفاً (قوله والنجدة) بفتح النون في اللغة الشجاعة وفي الحقيقة ما ذكره القاضى رحمه الله تعالى (قوله الكمأة) بضم الكاف جمع كمى بفتحها وكسر الميم وتشديد الباء وهو الشجاع المتمكى في سلاحه أي المستتر فيه كأنه جمع كام كقاض وقضاة. (*)

[١١٥]

الجياني فيما كتب لى حدثنا القاضى سراج حدثنا أبو محمد الأصيلي حدثنا أبو زيد الفقيه حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا ابن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبى إسحاق سمع البراء وسأله رجل: أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء وأبو سفيان أخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: أنا النبي لا كذب، وزاد غيره: أنا ابن عبد المطلب، قيل فما روى يومئذ أحد كان أشد منه، وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته، وذكر مسلم عن العباس قال فلما التقى المسلمون والكفار ولّى المسلمون مدبرين فطقق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وأنا أخذ بلجامها أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان أخذ بركابه

(قوله جولة) بفتح الجيم وسكون الواو أي نفور وزوال عن الموقف (قوله غندر) بغين معجمة مضمومة ونون ساكنة ودال مهملة بضم ويفتح (قوله على بغلته البيضاء) في مسلم أنه عليه السلام كان على بغلته التي أهداها له فروة بن نغاة وفي شرح مسلم أن اسمها الدلدل وأن العلماء لا تعرف له بغلة سواها انتهى. وقال المحب الطبري الدلدل أهداها له المقوقس وذكر أنها كبرت وبقيت إلى زمان معاوية، وفي سيرة مغلطاي: كان له صلى الله عليه وسلم من البغال دلدل وفضة والتي أهداها له ابن العلماء والأبلية وبغلة أهداها له كسرى وأخرى من دومة الجندل وأخرى من عند النجاشي انتهى (قوله وأبو سفيان أخذ بلجامها) هو أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب واسمه مغيرة وقيل اسمه كنيته كان رضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان آلف الناس به قبل النبوة، أسلم يوم الفتح بطريق مكة بالأبواء، ومات بالمدينة سنة عشرين (*)

[١١٦]

ثم نادى يا للمسلمين - الحديث - وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب ولا يغضب إلا لله - لم يقيم لغضبه شئ، وقال ابن عمر ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال على رضى الله عنه إنا كنا إذا حمى اليأس ويروى اشتد اليأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو كان من أشد الناس يومئذ بأسا وقيل كان الشجاع هو الذى يقرب منه صلى الله عليه وسلم إذا دنا العدو لقربه منه، وعن أنس كان النبى صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس لقد فرغ أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم إلى الصوت وقد استبرأ الخبير على فرس لأبى طلحة عرى والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا، وقال عمران بن حصين ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب ولما رآه أبى بن خلف يوم أحد وهو يقول أين محمد لا نجوت إن نجا وقد كان يقول للنبى صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندي فرس أعلفها كل يوم فرقا من

(قوله على فرس لأبى طلحة) هذا الفرس اسمه مندوب جاء ذلك في الصحيح (قوله حين افتدى) بالفاء أي أعطى الجزية (قوله عندي فرس) جاء في بعض الروايات أن اسمه العود بفتح العين المهملة وسكون الواو بعدها دال مهملة (قوله فرقا) (*)

[١١٧]

ذرة أقتلك عليها فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أنا أقتلك إن شاء الله فلما رآه يوم أحد شد أبى على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبى صلى الله عليه وسلم: هكذا أي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض ثم استقبله النبى صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدا منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من أضلاعه فرجع إلى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا بأس عليك فقال لو كان ما بى بجميع الناس لقتلهم

بفتح الفاء والراء ويجوز إسكانها قال ابن الأثير في النهاية: الفرق بالتحريك يسع ستة عشر رطلا وهى اثنا عشر مدا أو ثلاثة أصع عند أهل الحجاز وأما الفرق بالسكون فمائة وعشرين رطلا (قوله تطاير الشعراء) بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهملة بعدها راء وهمزة ممدودة قال صاحب الصحاح والشعراء ذبابة يقال هي التي لها إبرة وقال الهروي وفي الحديث تطاير الناس عنه تطاير الشعر عن البعير قال

الصبيبي الشعر جمع شعراء وهى ذباب حمر يقع على الإبل والحمر فتؤذيهما، وفى النهاية أنه صلى الله عليه وسلم لما أراد قتل أبى ابن خلف تطاير الناس عنه تطاير الشعر عن البعير: الشعر بضم الشين وسكون العين جمع شعراء وهو ذباب حمروقيل روف يقع على الإبل والحمر فتؤذيهما إيذاء شديدا وقيل هو ذباب كثير الشعر وفى رواية أن كعب بن مالك ناوله الحرية فلما أخذها انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنها تطاير الشعر يرى مثل الشعر وقياس واحده شعور وقيل هي ما تجتمع على دبرة البعير من الذباب فإذا هيجت تطايرت عنها (قوله تدا) يفتح المثناة الفوقية والذال المهملة بعدها همزة ساكنة ثم دال أخرى ثم همزة أي تدحرج (قوله ضلعا) بكسر الصاد المعجمة وفتح اللام وقد تسكن (*)

[١١٨]

أليس قد قال أنا أفتلك والله لو بصرى على لقتلني فمات بسرف في قولهم إلى مكة. (فصل) وأما الحياء والإغضاء: فالحياء رقة تعتري وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع كراهيته أو ما يكون تركه خيرا من فعله والإغضاء التغافل عما يكره الإنسان بطبيعته وكان النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات إغضاء قال الله تعالى (إن ذلكم كان يؤذى النبي فيستجيبى منكم) الآية * حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتي عليه حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن القابسي حدثنا أبو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا عبدان حدثنا عبد الله أخبرنا شعبة عن قتادة سمعت عبد الله مولى أنس يحدث عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحدا بما يكرهه حياء وكرم نفس، وعن عائشة رضى الله عنها: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال

(قوله بسرف) بفتح المهملة وكسر الراء بعدها فاء: اسم لموضع على ستة أميال من مكة وقيل سبعة وقيل تسعة (قوله في فقولهم) أي رجوعهم: فقل يقفل إذا عاد من سفره وقد يقال للسفر قفول في الذهاب والمجئ وأكثر ما يستعمل في الرجوع، كذا في النهاية وقال بعضهم إنما قيل للذاهبين قافلة تهاؤلا بروجوعهم (قوله العذراء) بالعين المهملة والذال المعجمة والمد: البكر، والخذر بالخاء المعجمة والذال المعجمة: الستر. (*)

[١١٩]

فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمى فاعله. وروى أنس أنه دخل عليه رجل به أثر صغرة فلم يقل له شيئا وكان لا يواجه أحدا بما يكره فلما خرج قال لو قلت له يغسل هذا، ويروى ينزعها: قالت عائشة رضى الله عنها في الصحيح: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فحاشا ولا متفحشا ولا سخابا في الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح، وقد حكى مثل هذا الكلام عن التوراة من رواية ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص، وروى عنه أنه كان من حياته لا يثبت بصره في وجه أحد وأنه كان يكتفي عما اضطره الكلام إليه مما يكره، وعن عائشة رضى الله عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط. (فصل) وأما حسن عشرته وأديه وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم مع أصناف الخلق فيحيث انتشرت به الأخبار الصحيحة قال على رضى الله عنه في وصفه عليه الصلاة والسلام: كان أوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة والينهم عريكة وأكرمهم عشرة * حدثنا أبو الحسن على بن مشرف الأنماطي فيما أجازنيه وقرأته

على غيره قال حدثنا أبو إسحاق الحبال حدثنا أبو محمد بن النحاس
حدثنا ابن الأعرابي

(قوله فاحشا ولا متفحشا) قال الهروي وابن الأثير: الفاحش الذي في كلامه فحش
والمتفحش الذي يتكلف ذلك ويتعمده (قوله لهجة) في الصحاح اللهجة: اللسان، وقد
تحرك، يقال فلان فصيح اللهجة واللهجة (قوله عريكة) أي طبيعة. (*)

[١٢٠]

حدثنا أبو داود حدثنا هشام بن مروان ومحمد بن المثنى قالا حدثنا
الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي سمعت يحيى بن أبي كثير يقول
حدثني محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن قيس بن سعد
قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في آخرها فلما
أراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطأ عليه بقطيفة فركب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال قيس فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم
أركب فأبيت فقال إما أن تركب وإما أن تنصرف فانصرفت وفى رواية
أخرى أركب أمامى فصاحب الدابة أولى بمقدمها، وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفهم ويكرمهم ويكرم كل قوم ويؤليه
عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد منهم
بشره ولا خلقه، يتعهد أصحابه ويعطى كل جلسائه نصيبه، لا
يحسب جلسيه أن أحدا أكرم عليه منه، من جلسه أو قاربه لحاجة
صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها
أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقهم فصار لهم أبا
وصاروا عنده في الحق سواء، بهذا وصفه ابن أبي هالة، قال وكان
دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سحاب
ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهى ولا يؤبس منه،
وقال الله تعالى (فيما رحمة

(قوله ابن المثنى) بضم الميم وفتح المثلثة بعدها نون مشددة. (*)

[١٢١]

من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفصوا من حولك) وقال
تعالى (ادفع بالتي هي أحسن) الآية، وكان يجيب من دعاه ويقبل
الهدية ولو كانت كراعا ويكافئ عليها. قال أنس رضى الله عنه خدمت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى أف قط وما
قال لشيئ صنعته لم صنعته ولا لشيئ تركته لم تركته، وعن عائشة
رضى الله عنها ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال لبيك، وقال
جرير بن عبد الله ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم قط منذ
أسلمت ولا رأني إلا تبسم وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم
ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجرة ويجب دعوة الحر والعبد
والأمة والمسكين ويعود المرضى في أقصى المدينة ويقبل عذر
المعتذر، قال أنس ما التقم أحد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فينحى رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحى

(قوله ولو كانت كراعا) الكراع بضم الكاف وتخفيف الراء في الغنم والبقر بمنزلة الوطيف في الفرس والبعير، وهو مستدف الساق، يذكر ويؤنث، والجمع أكراع، ثم أكرع (قوله ويكافئ) بهمزة في آخره أي يجازى (قوله فما قال لي أف قط) يقال: أف له أي قدرا له وقيل احتقارا له وقيل استقلالا وفيه ست لغات حكاهن الأخفش وهى ضم الهمزة مع تثلث الفاء بلا تنوين وضمها مع تثلث الفاء بالتنوين وحكى المصنف وغيره زيادة على ذلك ضم الهمزة وسكون الفاء وكسر الهمزة وفتح الفاء وأفى وأفه بضم همزتيهما (قوله ما التقم أحد أذن النبي) أي ما حدثه أحد عند أذنه، استعار وضع اللقمة في الفم لوضع الفم عند الأذن. (*)

[١٢٢]

رأسه وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الأخذ ولم ير مقدما ركبته بين يدي جليس له وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة لم ير قط مادا رجليه بين أصحابه حتى يضيق بهما على أحد، يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أبى ويكنى أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجاوز فيقطعه بنهي أو قيام وبروي بانتهاه أو قيام وروى أنه كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته فإذا فرغ عاد إلى صلاته، وكان أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب، وقال عبد الله بن الحارث ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن أنس كان خدم المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغداة بأنيتهم فيها الماء فما يؤتى بأنية إلا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون به التبرك. (فصل) وأما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق فقد قال الله تعالى فيه (عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) وقال تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) قال بعضهم من فضله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى أعطاه اسمين من أسمائه فقال (بالمؤمنين رؤف رحيم) وحكى نحوه الإمام أبو بكر بن فورك حدثنا

[١٢٣]

الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي عليه حدثنا إمام الحرمين أبو علي الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا أبو أحمد الجلودى حدثنا إبراهيم بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا أبو الطاهر أنبأنا ابن وهب أنبأنا يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن أمية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب حدثنا سعيد ابن المسيب أن صفوان قال والله لقد أعطاني ما أعطاني وإنه لأبغض الخلق إلى فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إلى. وروى أن أعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فأعطاه ثم قال احسنت إليك، قال الأعرابي لا ولا أجملت، فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل إليه صلى الله عليه وسلم وزاده شيئا

(قوله الخشني) بضم الخاء وفتح الشين المعجمتين (قوله وذكر حنينا بضم الحاء المهملة وفتح النون اسم موضع بين الطائف ومكة - كذا في القاموس - وقال صاحب الصحاح: يذكر ويؤنث فان قصدت به البلد والموضع ذكرته وصرفته كقوله تعالى (ويوم حنين) وإن قصدت به البقعة والبلدة أنثته ولم تصرفه كما قال الشاعر: نصرنا نبهم وشدوا أزره * بحنين يوم تواكل الأبطال وفي التعريف والأعلام: حنين اسم علم بموضع بأوطاس، سمى بحنين بن قانة بن مهلايل انتهى. وكانت هذه الغزوة في شوال سنة ثمان من الهجرة (قوله ابن المسيب) هو بفتح المثناة التحتية عن العراقيين وهو

المشهور، وبكسرهما عن المدنيين قال ابن قرقول قال الصيد في وذكر لنا أن سعيدا كان يكره الفتح لياء من اسم أبيه وأما غير والد سعيد فتفتح الياء بلا خلاف. (*)

[١٢٤]

ثم قال: أحسنت إليك قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: إنك قلت ما قلت وفى نفس أصحابي من ذلك شئ فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك، قال: نعم. فلما كان الغد أو العشى جاء فقال صلى الله عليه وسلم إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضى أكذلك؟ قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: مثلى ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدها إلا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بينى وبين ناقتي فإنني أرفق بها منكم وأعلم فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار) وروى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فإنني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر) ومن شفقتك على أمته صلى الله عليه وسلم تخفيفه وتسهيبه عليهم. وكرهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم كقوله عليه الصلاة والسلام: لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك

(قوله من قمام الأرض) بضم القاف وتخفيف الميم، في الصحاح: القمامة الكناسة والجمع قمام (قوله واستناخت) بنون قبل الألف وحاء معجمة بعدها، يقال أنخت الجملة فاستناخ: أي أبركته فبرك. (*)

[١٢٥]

مع كل وضوء وخبر صلاة الليل ونهيههم عن الوصال، وكرهته دخول الكعبة لئلا تتعنت أمته، ورغبته لربه أن يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم، وأنه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته * ومن شفقتك صلى الله عليه وسلم أن دعا ربه وعاهده فقال أيما رجل سبته أو لعنته فأجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقرية تقر به بها إليك يوم القيامة، ولما كذبه قومه أتاه جبريل عليه السلام فقال له إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا، وروى ابن المنكدر أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى أمر السماء والأرض والجبال أن تطيعك فقال أؤخر عن أمتي لعل الله أن يتوب عليهم، قالت عائشة رضى الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما، قال ابن مسعود رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة بمخافة السامة علينا،

(قوله الأخشبين) بهمزة مفتوحة وحاء وشين معجمتين: جبلا مكة (قوله يتخولنا) بالخاء المعجمة، قال ابن الأثير أي يتعهدنا، وقال ابن الصلاح الصواب بالحاء المهملة أي يطلب الحال التي يبسطون فيها للموعظة وكان الأصمعي يرويه يتخولنا بالنون (*)

وعن عائشة أنها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليك بالرفق. (فصل) وأما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فحدثنا القاضي أبو عامر محمد بن إسماعيل بقرائه عليه قال حدثنا أبو بكر محمد بن محمد حدثنا أبو إسحق الحبال حدثنا أبو محمد بن النحاس حدثنا ابن الأعرابي حدثنا أبو داود حدثنا محمد بن يحيى حدثنا محمد بن سنان حدثنا إبراهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم ابن عبد الله بن شقيق عن أبيه عن عبد الله عن أبي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعده أن آتية بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك * وعن أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى بهدية قال اذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة إنها كانت تحب خديجة، وعن عائشة رضی الله عنها قالت ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت أسمعها يذكرها وإن كان ليذبح الشاة فيهدياها

والمعجمة أي يتعهدنا (قوله ابن طهمان) بفتح الطاء المهملة وسكون الهاء (قوله بديل) بضم الموحدة وفتح الدال وتسكين المثناة من تحت (قوله الحمساء) بحاء مهملة مفتوحة وميم ساكنة وسين مهملة وهمزة ممدودة، وفي بعض النسخ بالخاء المعجمة والنون وهو تصحيف، وفي بعضها عن أبي الحمساء وأبو الحمساء لا إسلام له ولا روايه (*)

إلى خلائلها واستأذنت عليه أختها فارتاح إليها، ودخلت عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال عنها فلما خرجت قال (إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان)، ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم. وقال صلى الله عليه وسلم (إن آل بنى فلان ليسوا لي بأولياء، غير أن لهم رحما سابلها ببلالها) * وقد صلى عليه الصلاة والسلام بأمامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها، وعن أبي قتادة وقد وفد للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له أصحابه نكفك فقال (إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإنى أحب

(قوله أختها) أي أخت خديجة، وهي هالة بنت خويلد، ذكرها في الصحابة ابن منده وأبو نعيم وهي أم أبي العاص بن الربيع بتشديد الراء المفتوحة وكسر الموحدة (قوله إن آل بنى فلان) قال ابن فرقول المشهور أن آل أبي ليسوا بأوليائي بفتح الهمزة يعني من أبي قال ويعدده بياض في الأصول، كأنهم تركوا الاسم تورعا عن الفتنة، وعند ابن السكن أن آل أبي فلان كنى عنه بفلان انتهى، والمراد الحكم بن أبي العاص (قوله بلالها) البلال بكسر الموحدة، وقد تفتح قال في الصحاح كل ما يبيل به الحلق من الماء واللبن فهو بلال، ومنه قولهم انصحووا الرحم بلالها، أي صلوا بصلتها وندوها. (قوله بأمامة) هي ابنة ابنته زينب من أبي العاص بن الربيع، تزوجها على رضى الله عنه بعد موت فاطمة بوصية فاطمة رضى الله عنها بذلك، وتزوجها بعد على المغيرة بن نوفل فماتت عنده، وأسم أبي العاص بن الربيع لقيط وأمّه هالة بنت خويلد أخت خديجة، أسر يوم بدر فمن عليه بلا فداء إكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب زينب، وأسلم قبيل الفتح وحسن إسلامه، وأعاد له رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنكاح جديد، وقيل بالنكاح الأول. (*)

أن أكافئهم) * ولما جئ بأخته من الرضاعة الشيماء في سبابا هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه وقال لها إن أحببت أقمت عندي مكرمة محببة أو متعتك ورجعت إلي قومك، فاختارت قومها فمتعتها، وقال أبو الطفيل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا غلام إذ أقبلت امرأة حتى دنت منه فيسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا أمه التي أرضعته، وعن عمرو بن السائب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد

(قوله أن أكافئهم) بهمزة بعد الفاء (قوله بأخته من الرضاعة الشيماء بشين معجمة مفتوحة ومثناة تحتية ساكنة وميم ومد. قال المحب الطبري، ويقال لها الشماء بغير ياء، أبوها الحرث أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة، أدرك الإسلام وأسلم بمكة، والشيماء كانت تربي النبي صلى الله عليه وسلم مع أمها حليمة، أسلمت، وذكرها ابن الأثير في الصحابة وأسمها جدامة بالجيم والدال المهملة بعدها ألف فميم، وقيل حذافة بالحاء المهملة والذال المعجمة بعدها ألف ففاء، وقيل جدامة بالخاء المعجمة المكسورة والذال المعجمة بعدها ألف وميم (قوله أبو الطفيل) بضم الطاء وفتح الفاء واسمه عامر بن وائلة بالمثلثة أدرك النبي صلى الله عليه وسلم صغيرا وهو آخر من مات من الصحابة (قوله قالوا أمه التي أرضعته) في الاستيعاب لابن عبد البر: روى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار جاءت حليمة بنت عبد الله أم النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة يوم حنين فقام لها وبسط لها رداءه، وفي التجريد للذهبي يجوز أن يكون هذه ثوبية ورد بنقل مغلطاي عن ابن سعد أن ثوبية توفيت سنة سبع وبنقل السهيلي أنه عليه الصلاة والسلام لما فتح مكة سئل عن ثوبية وعن ابنها مسرور فأخبر أنهما ماتا، وقال الحافظ الدمياطي لا تعرف لها صحبة ولا إسلاما ثم ذكر حديث بسط الرداء وقال هذه أخته الشيماء لا أمها حليمة وفي سيرة مغلطاي وصحح ابن حبان وغيره حديثا دل على إسلامهما (قوله عمرو بن السائب) هو ابن السائب بن راشد البصري مولى بنى زهرة، تابعي ذكره الحافظ (*)

[١٢٩]

عليه ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه، ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه. وكان يبعث إلى ثوبية مولاة أبي لهب مرضعته بصلة وكسوة، فلما ماتت سألت: من بقى من قرابتها؟ فقيل لا أحد، وفي حديث خديجة رضي الله عنها أنها قالت له صلى الله عليه وسلم: أبشر فو الله لا يحزنك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق. (فصل) وأما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة

عبد الغنى المقدسي في إكماله فيمن اسمه عمرو ووهمه المزى، وقال اسمه عمر (قوله ثم أقبلت أمه) من الرضاعة، الظاهر أنها حليمة. قيل أرضعته صلى الله عليه وسلم ثمان نسوة: ثوبية وكان لها ابن فرضع يقال له مسرور وحليمة. وخولة بنت المنذر ذكرها أبو الفتح اليعمرى عن أبي إسحاق. وأم أيمن ذكرها أبو الفتح عن بعضهم والمعروف أنها من الحواضن. وامرأة صعديّة غير حليمة ذكرها ابن القيم في الهدى، وثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن عاتكة نقله السهيلي عن بعضهم في قوله صلى الله عليه وسلم (أنا ابن العواتك من سليم) (قوله وكان يبعث إلى ثوبية) قال السهيلي: كان يبعث إليها من المدينة فلما افتتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسرور فأخبر أنهما ماتا. وثوبية بضم المثناة وفتح الواو بعدها مثناة تحتية ساكنة فموحدة مولاة لأبي لهب عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم. (قوله لا يحزنك) قال ابن قرقول في الحاء والزاء لا يحزنك الله أبدا كذا رواه معمر عن الزهري، ورواه عنه معقل ويونس من الخزى والفضيحة وهو أصوب انتهى. وإذا روى بالحاء المهملة ففي المثناة التحتيّة الفتح والضم، لأنه يقال حزنه وأحزنه، وإذا روى بالمعجمة فليس فيها إلا الضم (قوله وتكسب المعدوم) تقدم بما فيه (قوله وتقري) بفتح المثناة وسكون القاف (٩ - ١) (*)

[١٣٠]

رَبِّتَهُ فَكَانَ أَشَدَّ النَّاسِ تَوَاضَعًا وَأَعْدَمَهُمْ كِبْرًا، وَحَسْبُكَ أَنَّهُ خَيْرٌ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مَلَكًا أَوْ نَبِيًّا عَبْدًا فَاخْتَارَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا، فَقَالَ لَهُ إِسْرَافِيلُ عِنْدَ ذَلِكَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَاكَ بِمَا تَوَاضَعْتَ لَهُ أَنْتَ سَيِّدَ وُلْدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ وَأَوَّلَ شَافِعٍ * حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ الْعَوَادِ الْفَقِيهَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ فِي مَنْزِلِهِ بِقَرْطَبَةَ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِمِائَةٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَافِظُ حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ حَدَّثَنَا ابْنُ دَاسَةَ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَمِيرٍ عَنْ مَسْعَرٍ عَنْ أَبِي الْعَنَسِ عَنْ أَبِي الْعَدْبِسِ عَنْ أَبِي مَرْزُوقٍ عَنْ أَبِي غَالِبٍ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(قوله وأقلهم كبرا) القلة هنا مراد بها النفي، لأنها تستعمل بمعناه، نحو: أقل رجل يقول ذلك: أي ما رجل يقوله، ولذلك لا يدخل نواسخ الابتداء على أقل كما لا يدخل على ما النافية، ومن استعمال القلة بمعنى النفي الحديث الذي رواه النسائي عن عبد الله بن أبي أوفى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الذكر ويقال للغو، قال ابن الأثير في النهاية: أي لا يلغو شيئا، وهذه اللفظة قد تستعمل في نفي أصل الشيء كقوله تعالى (فقليلًا ما يؤمنون) (قوله عن مسعر) بميم مكسورة وسين مهملة ساكنة وعين مهملة مفتوحة (قوله عن أبي العنيس) بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح الموحدة وبعدها سين مهملة، اسمه الحرث بن عبيد بن كعب العدوي الكوفي (قوله العديس) بفتح العين والذال المهملتين، وتشديد الموحدة، بعدها سين مهملة: هو تبع، بضم المثناة الفوقية، وفتح الموحدة، وسكون المثناة التحتانية بعدها عين مهملة، ذكره ابن ماكولا في الإكمال. (*)

[١٣١]

مَتَوَكَّنًا عَلَى عَصَا فِقْمِنَا لَهُ فَقَالَ (لَا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الْأَعَاجِمُ يَعْظُمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا) وَقَالَ (إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ أَكَلْتُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ وَأَجْلَسْتُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ) وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْكَبُ الْحِمَارَ وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ وَيَعُودُ الْمَسَاكِينَ وَيَجَالِسُ الْفُقَرَاءَ وَيَجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ وَيَجْلِسُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ مَخْتَلِطًا بِهِمْ حَيْثُمَا انْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ جَلْسًا. وَفِي حَدِيثٍ عَمْرٍو عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لَا تَطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ) إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ) وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ جَاءَتْهُ فَقَالَتْ: إِنْ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ، قَالَ: اجْلِسِي يَا أُمُّ فُلَانٍ فِي أَيِّ طَرَقِ الْمَدِينَةِ شِئْتُ أَجْلِسُ إِلَيْكَ حَتَّى أَقْضِيَ حَاجَتَكَ، قَالَ فَجَلَسْتُ فَجَلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهَا حَتَّى فَرَّغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا. قَالَ أَنَسٌ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْكَبُ الْحِمَارَ وَيَجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ وَكَانَ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ عَلَى حِمَارٍ مَخْطُومٍ يَحِيلُ مِنْ لَيْفٍ عَلَيْهِ إِكَافًا. قَالَ: وَكَانَ يَدْعُو إِلَى خَبْزِ الشَّعِيرِ وَالْإِهَالَةِ السَّنَخَةِ فَيَجِيبُ قَالَ: وَحَجَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رِثٍ وَعَلَيْهِ قَطِيفَةٌ مَا تَسَاوَى

(قوله لا تطروني) الإطراء مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه (قوله أن امرأة كان في عقلها شيء) قيل هي أم زفر ماشطة خديجة بنت خويلد (قوله عليه إكاف) هو بكسر الهمزة وضمها وبالواو بدلها: البرذعة، وقيل ما تشد فوق البرذعة من ورائها (قوله والإهالة السنخة) الإهالة بكسر الهمزة وتخفيف الهاء كل ما يؤدم به من الأدهان، والسنخة بفتح السين المهملة وكسر النون بعدها خاء معجمة المتغير الرائحة، يقال سنخ وزنخ (قوله وعليه قطيفة) القطيفة الكساء الذي له خمل (*)

[١٣٢]

أَرْبَعَةَ دَرَاهِمٍ فَقَالَ (اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا مَبْرُورًا لَا رِيَاءَ فِيهِ وَلَا سَمْعَةَ. هَذَا وَقَدْ فَتَحَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضَ وَأَهْدَى فِي حَجَّتِهِ ذَلِكَ مِائَةَ بَدَنَةٍ وَلَمَّا

فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ على رحله رأسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى * ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله (لا تفضلوني على يونس - بن متى - ولا تفضلوا بين الأنبياء ولا تخيروني على موسى ونحن أحق بالشك من إبراهيم، ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لأجبت الداعي) وقال للذي قال له: يا خير البرية (ذاك إبراهيم) وسيأتي الكلام على هذه الأحاديث بعد هذا إن شاء الله تعالى * وعن عائشة والحسن وأبي سعيد وغيرهم في صفته وبعضهم يزيد على بعض. كان في بيته في مهنة أهله يغلَى ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف

(قوله يونس بن متى) قال ابن الأثير متى أمه ولم يشهر نبى بأمه غير عيسى ويونس، فإن قيل قد ورد في الصحيح، لا تفضلوني على يونس بن متى، ونسبه إلى أبيه وهو يقتضى أن متى أبوه أجيب بأن متى مدرج في الحديث من كلام الصحابي لبيان يونس بما اشتهر به، لا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ولما كان ذلك موهوماً أن الصحابي سمع هذه النسبة من النبي صلى الله عليه وسلم دفع الصحابي ذلك بقوله: ونسبه إلى أبيه، أي لا كما فعلت أنا من نسبته إلى أمه (قوله في مهنة أهله) في الصحاح المهنة بالفتح الخدمة، وحكى أبو زيد والكسائي المهنة بالكسر، وأنكره الأصمعي انتهى. وعن المزي: كسر الميم أحسن ليكون على وزن خدمة كما هو بمعناه (قوله يغلَى ثوبه) قيل إنه عليه السلام، لم يقع عليه ذباب قط، ولم يكن القمل يؤذيه تعظيماً له وتكريماً (قوله ويخصف نعله) بالخاء المعجمة والصاد المهملة: أي يخرزها (قوله ويقم) بضم القاف: أي كنس (*)

[١٣٣]

ناضحة وبأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق * وعن أنس رضى الله عنه إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنتطق به حيث شاءت حتى تقضى حاجتها. ودخل عليه رجل فأصابته من هيبته رعدة فقال له (هون عليك فإنى لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد) وعن أبي هريرة رضى الله عنه. دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشتري سراويل وقال للوزان (زن وأرجح) وذكر القصة، قال: فوثب إلى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها فحذب يده وقال (هذا تفعله الأعاجم بملوكها وليست بملك إنما أنا رجل منكم) ثم أخذ السراويل فذهبت لأحمله فقال (صاحب الشئ أحق بشيئه أن يحمله) (فصل) وأما عدله صلى الله عليه وسلم وأمانته وعفته وصدق لهجته، فكان صلى الله عليه وسلم آمن الناس وأعدل الناس وأعف الناس أصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى

(قوله ناضحة الناضح بالصاد المعجمة والخاء المهملة: الجمل الذى يستقى عليه الماء (قوله سراويل) قالوا لم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم لبس السراويل، ولكنه اشتراها ولم يلبسها، وفي الهدى لابن قيم الجوزية أنه لبسها. قالوا وهو سبق قلم، واشترها عليه السلام بأربعة دراهم، وفي الإحياء أنه اشتراها بثلاثة دراهم (قوله آمن) بمد همزة وفتح الميم (قوله محادوه) بالخاء والداد المشددة المهملتين. أي: مخالفة، ومنه قوله تعالى (ومن يحادد الله ورسوله) (قوله وعداه) بكسر العين المهملة والقصر أي أعداؤه (*)

[١٣٤]

قبل نبوته: الأمين، قال ابن اسحاق كان يسمى الأمين بما جمع الله فيه من الأخلاق الصالحة. وقال تعالى (مطاع ثم أمين) أكثر المفسرين على أنه محمد صلى الله عليه وسلم، ولما اختلفت

قريش وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا أول داخل عليهم فإذا بالنبى صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا: هذا محمد؟ هذا الأمين قد رضينا به. وعن الربيع بن خثيم: كان يتحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الإسلام. وقال صلى الله عليه وسلم (والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض) حدثنا أبو على الصدفى الحافظ بقراءتي عليه حدثنا أبو الفضل ابن خيرون حدثنا أبو يعلى بن زوج الحرة حدثنا أبو على السنجى حدثنا محمد بن محبوب المروزى حدثنا أبو عيسى الحافظ حدثنا أبو كريب حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن أبى إسحاق عن ناجية بن كعب عن على بن رضى الله عنه، أن أبا جهل قال للنبى صلى الله عليه وسلم: إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به، فأنزل الله تعالى (فإنهم لا يكذبونك) الآية وروى غيره. لا نكذبك وما أنت فينا بمكذب. وقيل إن الأحنس بن شريق

(قوله وتحازبت) بالحاء المهملة والزاي، أي صارت أحزابا (قوله وعن الربيع بن خثيم) الربيع بفتح الراء وكسر الموحدة المخففة، وخثيم بضم الخاء المعجمة بعدها مثلثة مفتوحة (قوله أبو كريب) بضم الكاف وفتح الراء (قوله عن ناجية) بالنون والجيم المكسورة والمثناة التحتية المخففة (قوله أن الأحنس بن شريق) الأحنس بفتح الهمة وسكون المعجمة، وشرى بفتح الشين المعجمة، وكسر الراء بعدها تحية ساكنة ففاف (قوله يوم بدر) كان يوم الجمعة (*)

[١٣٥]

لقى أبا جهل يوم بدر فقال له: يا أبا الحكم ليس هنا غيرى وغيرك يسمع كلامنا، تخبرني عن محمد صادق هو أم كاذب؟ فقال أبو جهل: والله إن محمدا لصادق وما كذب محمد قط. وسأل هرقل عنه أبا سفيان فقال: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا، وقال النضر بن الحارث لقريش: قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتهم ساحر، لا والله ما هو بساحر. وفى الحديث عنه: ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقبها. وفى حديث على بن رضى الله عنه وصفه صلى الله عليه وسلم: أصدق الناس لهجة، وقال فى الصحيح (وبحك فمن يعدل إن لم يعدل؟ خبت وخسرت إن لم يعدل، قالت عائشة رضى الله عنها: ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما

صبيحة تسع عشرة من رمضان سنة اثنتين من الهجرة (قوله هرقل) بكسر الهاء وفتح الراء، فى الصحاح هرقل ملك الروم على وزن دمشق، ويقال أيضا هرقل، على وزن خندق انتهى، يعنى أن هرقل علم لملك من الروم مخصوص، وهو الذى كان فى زمانه عليه السلام، وأما لقب من ملك الروم فقيصر (قوله وقال النضر بن الحارث) النضر بالضاد المعجمة قتل كافرا صبورا بالصفراء بعد أن انصرف النبى صلى الله عليه وسلم من وقعة بدر، ورثته أخته أو ابنته قتيلة على اختلاف القولين بالأبيات التى أولها: يا راكبا إن الأثيل مظنة * من صبح خامسة وأنت موفق قال الذهبى لم يذكر ابن الأثير شيئا يدل على إسلامها، وفى الاستيعاب قال الزبير: وسمعت بعض أهل العلم يغمز أبياتها، ويذكر أنها مصنوعة (*)

[١٣٦]

فإن كان إثما كان أبعد الناس منه (قال أبو العباس المبرد: قسم كسرى أيامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج. قال ابن خالويه ما كان

أعرفهم بسياسة دنياهم (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزأ نهاره ثلاثة أجزاء: جزءا لله وجزءا لأهله وجزءا لنفسه، ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول (أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغى فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها آمنه الله يوم الغزى الأكبر) وعن الحسن: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ أحدا يقرف أحد ولا يصدق أحدا على أحد، وذكر أبو جعفر الطبري عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم (ما هممت بشئ مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك، ثم ما هممت بسوء حتى أكرمنى الله برسالته، قلت ليلة لغلام كان يرمى معى: لو أبصرت لى غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب، فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة سمعت عزفا بالدقوف والمزامير لعرس

(قوله كسرى) بكسر الكاف وفتحها لقب لكل من ملك الفرس (قوله يقرف) بفتح القاف وسكون الراء يقال قرفت الرجل أي عبته وهو يقرف بكذا: أي يرمى به ويتهم (قوله عزفا) بفتح العين المهملة سكون الزاي، أي لعبا بالمعازف، وهى الدقوف وغيرها مما يضرب به، وقيل كل لعب عرف. (*)

[١٣٧]

بعضهم فجلست أنظر، فضرب على أذنى فتمت فما أيقظني إلا مس الشمس فرجعت ولم أقض شيئا، ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك ثم لم أهم بعد ذلك بسوء (فصل) وأما وقاره صلى الله عليه وسلم وضمنته وتؤدته ومروؤته وحسن هديه فحدثنا أبو على الجباني الحافظ إجازة وعارضت بكتابه قال: حدثنا أبو العباس الدلائى أخبرنا أبو ذر الهروي أخبرنا أبو عبد الله الوراق حدثنا اللؤلؤي حدثنا أبو داود حدثنا عبد الرحمن بن سلام حدثنا الحجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عمر بن عبد العزيز ابن وهب سمعت خارجة بن زيد يقول: كان النبي صلى الله عليه وسلم أوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من أطرافه. وروى أبو سعيد الخدرى: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكذلك كان أكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا. وعن جابر بن سمرة: أنه تربع وربما جلس القرفصاء وهو

(قوله ثم عراني) بفتح العين المهملة وتخفيف الراء، أي: غشيتني (قوله لم أهم) بضم الهاء (قوله هديه) أي سيرته (قوله الدلائى * بكسر الدال المهملة وتخفيف اللام الممدودة وبعدها همزة وياء مشددة (قوله عبد الرحمن) بن سلام بتشديد اللام وهو جد عبد الرحمن، نسب إليه والد عبد الرحمن اسمه محمد (قوله عن عمر بن عبد العزيز) بن وهيب الأنصاري، هو مولى زيد بن ثابت (قوله خارجة بن زيد) ابن ثابت أحد الفقهاء السبعة، يروى عن أبيه وأسامة بن زيد، وهذا الحديث في مراسيل أبي داود (قوله القرفصاء) بضم القاف والفاء، قال ابن قرقول: يمد ويقصر ويقال (*)

[١٣٨]

في حديث قيلة. وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة، تعرض عن نكلم بغير جميل، وكان ضحكه تبسما وكلامه فضلا لا فضول ولا تقصير، وكان ضحك أصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به. مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير. وفي

صفته: يخطو تكفؤًا ويمشى هونا كأنما ينحط من صيب: وفى الحديث الآخر: إذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيته أنه غير غرض ولا وكل أي

بكسر القاف والفاء، وقال الفراء إذا ضمنت مددت وإذا كسرت قصرت وفي الصحاح وهو أن يجلس الرجل على ألبته ويلصق فخذه بطنه ويحتبى بيديه يضعهما على ساقيه كما يحتبى بالثوب تكون يده مكان الثوب، عن أبي عبيد، وقال أبو المهدي هو أن يجلس على ركبته متكئا ويلصق بطنه بفخذه ويتأبط كفيه وهى جلسة الأعراب انتهى (قوله فلية) بفتح القاف وسكون المثناة التحتية، هى بنت محرمة العودية وقيل العنبرية وهو الصحيح (قوله وتؤين) بمتناة فوقية مضمومة وهمزة ساكنة وموحدة مفتوحة مخففة، وفي الصحاح فلان يؤين بكذا أي يذكر بقبیح، وفى ذكر مجلسه صلى الله عليه وسلم لا تؤين فيه الحرم أي لا يذكر بسوء انتهى (قوله كأنما على رؤوسهم الطير) قال الهروي يعنى ليس فيهم طيش ولا خفة، لأن الطير لا يكاد يقع إلى على ساكن (قوله يكفى) قال ابن الأثير: يتكفى تكفيا أي تمايل إلى قدام هكذا روى غير مهموز والأصل الهمز ويرويه بعضهم مهموزا لأن مصدر يفعل من الصحيح الفعل. كتقدم تقدا والهمز حرف صحيح، فأما إذا اعتل انكسرت عين المستقبل منه، نحو يحفى تحفيا فإذا خفتت الهمزة التحق بالمعتل وصار تكفنا انتهى (قوله من صيب) أي منحدر (قوله غرض) بفتح الغين المعجمة وكسر الراء بعدها ضاد معجمة من الغرض بفتحيتين وهو الضجر والملالة (قوله ولا وكل) بفتح الواو والكاف، أي: عاجز يكل أمره إلى غيره، ويتكل عليه. (*)

[١٣٩]

غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله بن مسعود: إن أحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما: كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترتيل أو ترسيل. قال ابن أبي هالة: كان سكوته على أربع: على الحلم والحذر والتقدير والتفكر: قالت عائشة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد أحصاه، وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيرا ويحض عليهما ويقول (حب إلى من دناكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة، ومن مروته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النخ في الطعام والشراب، والأمر بالأكل مما يلى، والأمر بالسواك وإنقاء البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة. (فصل) وأما زهده في الدنيا فقد تقدم من الأخبار أثناء هذه

(قوله حيب من دناكم) في بعض النسخ زيادة ثلاث وهى ليست في الحديث والحديث في النسائي ومستدرک الحاكم وفى الكشف بعد ما ذكر الحديث بزيادة كلمة ثلاث وطوى ذكر الثلاث قال التفتازانى (يعنى أنا وقره عيني في الصلاة) كلام مبتدا قصد به الإعراض عن ذكر الدنيا وما يجب فيها وليست عطا على الطيب والنساء كما يسبق إلى الفهم لأنها ليست من الدنيا (قوله وإنقاء البراجم) الإنقاء بالنون والقاف التنظيف والبراجم بفتح الموحدة وتخفيف الراء بعدها ألف وجم مكسورة وميم جمع برجمة بضم الموحدة والجم وهى مفاصل الأصابع التى بين الأشاجع والرواجب، وهى رؤوس السلاميات من ظهر الكف إذا قبض القابض كفه نشرت وارتفعت، والرواجب: بكسر الجيم وبعدها موحدة جمع راجبة وهى مفاصل الأصابع التى تلى الأنامل، ثم تليها الأشاجع اللاتى تلين الكف، والسلاميات جمع سلامى وهى عظام الأصابع. (*)

[١٤٠]

السيرة ما يكفى، وحسبك من تقله منها وإعراضه عن زهرتها، وقد سيقت إليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها إلى أن توفى صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودى في نفقة عياله وهو يدعو ويقول (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا) * حدثنا سفيان بن العاصي

والحسين بن محمد الحافظ والقاضي أبو عبد الله التميمي قالوا:
حدثنا أحمد ابن عمر قال: حدثنا أبو العباس الرازي قال: حدثنا أبو
أحمد الجلودى حدثنا ابن سفيان حدثنا أبو الحسين مسلم بن
الحجاج حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية عن الأعمش
عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضى الله عنها قالت: ما شبع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبز حتى مضى
لسبيله، وفى رواية أخرى من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء
لأعطاه الله ما لا يخطر ببال، وفى رواية أخرى: ما شبع آل رسول الله
صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله عز وجل، وقالت
عائشة رضى الله عنها: ما ترك رسول الله

(قوله بحذافيرها) حذافير الشئ أعاليه ونواحيه، ويقال أعطاه الدنيا بحذافيرها أي
بأسرها جمع حذفار وحذفور (قوله رزق آل محمد قوتا) القوت بالضم ما يقوت بدن
الإنسان من الطعام (قوله أبو معاوية) هو محمد بن خازم بالمعجمة والزاي الحافظ
الضرب أحد الأعلام (قوله عن إبراهيم) هو ابن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو ابن
ربيعة النخعي الكوفي الفقيه الإمام (قوله تخصر) بكسر الصاد المهملة، أي يحدث،
ويجوز ضمها أي تمر (*)

[١٤١]

صلى الله عليه وسلم ديناراً ولا درهما ولا شاة ولا بعيراً، وفى حديث
عمرو بن الحارث ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا سلاحه
وبغلته وأرضا جعلها صدقة، قالت عائشة رضى الله عنها ولقد مات
وما فى بيتى شئ يأكله ذو كبد إلا شطر شعير فى رى لى وقال
لى (إنى عرض على أن يجعل لى بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يا رب
أجوع يوماً وأشبع يوماً فأما اليوم الذى أجوع فيه فأترضع إليك وأدعوك
وأما اليوم الذى أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك) وفى حديث آخر إن
جبريل نزل عليه فقال له: إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك
(أنتحب أن أجعل هذه الجبال ذهباً وتكون معك حيثما كنت ؟) فأطرق
ساعة ثم قال (يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له
قد يجمعها من لا عقل له) فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول
الثابت، وعن عائشة رضى الله عنها قالت: إن كنا آل محمد لنمكث
شهوراً ما نستوقد ناراً إن هو إلا التمر والماء، وعن عبد الرحمن بن
عوف هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته
من خبز الشعير، وعن عائشة وأبى أمامة وابن عباس نحوه قال ابن
عباس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

(قوله وفى حديث عمرو بن الحارث) هو ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخو
جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار المصطلقى الخزاعى، له ولأبيه صحبة (قوله إلا شطر
شعير) قال الترمذى أى شئ من شعير، وقال ابن الأثير قيل نصف مكوك، وقيل نصف
وسق، ويقال شطر وشطير، مثل نصف ونصيف انتهى، وتام الحديث فأكلت منه حتى
طال على فكلته ففنى وهو متفق عليه (قوله فى رى) بالراء المفتوحة والفاء، وفى
الصحاح الريف شبه الطاق (قوله وأبى أمامة) هو صدق بن عجلان الباهلى (*)

[١٤٢]

بييت هو وأهله الليلية المتتابعة طابوا لا يجدون عشاء، وعن أنس
رضى الله عنه قال: ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على
خوان ولا فى سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطا قط،
وعن عائشة رضى الله عنها: إنما كان فرائشه صلى الله عليه وسلم
الذى ينام عليه أدما حشوه ليف، وعن حفصة رضى الله عنها قالت:

كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته مسحا نثية
ثنتين فينام عليه فثنيناه له ليلة بأربع فلما أصبح قال: ما فرشتما
لى الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله فإن وطأته منعني الليلة
صلاتي وكان ينام أحيانا على سرير مزمول بشرط حتى يؤثر في
جنبه. وعن عائشة رضی الله عنها قالت: لم يمتلى جوف النبي
صلى الله عليه وسلم شيئا قط ولم يبت شكوى إلى أحد وكانت
الفاقة

(قوله على خوان) بكسر الخاء المعجمة وضمها قال ابن قرقول ويقال أيضا إخوان وهي
المائدة (قوله ولا في سكرجة) قال ابن قرقول هي بضم السين والكاف والراء، وقال
ابن مكي صوابه بفتح الراء وهي قصاع صغار يؤكل فيها وليست بعربية، ومعنى ذلك أن
العجم كانت تستعملها في الكواميخ وما أشبهها من الجوارشات على الموائد حول
الأطعمة للتشهي والهضم، فأخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأكل على هذه
الصفة قط، وقال الداودي هي قصعة صغيرة مدهونة (قوله شاة سميطا) في الصحاح
سمطت الجدى: أسمطه وأسمطه سمطا، إذا نظفته عن الشعر بالماء الحار لتشويه
فهو سميط ومسموط (قوله مسحا) بكسر الميم وسكون السين وبالهاء المهملتين
أي بلاسا (قوله مزمول بشرط) في الصحاح يقال زمل سريريه وأزمله إذا زمل شريطا أو
غيره فجعله ظهرا له، والشريط حيط يقتل منخوس (قوله شبعنا) بكسر الشين
المعجمة وفتح الموحدة تقيض الجوع والشبع، بسكون الموحدة اسم ما أشبعك من
شئ (قوله ولم يبت) بفتح المثناة التحتية وضم الموحدة بعدها مثله، (*)

[١٤٣]

أحب إليه من الغنى وإن كان ليظل جائعا ليلتوي طول ليلته من
الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض
وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت أبكي له رحمة مما أرى به وأمسح
بيدي على بطنه مما به من الجوع وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت
من الدنيا بما يقوتك فيقول (يا عائشة مالي وللدنيا؟ إخواني من
أولى العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على
حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني
أستحيى إن ترفعت في معيشتي أن يقصر بي غدا دونهم وما من
شئ هو أحب إلي من اللحوق بإخواني وأخلائي، قالت فما أقام بعد
إلا شهرا حتى توفى صلى الله عليه وسلم. (فصل) وأما خوفه ربه
وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثنا
أبو محمد بن عتاب قراءة منى عليه قال حدثنا أبو القاسم
الطرابلسي حدثنا أبو الحسن القابسي حدثنا أبو زيد المروزي حدثنا
أبو عبد الله الفربري حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا يحيى ابن بكير
عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب

(قوله عن الليث) هو ابن سعد، قال أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس في
تاريخ مصر: الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفقيه يكنى أبا الحارث يقال إنه مولى
بنى فهم، ثم لآل خالد بن ناشر بن طاعن الفهمي، ثم من بنى كنانة بن عمر بن
القيس، وكان اسمه في ديوان مصر في موالى بنى كنانة من فهم وأهل بيته يقولون:
نحن من الفرس من أهل أصبهان، قال ابن يونس وليس لما قالوه من ذلك عندنا صحة
وأخرج ابن يونس من طريق عمرو بن أبي الظاهر بن السرح، قال: سمعت يحيى بن
بكير يقول سعد والد (*)

[١٤٤]

أن أبا هريرة رضی الله عنه كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا)، زاد في
روايتهنا

الليث كان من موالى قريش، ثم افترض في بنى فهم فنسب إليهم، وقال يعقوب ابن سفيان في تاريخه قال يحيى بن بكير سمعت شعيب بن الليث يقول: كان الليث يقول لنا قال لي بعض أهلي إنى ولدت سنة اثنين وتسعين، والذي أوقن أنى ولدت سنة أربع وتسعين، وقال أبو صالح كاتب الليث، سمعت الليث يقول: مات عمر بن عبد العزيز ولى سبع سنين، وكانت وفاة عمر سنة إحدى ومائة، وقال أبو نعيم في الحلية: أدرك الليث نيفا وخمسين رجلا من التابعين وأسند أبو نعيم عن محمد بن رمح قال: كان دخل الليث في كل سنة ثمانين ألف دينار ما أوجب الله عليه قط بزكاة ووصل ابن لهيعة لما احترقت داره بألف دينار وحج فأهدى إليه مالك طبقا فيه رطب فرد إليه على الطبق ألف دينار وأخرج أبو نعيم عن لؤلؤ خادم الرشيد قال جرى بين هارون الرشيد وبين بنت عمه زبيدة بنت جعفر كلام فقال هارون أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة، ثم ندم فجمع الفقهاء فاختلفوا ثم كتب إلى البلدان فاستحضر علماءها إليه، فلما اجتمعوا جلس لهم فسألهم فاختلفوا وبقي شيخ لم يتكلم وكان في آخر المجلس، قال فسأله فقال إذا خلا أمير المؤمنين في مجلسه كلمته فصرفهم فقال: يدينى أمير المؤمنين فأذناه فقال: أتكلم على الأمان فقال نعم، فأمر بإحضار مصحف، فأحضره، فقال: تصفحه يا أمير المؤمنين حتى تصل إلى سورة الرحمن فأقرأها ففعل، فلما انتهى إلى قوله تعالى: ولمن خاف مقام ربه جنتان، قال أمسك يا أمير المؤمنين، قل والله، قال فاشتد ذلك على هارون، فقال يا أمير المؤمنين الشرط أملك فقال والله حتى فرغا من اليمين، قال: قل إنى أخاف مقام ربى فقال ذلك، فقال يا أمير المؤمنين هي جنتان، وليس بجنة واحدة، قال فسمعت التصفيق والفرح من وراء الستر، فقال له الرشيد: أحسنت والله، وأمر له بالجوائز والخلع وأمر له بإقطاع ولا ينصرف أحد بمصر إلا بأمره وصرفه مكرما، قال خليفة بن حياط ومحمد بن سعد والبخاري وغير واحد، مات الليث سنة خمس وسبعين ومائة زاد ابن سعد يوم الجمعة لأربع عشرة بقيت من شعبان (قوله عن عقيل) بضم المهملة وفتح القاف: ابن خالد الأيلي (*)

[١٤٥]

عن أبي عيسى الترمذي رفعه إلي أبي ذر رضى الله عنه (إنى أرى مالا ترون وأسمع ما لا تسمعون أظت السماء وحق لها أن تظ ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، وما تلذذتم بالنساء على الفراش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله) لوددت أنى شجرة تعضد، روى هذا الكلام: وددت أنى شجرة تعضد، من قول أبي ذر نفسه وهو أصح وفى حديث المغيرة: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه، وفى رواية: كان يصلى حتى ترم قدماه، فقيل له: أتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدا شكورا، ونحوه عن أبي سلمة وأبي هريرة وقالت عائشة رضى الله عنها: كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة، وأيكم يطيق. وقالت: كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم * ونحوه عن ابن عباس وأم سلمة وأنس وقال: كنت لا تشاء أن تراه في الليل مصليا إلا رأيته مصليا

(قوله أظت) بهمزة مفتوحة وطاء مهملة مشددة بعدها مثناة فوقية للتأنيث، قال ابن الأثير: الأظيط صوت الأقباب، وأظيط الإبل: أصواتها وحنينها، أي ما فيها من الملائكة قد أتقلها حتى أظت، وهذا مثل وإيذان بكثرة الملائكة وإن لم يكن ثم أظيط، وإنما هو كلامه للتقريب أريد به تعريف عظمة الله انتهى (قوله إلى الصعدات) أي الطرقات، جمع سعد بضمين جمع صعيد، كطريق وطرق وطرقات، وقيل جمع صعدة كظلمة وهي فناء الباب وممر الناس بين يديه (قوله تجأرون) الجوار: رفع الصوت (قوله أتكلف) أي أتكلف فحذف إحدى التاءين (قوله وأم سلمة) اسمها هند على الصحيح، وقيل رملة بنت أبي أمية بن حذيفة. (*)

[١٤٦]

ولا نائما إلا رأيته نائما. وقال عوف بن مالك: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاك ثم توضع ثم قام يصلى، فقامت معه فبدأ فاستفتح البقرة، فلا يمر بأية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بأية

عذاب إلا وقف فتعوذ، ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول: سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة، ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران، ثم سورة سورة، يفعل مثل ذلك. وعن حذيفة مثله وقال: سجد نحواً من قيامه، وجلس بين السجدين نحواً منه وقام حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة * وعن عائشة قالت: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة. وعن عبد الله بن الشخير: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل. قال ابن أبي هالة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الأحران دائم الفكرة ليست له راحة. وقال صلى الله عليه وسلم: (إنى لأستغفر الله في اليوم مائة مرة) وروى (سبعين مرة) * وعن علي رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال (المعرفة رأس مالى والعقل أصل دينى والحب أساسى والشوق مركبى

(قوله بآية من القرآن ليلة) هي قوله تعالى (إن تعذيبهم فإنهم عبادك، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) (قوله ابن الشخير) بكسر الشين والخاء المعجمتين، صحابي نزل البصرة (قوله أزيز) يفتح الهمزة وبعدها زاي فمثناة تحتية ساكنة فزاي: أي صوت من البكاء، وقيل أن يجيش جوفه فيغلي بالبكاء كغليان المرجل، بكسر الميم وسكون الراء، وهو القدر. وفي الصحاح الأزيز: صوت الرعد وغليان القدر (*)

[١٤٧]

وذكر الله أنيسى والثقة كنزى والحزن رقيقى والعلم سلاحى والصبر ردائى والرضاء غنيمتى والعجز فخري والزهد حرفتى واليقين قوتى والصدق شفيعى والطاعة حسبى والجهاد خلقي ووفرة عيني في الصلاة) وفي حديث آخر: وثمرة فؤادى في ذكره وغمى لأجل أمتى. وشوقى إلى ربى عز وجل. (فصل) اعلم وفقنا الله وإياك أن صفات جميع الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم من كمال الخلق حسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هي هذه الصفة لأنها صفات الكمال والكمال والتمام البشرى والفضل الجميع لهم صلوات اللهم عليهم إذ رتبهم أشرف الرتب ودرجاتهم أرفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على بعض قال الله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) وقال (ولقد اخترناهم على علم على العالمين) وقد قال صلى الله عليه وسلم إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال آخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم عليه السلام طوله ستون ذراعاً في السماء وفي حديث أبى هريرة رأيت موسى فإذا

(قوله والرضاء غنيمتى) في الصحاح رضيت عنه رضى مقصور مصدر محض والاسم الرضاء ممدود عن الأخصش (قوله على خلق رجل واحد) روى بضم الخاء وفتحها (*)

[١٤٨]

هو رجل ضرب رجل أبنى كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى فإذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه أحمر كأنما خرج من ديماس وفي حديث آخر مبطن مثل السيف قال وأنا أشبه ولد إبراهيم به وقال في حديث آخر في صفة موسى كأحسن ما أنت راء من آدم الرجال * وفي حديث آخر في صفة موسى كأحسن ما أنت راء من آدم الرجال * وفي حديث أبى هريرة رضى الله عنه، عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله تعالى من بعد لوط نبياً إلا في ذروة من قومه ويروى في

ثروة أي كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن أنس ما بعث الله تعالى نبيا إلا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم

(قوله ضرب) بفتح المعجمة وسكون الراء بعدها موحدة هو الجسم بين جسمين ليس بناحل ولا مطهم. وقال الخليل هو القليل اللحم (قوله رجل) بفتح الراء وسكون الجيم أي منكسر الشعر قليلا ليس بسيطه ولا بجده (قوله أفتى) بفتح الهمزة وسكون القاف القنا بفتح القاف والقصر طول الأنف ودقة أرنبته، ويقال رجل أفتى وامرأة قنواء (قوله من رجال شنوءة) في الصحاح أزد شنوءة حتى من اليمن والنسب إليهم شنائى قال ابن السكيت وربما قالوا شنوة بالتحديد غير مهموز (قوله ربعة) بفتح الراء وسكون الموحدة وفتحها قال ابن قرقول هو الرجل بين رجلين (قوله كثير خيلان الوجه) الخيلان يكسر المعجمة بعدها مثناة تحتية ساكنة الشامات (قوله من ديماس) قال الهروي: هو بفتح الدال وكسرها، وجاء في الحديث تفسيره بالحمام وقيل هو السرب وقيل الكن (قوله مبطن) بضم الميم وفتح الموحدة، قال الهروي المبطن الضامر البطن (قوله من أدم الرجال) بضم الهمزة وسكون الدال المهملة أي سمر الرجال قال ابن الأثير الأدمة في الإبل البياض مع سواد المقلتين، وفي الناس السمرة الشديدة واستدل بعضهم على كون موسى أسمر بقوله تعالى: (وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) (*)

[١٤٩]

أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا صلى الله عليه وسلم * وفي حديث هرقل وسألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في أنساب قومها وقال تعالى في أيوب (إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب) وقال تعالى (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) إلى قوله (ويوم يبعث حيا) وقال (إن الله يبشرك بيحيى - إلى - الصالحين) وقال (إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران) الآيتين وقال في نوح (إنه كان عبدا شكورا) وقال (إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح - إلى - الصالحين) وقال (إني عبد الله أتاني الكتاب - إلى - مادمت حيا) وقال (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى) الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم: كان موسى رجلا حيا ستيرا ما يرى من جسده شئ استحياء الحديث وقال تعالى عنه (فوهب لى ربي حكما) الآية وقال في وصف جماعة منهم (إني لكم رسول أمين) وقال (إن خير من استأجرت القوي الأمين) وقال (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) وقال (ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا) إلى قوله (فبهدهم اقتده) فوصفهم بأوصاف جملة من الصلاح والهدى والاجتباء والحكم والنبوة وقال (فبشرناه بغلام عليم - إلى - وحليم) وقال (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم

(قوله في أيوب) كان أيوب عليه السلام ببلاد حوران فقبره مشهور عندهم. (قوله ستيرا) بكسر المهملة وتشديد المثناة الفوقية أي كثير الستر (*)

[١٥٠]

رسول كريم - إلى - أمين) وقال (ستجدني إن شاء الله من الصابرين) وقال في إسماعيل (إنه كان صادقا الوعد) الآيتين وفي موسى (إنه كان مخلصا) وفي سليمان (نعم العبد إنه أواب) وقال (وإذ ذكر عبدنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولى الأيدي والأبصار - إلى - الأخيار) وفي داود (إنه أواب) ثم قال (وشددنا ملكه وأتيناه الحكمة وفصل الخطاب) وقال عن يوسف (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) وفي موسى (ستجدني إن شاء الله صابرا) وقال تعالى عن شعيب (ستجدني إن شاء الله من الصالحين) وقال (ما أريد إن أخالفكم إلى

ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت) وقال (ولوطا آتيناها حكما وعلما) وقال (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات) الآية قال سفيان هو الحزن الدائم في أي كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن أخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من ذلك في الأحاديث كثير كقوله صلى الله عليه وسلم: إنما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي. وفي حديث أنس وكذلك الأنبياء تمام أعينهم ولا تمام قلوبهم وروى أن سليمان كان مع ما أعطى من الملك لا يرفع بصره إلى السماء تخشعا وتواضعا لله تعالى وكان يطعم الناس لذائد الأطعمة ويأكل خبز الشعير وأوحى إليه يا رأس العابدين وابن محجة الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده

[١٥١]

فيأمر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضى وقيل ليوسف مالك تجوع وأنت على خزائن الأرض قال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع وروى أبو هريرة رضى الله عنه، عنه صلى الله عليه وسلم: خفف على داود القرآن فكان يأمر بدابته فتسرح فيقرأ القرآن قبل أن تسرح ولا يأكل إلا من عمل يده قال الله تعالى (وألنا له الحديد أن يعمل سابغات وقدر في السرد) وكان سأل ربه أن يرزقه عملا بيده يعنيه عن بيت المال وقال صلى الله عليه وسلم أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره إلى السماء حياء من ربه عز وجل ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل بكى حتى نبتت العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده أخدا وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه فيزداد تواضعا، وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا قال أنا أكرم على الله تعالى من أن يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولم يكن له بيت أينما أدركه النوم نام وكان أحب

(قوله خفف على داود القرآن) أي الزبور لأنه مقروء (قوله أخدودا) هو في الأصل اسم للشبق المستطيل في الأرض. (*)

[١٥٢]

الأسامى إليه أن يقال له مسكين وقيل إن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال وقال صلى الله عليه وسلم لقد كان الأنبياء قبلى بيتلى أحدهم بالفقر والقمل وكان أحب إليهم من العطاء إليكم وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه (أذهب بسلام) فقيل له في ذلك فقال أكره أن أعود لساني المنطبق بسوء وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكى من خشية الله حتى اتخذ الدمع مجرى في خده وكان يأكل مع الوحش لئلا يخالط الناس وحكى الطبري عن وهب أن موسى عليه السلام كان يستظل بعريش وكان يأكل في نفرة من حجر ويكرع فيها إذا أراد أن يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله بما أكرمه الله به من كلامه وأخبارهم في هذا كله مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل الأخلاق وحسن الصور والشمائل معروفة مشهورة فلا تطول بها ولا تلتفت إلى ما تجده في كتب بعض جهلة المؤرخين والمفسرين مما يخالف هذا. (فصل) فد أتيناك أكرمك الله من ذكر الأخلاق الحميدة

والفضائل المجيدة وخصال الكمال العديدة وأريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلبنا من الآثار ما فيه مقنع والأمر أوسع فمجال هذا

(قوله بعريش) هو ما يستظل به (قوله كما تكرر الدابة) الكرع الشرب من الماء بالفم من غير أن يشرب بكف أو إناء وقال ابن دريد لا يكون الكرع إلا إذا خاض الماء بقدميه فشرب منه (قوله مقنع) يفتح الميم وسكون القاف وفتح النون في الصحاح المقنع بالفتح العدل من الشهود، ويقال فلان شاهد مقنع أي رضى يقنع به (*)

[١٥٣]

الباب في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد ينقطع دون نفاذه الأدلاء وبحر علم خصائصه زاهر لا تكدره الدلاء ولكننا أتينا فيه بالمعروف مما أكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات واقتصرنا في ذلك بقل من كل وغيض من فيض ورأينا أن نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن أبي هالة لجمعه من شمائله وأوصافه كثيرا وإدماجه جملة كافية من سيرة وفضائله ونصله بتنبئه لطيف على غريبه ومشكله حدثنا القاضي أبو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسماية قال حدثنا الإمام أبو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي فيما قرأت عليه أخبركم الفقيه الأديب أبو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن المحمدي والقاضي أبو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي قالوا حدثنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الخزاعي أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي

(قوله نفاذه الأدلاء) النفاذ بالنون المفتوحة والفاء والذال المهملة، يقال نفذ الشئ بالكسر نفادا فنى والأدلاء بكسر الهمزة وتشديد اللام جمع أدلة وهي جمع دليل (قوله قل) بضم القاف وتشديد اللام، في الصحاح القل والمقلة مثل الذك والذلة، وفي الحديث الربا وإن كثر فهو إلى قل (قوله وغيض من فيض) الغيظ بالعين والضاد المعجمتين، والفيض بالفاء والضاد المعجمة في الصحاح، ويقال غاض الكرام، أي قلوبا وفاض للنام أي كثروا، وقولهم أعطاه غيضا من فيض أي قليلا من كثير (قوله الوخشي) بواو مفتوحة وحاء ساكنة وشين معجمتين (قوله الشاشي) بمعجمتين (*)

[١٥٤]

أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ قال حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي إملاء من كتابه قال حدثني رجل من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها يكنى أبا عبد الله عن ابن أبي هالة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال سألت خالي هند بن أبي هالة قال القاضي أبو علي رحمه الله وقرأت على الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن ابن أحمد بن خدادادا الكرجي الباقلائي قال وأجاز لنا الشيخ الأجل أبو الفضل أحمد بن الحسن ابن خيرون قال حدثنا أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن ابن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسي قراءة عليه فأقر به قال أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بابن أخى طاهر العلوي قال حدثنا

(قوله جميع) بضم الجيم وفتح الميم وسكون المثناة التحتية بعدها عين مهملة (قوله خذاداد) الكرجى خذاداد بحاء فذال معجمتين فألف فمهملتين بينهما ألف أو معجمتين بينهما ألف ومعناه بالفارسية عطاء الله والكرجى بالكاف المتفوحة والجيم كذا ضبط في النسخ المعتمدة (قوله ابن شاذان) بشين وذال معجمتين (قوله ابن مهران) بكسر الميم (قوله واللفظ لهذا السند) بالنون أي الإسناد (قوله فخما فخما) الفخم بفتح الفاء وسكون الخاء المعجمة العظيم والمفخم بضم الميم وفتح الفاء والخاء المعجمة وتشديدها المعظم (قوله المشذب) بميم مضمومة وشين وذال مفتوحتين معجمتين وباء موحدة (*)

[١٥٥]

اسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال قال الحسن بن علي واللفظ لهذا السند سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان وصافا وأنا أرجو أن يصف لي منها شيئا أتعلق به قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما فخما يتلأأ وجهه تلألأ القمر ليلة البدر أطول من المربوع وأنصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر إن انفرت عقيقته فرق وإلا فلا يحاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره أزهرون اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوايغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أقنى العرنين له نور يعلوه ويحسبه من لم يتأمله أشم كثر اللحية أدعج سهل الخدين ضليع الفم

(قوله وفر) قال المزى المعروف وفره بزيادة هاء مع تشديد الفاء، وفي الصحاح الوفرة الشعر إلى شحمة الأذن (قوله أزهرون اللون) أخرج أبو حاتم عن عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان أبيض اللون وأخرج أيضا عن علي رضى الله عنه أنه كان أبيض مشربا بحمرة وفي حديث أنس رضى الله عنه أنه عليه السلام كان أسمر قال المحب الطبري ويرد هذا الأخير ما في الصحيح من حديث أنس أنه عليه السلام لم يكن بالأبيض ولا بالأدم (قوله ضليع الفم) الضليع بفتح الصاد المعجمة وكسر (*)

[١٥٦]

أشنب مفلج الأسنان دقيق المسربة كأن عنقه جيد دموية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادنا متماسكا سواء البطن والصدر مشيخ الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس أنور المنجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجرى كالخط عارى الثديين ما سوى ذلك أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر طويل الزندين رجب الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الأطراف أو قال سائن الأطراف وسائر الأطراف سبط العصب خمصان الأخمصين مسيح القدمين ينبو

اللام بعدها مثناة تحتية وعين مهملة (قوله المسربة) بفتح الميم وسكون السين المهملة (قوله جيد دموية) الجيد بكسر الجيم وسكون المثناة التحتية بعدها ذال مهملة العنق والدمية بضم الدال المهملة وسكون الميم بعدها مثناة تحتية الصورة من العاج (قوله مشيخ) بضم الميم وكسر الشين المعجمة بعدها مثناة تحتية فحاء مهملة (قوله اللبة) بفتح اللام وتشديد الموحدة أي المنحرج. والجمع اللبات وكذلك اللب وهو موضع القلادة من الصدر من كل شئن (قوله الزندين) بفتح الزاى (قوله شثن) بفتح الشين المعجمة وسكون المثناة، قال ابن الأثير شثن الكفين والقدمين أي يميلان إلى الغلط والقصر، وقيل هو الذى فى أنامله غلط بلا قصر ويحمد ذلك فى الرجال (قوله سبط العصب) بالعين والصاد المهملتين، كذا فى الأصول، قال ابن القطاع الجسم سبط بسكون الباء والشعر سبط بكسرها وللفاراني معناه وفى الصحاح العصب والأعصاب أطناب المفاصل وقال ابن الأثير فى صفته عليه السلام سبط العصب والسبط بسكون الباء وكسرها المتد الذى ليس فيه تعقد ولا نتو، والعصب يريد بها

ساعديه وساقيه، وقال الهروي في قصب بالقاف والصاد المهملة والباء الموحدة، وفي صفته عليه السلام سبط القصب، قال وكل عظم عريض لوح وكل أجوف فيه مخ قصب وجمعها قصب انتهى (قوله خمصان) بضم الخاء المعجمة (قوله مسيح بفتح) (*)

[١٥٧]

عنهما الماء إذا زال زال تغلعا ويخطو تكفؤا ويمشى هونا ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صيب وإذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام قلت صف لى منطقه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الأحران دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتح الكلام ويختمه بأشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فضلا لا فضول فيه ولا تقصير دمتا ليس بالجنا في ولا المهين بعصم النعمة وإن دقت لا يذم شئيا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه إذا تعرض

الميم وكسر السين المهملة بعدها مثناة تحتية وحاء مهملة (قوله متواصل الأحران) قال ابن قيم الجوزية حديث هند بن أبي هالة في صفته عليه السلام أنه كان متواصل الأحران لا يثبت وفي أسناد من لا يعرف وكيف يكون متواصل الأحران، وقد صانه الله تعالى عن الحزن في الدنيا وأسبابها ونهاه عن الحزن على الكفار وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فمن أين يأتيه الحزن بل كان عليه السلام دائم البشر ضحك السن استعاذ من الهم والحزن، والفرق بينهما أن المكروه الذي يرد على القلب إن كان لما يستقبل فهو لهم، وإن كان لما مضى فهو الحزن؛ وقال أبو العباس بن تيمية ليس المراد بالحزن، في حديث هند بن أبي هالة الألم على فوت مطلوب أو حصول مكره، فإن ذلك منهى عنه، ولم يكن من حاله وإنما المراد به الاهتمام والتيقظ، ولما يستقبله من الأمور (قوله فضلا) بفتح الفاء وسكون الصاد المهملة (قوله دمتا) بفتح الدال المهملة وكسر الميم وبالمثلثة من الدماتة وهي سهولة الخلق (قوله ولا المهين) بفتح الميم وضمها قال ابن الأثير، فالضم من الإهانة، أي لا يهين أحدا من الناس والفتح من (*)

[١٥٨]

للحق بشئ حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها وإذا تحدث اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى راحته اليسرى وإذا غضب أعرض وأشاح وإذا فرح غص طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها عن الحسين بن علي زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقني إليه فسأل أباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئا قال الحسين سألت أبي عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه مآذونا له في ذلك فكان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءا لله وجزئا لأهله وجزءا لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا فكان من سيرته في جزء الأمة إيتار أهل الفضل بإذنه وقسمته على قدر فضلهم في الدين منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاكل بهم ويشغلهم فيما

المهانة أي الحقارة (قوله وأشاح) بالشين المعجمة والحاء المهملة (قوله إذا أشار أشار بكفه كلها) قال ابن الأثير أراد أن إشارته مختلفة فما كان منها في ذكر التوحيد والتشهد كان بالمسبحة وحدها وما كان في غير ذلك كان بكفه كلها ليكون بين الإشارتين فرق (قوله يفتر) في الصحاح افتقر فلان ضاحكا أي أبدى أسنانه (قوله فيرد ذلك) على العامة بالخاصة قال ابن الأثير أراد أن العامة كانت لا تصل إليه في هذا الوقت فكانت الخاصة تخبر العامة بما سمعت منه، فكانه أوصل الفوائد إلى العامة

[١٥٩]

يصلحهم والأمة من مسألته عنهم وأخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول
ليبلغ الشاهد منكم الغائب وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي
حاجته فإنه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله
قدميه يوم القيامة لا يذكر عنده إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيره قال
في حديث سفيان بن وكيع: يدخلون روادا ولا يتفرقون إلا عن ذواق
ويخرجون أدلة يعنى فقهاء قلت فأخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع
فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه إلا مما
يعنيهم ويؤلفهم ولا يفرقهم يكرم كريم كل قوم ويوليهم وعليهم ويحذر
الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد بشره وخلقه ويتفقد
أصحابه ويسأل الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح
القبیح ويوهنه معتدل الأمر غير مختلف لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو
يملوا لكل حال عنده عناد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه إلى غيره
الذين يلونه من الناس خيارهم وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة
وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة وموازرة فسألته عن مجلسه
عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
يجلس ولا يقوم إلا على ذكر ولا يوطن الأماكن وينهى عن إبطانها
وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك
ويعطى كل جلساته نصيبه

(قوله يخزن) بسكون الخاء المعجمة وضم الزاي (قوله عناد) بفتح العين المهملة
وتخفيف المثناة الفوقية، وفي آخره دال مهملة. (*)

[١٦٠]

حتى لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه من جالسه أو قاومه
لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سألته حاجة لم يرده
إلا بها أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم
أبا وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفي
الرواية الأخرى صاروا عنده في الحق سواء مجلسه مجلس حلم
وحياء وصبر وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤين فيه الحرم، ولا تنشئ
فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون بالتقوى متواضعين
يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون
الغريب فسألته عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلساته فقال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر، سهل الخلق، لين
الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح
يتغافل عما لا يشتهى ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلاث: الرياء،
والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحدا، ولا
يعيره ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، إذا تكلم أطرق
جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير وإذا سكت تكلموا لا يتنازعون
عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ، حديثهم حديث
أولهم يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر
للغريب

(قوله تنثى) بضم المثناة الفوقية وسكون النون بعدها مثلية أي لا نشاع يقال نثت الحديث أنثوة نثوا أي أشعته (قوله وترفت) يقال رفده يرفده بكسر الفاء في المستقبل إذ أعطاه وأرفده إرفادا إذا أعانته (*)

[١٦١]

على الجفوة في المنطق ويقول إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فأرفدوه ولا يطلب الثناء إلا من مكافئ ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوزه فيقطعه بانتهاه أو قيام، هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع، وزاد الآخر قلت كيف كان سكوته صلى الله عليه وسلم؟ قال: كان سكوته على أربع: على الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكير* فأما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس* وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر فكان لا يبغيه شئ يسنفزه وجميع له في الحذر أربع: أخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهي عنه واجتهاد الرأي بما أصلح أمته والقيام لهم بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة. انتهى الوصف بحمد الله وعونه. (فصل في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله) قوله المشذب أي البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الآخر ليس بالطويل الممغط، والشعر الرجل الذي كأنه مشط فتكسر قليلا ليس بسيط ولا جعد، والعقيقة شعر الرأس أراد إن انفرت من ذات نفسها فرقها وإلا تركها معقوفة ويروى عقيصته، وأزهر اللون نيره وقيل أزهر حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا أي زينتها وهذا كما قال في الحديث

(قوله يستفزه) بالفاء والزاي (قوله الممغط) قال الهروي قال أبو زيد يقال أمغط النهار أي امتد، ومغطت الحبل فانمغط وامغط، وقال أبو تراب في كتاب الاعتقاب ممغط وممغط بالمعجمة والمهملة انتهى (١١ - ١) (*)

[١٦٢]

الآخر ليس بالأبيض الأمهق ولا بالأدم، والأمهق: هو الناصع البياض والأدم الأسمر اللون، ومثله في الحديث الآخر: أبيض مشرب أي فيه حمرة، والحاجب الأزج المقوس الطويل الوافر الشعر، والأقنى: السائل الأنف المرتفع وسطه، والأشم: الطويل قصبه الأنف، والقرن: اتصال شعر الحاجبين، وضده البلج ووقع في حديث أم معبد وصفه بالقرن، والأدعج: الشديد سواد الحدقة. وفي الحديث الآخر: أشكل العين، وأسجر العين، وهو الذي في بياضها حمرة، والضليع: الواسع والشنب: رونق الأسنان وماؤها، وقيل: رقتها وتحزير فيها كما يوجد في أسنان الشباب، والفالج فرق بين الثنايا، ودقيق المسربة خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة، بادن ذو لحم ومتماسك معتدل الخلق يمسك. بعضه بعضا مثل قوله في الحديث الآخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكثم أي ليس بمسترخي اللحم، والمكثم القصير الذقن، وسواء البطن والصدر أي مستويهما مشيخ الصدر إن صحت هذه اللفظة فتكون من الإقبال وهو أحد معاني أشاح أي أنه كان بادي الصدر ولم يكن في صدره فحس وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر أي ليس بمتقاعس الصدر، ولا مفاض البطن، ولعل اللفظ مسيح: بالسني وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع في الرواية الأخرى، وحكاه ابن دريد والكراديس رؤس العظام، وهو مثل قوله في الحديث الآخر جليل

المشاش والكتد والمشاش: رؤس المناكب، والكتد: مجتمع الكنفين
وشثن الكفين والقدمين لحيمهما، والزندان: عظاما الذراعين، وسائل
الأطراف أي طويل الأصابع، وذكر ابن الأنباري أنه روى سائل الأطراف
أو قال سائن بالنون قال وهما بمعنى تبدل اللام من النون إن صحت
الرواية بها وأما على الرواية الأخرى وسائر الأطراف فإشارة إلى
فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة في الحديث ورحب الراحة أي
واسعها وقيل كنى به عن سعة العطاء والجود، وخمصان الأخصمين
أي متجا في أخصم القدم وهو الموضع الذي لا تناله الأرض من
وسط القدم، ومسيح القدمين أي أملسهما ولهذا قال ينبو عنهما
الماء وفي حديث أبي هريرة خلاف هذا قال فيه إذا وطئ بقدمه
وطئ بكلها ليس له أخصم وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين
وبه قالوا سمي المسيح ابن مريم أي لم يكن له أخصم وقيل
مسيح لا لحم عليهما وهذا أيضا يخالف قوله شثن القدمين والتقلع
رفع الرجل بقوة، والتكفؤ: الميل إلى سنن الممشى وقصده، والهون:
الرفق والوقار، والذريع: الواسع الخطو أي أن مشيه كان يرفع فيه
رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته. وكل
ذلك برفق وثبت دون عجلة كما قال كأنما ينحط من صيب، وقوله
يفتتح الكلام ويختمه بشداقه أي لسعة فمه، والعرب تتماجد بهذا،
وتذم بصغر الفم، وأشاح: مال وانقبض، وحب الغمام: البرد، وقوله:
فيرد ذلك بالخاصة على العامة

(قوله والكتد) قال أبو علي: الفتح أفصح. (*)

أي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة إليه فتوصل عنه للعامة،
وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في جزء آخر بالعامة: ويدخلون
روادا أي محتاجين إليه وطالبيين لما عنده ولا ينصرفون إلا عن ذواق،
قيل: عن علم يتعلمونه: ويشبهه أن يكون على ظاهره أي في الغالب
والأكثر، والعتاد العدة والشئ الحاضر المعد، والموازرة المعاونة وقوله
لا يوطن الأماكن أي لا يتخذ لمصلاها موضعا معلوما، وقد ورد نهيه عن
هذا مفسرا في غير هذا الحديث، وصاربه أي حبس نفسه على ما
يريد صاحبه ولا نؤبن فيه الحرم أي لا يذكرن فيه بسوء ولا تنثى
فلتاته أي لا يتحدث بها أي لم تكن فيه فلتة وإن كانت من أحد
سترت، ويرفدون: يعينون، والسخاب: الكثير الصياح، وقوله ولا يقبل
الثناء إلا من مكافئ، قيل مقتصد في ثنائه ومدحه، وقيل إلا من
مسلم، وقيل: إلا من مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله
عليه وسلم له، ويستغزه: يستخفه، وفي حديث آخر في وصفه
صلى الله عليه وسلم منهوس العقب أي قليل لحمها، وأهدب
الأشفار: أي طويل شعرها

(قوله ولا يقبل الثناء) بتقديم المثلثة على النون والمد يطلق في الخير ويقيد في
النشر ومنه مروا بجنازة فأثنوا عليها شرا وأما الثنا بتقديم النون على المثلثة فمقصود
ويستعمل في الخير والنشر جميعا (قوله وأهدب الأشفار) أهدب بسكون الهاء وفتح
الدال المهملة بعدها موحدة، والأشفار بالشين المعجمة والفاء جمع شفر وهو حرف
الجفن الذي ينبت عليه الشعر وهو الهدب. (*)

(الباب الثالث) فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم * لا خلاف أنه أكرم البشر، وسيد ولد آدم، وأفضل الناس منزلة عند الله، وأعلاهم درجة، وأقربهم زلفى. واعلم أن الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا (الفصل الأول) فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه عز وجل والاصطفاء ورفعته الذكر والتفضيل، وسيادة ولد آدم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب: أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله ابن أحمد العدل إذ نا بلفظه حدثنا أبو الحسن الفرغانى حدثنا أم القاسم بنت أبى بكر بن يعقوب عن أبيها حدثنا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى وهو ابن اسماعيل عن يحيى الحمانى حدثنا قيس عن الأعمش عن عباية ابن ربيعى عن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما. فذلك قوله تعالى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال فأنا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب

(قوله عن يحيى الحمانى) بكسر الحاء المهملة وتشديد الميم بعدها ألف ونون وياء لنسبة إلى قبيلة (قوله عن عباية بن ربيعى) عباية بفتح العين المهملة وتخفيف الواو وربعي بكسر الراء وسكون الموحدة بعدها عين مهملة وياء مشددة. (*)

[١٦٦]

اليمين ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك قوله تعالى فأصحاب اليمين وأصحاب المشئمة والسابقون السابقون فأنا من السابقين وأنا خير السابقين ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى (وجعلناكم شعوبا وقبائل) الآية فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر، ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني من خيرها بيتا فذلك قوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) الآية، وعن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال (وآدم بين الروح والجسد) وعن وائلة ابن الأسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم) ومن حديث أنس رضى الله عنه (أنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر) وفى حديث ابن عباس) أنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر وعن عائشة رضى الله عنها صلى الله عليه وسلم (أتانى جبريل عليه السلام فقال قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أر رجلا أفضل من محمد ولم أر بنى أب أفضل من بنى هاشم) وعن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق ليلة أسرى به فاستصعب عليه فقال له جبريل بمحمد تفعل هذا؟ فما ركبك أحد أكرم على الله منه، فافرض عرفا. وعن ابن عباس رضى الله عنهما

[١٦٧]

عنه صلى الله عليه وسلم (لما خلق الله آدم أهبطني في صلبه إلى الأرض وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذف بى في النار في صلب إبراهيم ثم لم يزل ينقلني في الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى أخرجنى بين أبوى لم يلتقيا على سفاح قط) وإلى هذا أشار العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه بقوله: من قبلها

طبت في الظلال وفي * مستودع حيث يخصف الورق ثم هبطت
البلاد لا بشر * أنت ولا مضغة ولا علق بل نطفة تركب السفين وقد
* أجم نسرا وأهله الغرق تنقل من صالب إلى رحم * إذا مضى
عالم بدا طبق

(قوله من قبلها) أي قبل الدنيا، أو قبل النبوة، أو الولادة (قوله ولا مضغة) المضغة قطعة لحم بقدر ما يمضغ في الفم (قوله ولا علق) العلق جمع علقة وهي قطعة من دم غليظ (قوله يركب السفين) في الصحاح السفين جمع سفينة فعيلة بمعنى فاعلة كأنها تسفن الماء أي تقشقه بالقاف والشين المعجمة (قوله نسوا) كان لأدم صلى الله عليه وسلم بنون يسمون نسرا وودا وسواعا ويغوث ويعوق، وكانوا عبادا فماتوا فحزن أهل عصرهم عليهم، فصور لهم إبليس اللعين أمثالهم من صغر ونحاس ليستأنسوا بهم، فجعلوها في مؤخر المسجد، فلما هلك أهل ذلك العصر، قال اللعين لأولادهم هذه آلهة آبائكم فاعبدوهم، ثم إن الطوفان دفنها فأخرجها اللعين للعرب فكانت ود لكلب بدومة الجندل وسواع لهذيل بساحل ويغوث لغطيف من مراد ويعوق لهمدان ونسر لذى الكلاع من حمير (قوله من صالب) قال الهروي أي من صلب يقال صلب وصلب وصالب ثلاث لغات، وقال ابن الأثير الصالب الصلب وهو قليل الاستعمال (قوله إذا مضى عالم بدا طبق) العالم بفتح اللام قال الهروي (*)

[١٦٨]

ثم احتوى بيتك المهيمن من * خندق علياء تحتها النطق وأنت لما
ولدت أشرفت الأرض وضاءت بنورك الأفق فنحن في ذلك الضياء وفي
النور * وسبل الرشاد نخترق يا برد نار الخليل يا سببا * لعصمة النار
وهي تحترق وروى عنه صلى الله عليه وسلم أبو ذر وابن عمر وابن
عباس وأبو هريرة وجابر بن عبد الله أنه قال (أعطيت خمسا - وفي
بعضها ستا - لم يعطهن نسي قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر
وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا فأبما رجل من أمتى أدركته
الصلاة فليصل وأحلت لى الغنائم ولم تحل لنبى قبلى وبعثت إلى
الناس كافة وأعطيت الشفاعة) وفي رواية بدل هذه الكلمة: (وقيل
لى سل تعطه) وفي رواية أخرى (وعرض على أمتى فلم يخف على
التابع من المتبوع) وفي رواية بعثت

وقال ابن عرفة: يقال مضى طبق وجاء طبق أي مضى عالم وجاء عالم ومنه قول
العباس إذا مضى عالم بدا طبق، يقول إذا مضى قرن بدا قرن، وقيل للقرن طبق لأنه
طبق الأرض (قوله المهيمن) أي الشاهد (قوله خندق) بكسر الخاء المعجمة وسكون
النون وكسر الذاك المهملة بعدها فاء هو في الأصل مشية كالهرولة ثم سمي به
ليلى امرأة الياس بن مصفر (قوله النطق) بضم النون والطاء، قال ابن الأثير جمع نطق،
وهي أعراض من جبال بعضها فوق بعض، أي نواح أوساط منها شبهت بالنطق الذي
تشد بها أوساط الناس، ضربه مثلا له في ارتفاعه وتوسطه في عشيرته، وجعلهم
تحتة بمنزلة أوساط الجبال انتهى، وفي الصحاح النطاق شقة تلبسها المرأة وتشد
وسطها ثم ترسل الأعلى على الأسفل إلى الركبة، والأسفل ينجر على الأرض،
وليس لها حجرة ونيفق، ولا ساقان والجمع نطق (قوله وأبما رجلا من أمتى) كذا في
بعض النسخ والمشهور فأبما رجل من أمتى بالفاء (قوله وأعطيت الشفاعة) أي
العظمى (*)

[١٦٩]

إلى الأحمر والأسود) قيل السود العرب لأن الغالب على ألوانهم
الأدمة فهم من السود، والحمر العجم، وقيل البيض والسود من
الأمم، وقيل الحمر الإنس والسود الجن * وفي الحديث الآخر عن
أبى هريرة رضى الله عنه (نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم وبيننا أنا
نائم إذ جئ بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي) * وفي رواية
عنه (وختم بى النبيون) وعن عقبه بن عامر أنه قال: قال صلى الله
عليه وسلم (إنى فرط لكم وأنا شهيد عليكم وإنى والله لأنظر إلى

حوضى الآن وإنى قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض وإنى والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدى ولكنى أخاف عليكم أن تنافسوا فيها) وعن عبد الله ابن عمرو رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أنا

وله صلى الله عليه وسلم شفاعات هذه (أولها) وهى فى الفصل بين أهل الموقف حين يفزعون إليه بعد الأنبياء عليهم السلام (والثانية) فى جماعة يدخلون الجنة بغير حساب وهذه التى قبلها من خصائصه عليه السلام (والثالثة) فى أناس استحقوا دخول النار فلا يدخلونها (والرابعة) فى أناس دخلوا النار فيخرجون منها (والخامسة) فى رفع درجات أناس فى الجنة، قال النووي: ويجوز أن تكون الثالثة والخامسة أيضا من خصائصه (والسادسة) تخفيف العذاب عمن استحق الخلود فيها كما فى حق أبى طالب (والسابعة) شفاعته لمن مات بالمدينة (والثامنة) شفاعته لمن صبر على لأواء المدينة (والتاسعة) شفاعته لفتح باب الجنة كما رواه مسلم (والعاشرة) شفاعته لمن زاره صلى الله عليه وسلم لما روى ابن خزيمة فى صحيحه عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من زار قبري وجبت له شفاعتي (والحادية عشر) شفاعته لمن أجاب المؤذن وصلى عليه صلى الله عليه وسلم لما فى الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم حلت له شفاعتي (قوله فى بدى) بفتح الدال وتشديد الآخر. (*)

[١٧٠]

محمد النبى الأمى لا نبى بعدى أوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش * وعن ابن عمر (بعثت بين يدي الساعة) ومن رواية ابن وهب أنه صلى الله عليه وسلم قال (قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما أسأل يا رب اتخذت إبراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما، واصطفيت نوحا، وأعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، فقال الله تعالى ما أعطيتك خير من ذلك، أعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمى ينادى به فى جوف السماء وجعلت الأرض طهورا لك ولأمتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فأنت تمشى فى الناس مغفورا لك، ولم أصنع ذلك لأحد قبلك، وجعلت قلوب أمتك مصاحفها، وخبأت لك شفاعتك ولم أخبأها لنبى غيرك) * وفى حديث آخر، رواه حذيفة (بشرني - يعنى ربه عز وجل - أول من يدخل الجنة معى من أمتى سبعون ألفا مع كل ألف سبعون ألفا ليس عليهم حساب، وأعطاني أن لا تجوع أمتى ولا تغلب، وأعطاني النصر والعزة والرعب يسعنى بين يدي أمتى شهرا، وطيب لى ولأمتي المغانم، وأحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا، ولم يجعل علينا فى الدين من حرج) * وعن أبى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم (ما من نبى من الأنبياء إلا وقد أعطى من

(قوله وعلمت) بضم المهملة وتشديد اللام المكسورة ويجوز فتح المهملة وتخفيف اللام (*)

[١٧١]

الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيت وحيا أوحى الله إالى، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا، وسائر معجزات الأنبياء ذهبت للحين ولم يشاهدها إلا الحاضر لها ومعجزة القرآن يقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا خيرا إالى يوم القيامة، وفيه كلام يطول هذا نخبتة، وقد بسطنا القول فيه، وفيما ذكر فيه سوى هذا آخر باب المعجزات * وعن على رضى الله عنه كل نبى أعطى سبعة بحباء ووزراء رفقاء من أمتة، وأعطى نبيكم صلى الله عليه وسلم أربعة عشر بحيبا منهم أبو

بكر وعمر وابن مسعود وعمار، وقال صلى الله عليه وسلم (إن الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وإنها لا تحل لأحد بعدى وإنما أحلت لى ساعة من نهار) وعن العرياض بن سارية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إنى عبد الله وخاتم النبيين) وإن آدم لمنجدل في طينته وعدة أبى إبراهيم وبشارة عيسى ابن مريم) وعن ابن عباس قال إن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على أهل السماء وعلى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم قالوا فما فضله على أهل السماء قال إن الله تعالى قال لأهل السماء (ومن يقل منهم إنى إله من دونه) الآية - وقال

(قوله الفيل) كان اسم هذا الفيل محمودا (قوله لمنجدل) أي ساقط يقال جدله أي رماه بالجدالة، وهى الأرض فانجدل أي سقط (قوله وعدة) بكسر العين المهملة وتخفيف الدال المهملة (*)

[١٧٢]

لمحمد صلى الله عليه وسلم (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) الآية، قالوا: فما فضله على الأنبياء ؟ قال: إن الله تعالى قال: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) الآية، وقال لمحمد (وما أرسلناك إلا كافة للناس) وعن خالد بن معدان أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك، وقد روى نحوه عن أبى ذر وثبداذ ابن أوس، وأنس بن مالك رضى الله عنهم فقال: نعم أنا دعوة أبى إبراهيم يعنى قوله: (ربنا وابعت فيهم رسولا منهم) وبشر بى عيسى ورأت أمي حين حملت بى أنه خرج منها نور أضاء له قصور بصرى من أرض الشام، واسترضعت في بنى سعد بن بكر فبينما أنا مع أخ لى خلف بيوتنا نرعى بهما لنا إذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض، وفى حديث آخر ثلاثة رجال بطت من ذهب مملوءة ثلجا فأخذاني فشفا بطني قال في غير هذا الحديث من نجرى إلى مراق بطني ثم استخرجا

(قوله ابن معدان) بفتح الميم وسكون العين وتخفيف الدال المهملتين (قوله حين حملت بى) كذا هنا وفى غيره حين وضعتني (قوله بصرى) بضم الموحدة مدينة حوران، وهى أول مدينة فتحت في الشام، وكان فتحها صلحا (قوله بهما) بفتح الموحدة وسكون الهاء جمع بهيمة وهى ولد الضأن ذكرا كان أو أنثى وجمع البهيم البهائم ويقال لأولاد المعز سخال (قوله بطست) بالسين المهملة، ويقال أيضا طس وطسة وهو الأنية المعروفة، وفى الصحاح الطست الطس فى لغة طيئ أبدا من إحدى السنين تاء للاستتقال فإذا جمعت أو صغرت رددت السين لأنك فصلت بينهما بألف أو ياء فقلت طساس أو طسيس (قوله مراق بطني) بتخفيف الراء وتشديد القاف أي ما سفل من البطن ورق من جلده (*)

[١٧٣]

منه قلبى فشفاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلنا قلبى وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه، قال فى حديث آخر ثم تناول أحدهما شيئا فإذا بخاتم فى يده من نور يجار الناظر دونه فختم به قلبى فامتلا أيمانا وحكمة ثم أعاده مكانه وأمر الآخر يده على مفرك صدري فالتأم وفى رواية إن جبريل قال قلب وكيع أى شديد فيه عينان تبصران وأذنان سمعتان ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزننى بهم فرجحتهم، ثم قال زنه بمائة من أمته فوزننى بهم فوزننهم ثم قال: زنه بألف من أمته فوزننى بهم فوزننهم ثم قال: دعه عنك فلو وزنته بأمته لوزنها قال فى الحديث الآخر ثم ضموني

إلى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع
إنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عينك وفي بقية هذا الحديث
من قولهم ما أكرمك على الله إن الله معك وملائكته، قال في حديث
أبي ذر: فما هو إلا أن وليا عنى فكأنما أرى الأمر معاينة وحكى أبو
محمد المكي أبو الليث السمرقندي وغيرهما أن آدم عند معصيته
قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي وبيروى وتقبل توبتي فقال له
الله: من أين عرفت محمدا. قال: رأيت في كل موضع من الجنة
مكتوبا لا إله إلا الله محمد

(قوله يحار) بفتح المثناة التحتية والحاء المهملة أي يخير (قوله مفرق) بفتح الميم
ويكسر الراء (قوله وكيع) أي شديد (قوله لم ترع) بضم المثناة الفوقية وفتح الراء أي لا
تفرع. (*)

[١٧٤]

رسول الله وبيروى محمد عبدي ورسولي فعلمت أنه أكرم خلقك
عليك فتاب الله عليه وغفر له، وهذا عند فائله تأويل قوله تعالى
(فتلقى آدم من ربه كلمات) وفي رواية أخرى فقال آدم: لما خلقتني
رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول
الله فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع
اسمك فأوحى الله إليه (وعزتي وجلالي إنه لآخر النبيين من ذريتك
ولولاه ما خلقتك قال: وكان آدم يكنى بأبي محمد، وقيل بأبي البشر
وروى عن سريج بن يونس أنه قال إن لله ملائكة سياحين عبادتها
على كل دار فيها أحمد أو محمد إكراما منهم لمحمد صلى الله عليه
وسلم وروى ابن قانع القاضى عن أبي الحمراء قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما أسرى بي إلى السماء إذا على العرش
مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله أيده بعلى وفي التفسير عن
ابن عباس في قوله تعالى: (وكان تحته كنز لهما) قال

(قوله سريج بن يونس) بن سريج: بضم السين المهملة وفتح الراء، وفي آخره جيم
هو أبو الحارث البغدادي أحد أئمة الحديث (قوله عبادتها على كل دار) عبادة بالياء
الموحدة مبتدأ خبره كل دار على حذف مضاف، أي حفظ كل دار أو إعانة أهل كل دار
(قوله ابن قانع) بالقاف والنون المسكورة بعدها عين مهملة هو القاضى عبد الباقي
بن مرزوق صاحب معجم الصحابة وكتاب اليوم والليلة (قوله عن أبي الحمراء) بفتح
المهملة وسكون الميم والمد، اسم لصحابين أحدهما مولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم أخرج هذا الحديث عنه ابن ماجه، والآخر مولى آل عفراء، ولا يعلم له رواية (*)

[١٧٥]

لوح من ذهب فيه مكتوب: (عجبا لمن أيقن بالقدر كيف ينصب ! عجبا
لمن أيقن بالنار كيف يضحك ! عجبا لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها
كيف يطمئن إليها ! أنا الله لا إله إلا أنا محمد عبدي ورسولي) وعن
ابن عباس رضى الله عنهما: على باب الجنة مكتوب إنى أنا الله لا إله
إلا أنا محمد رسول الله لا أعذب من قالها، وذكر أنه وجد على
الحجارة القديمة مكتوب: محمد تقى مصلح، وسيد أمين، وذكر
السمنطارى أنه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا ولد على أحد
جنيبه مكتوب لا إله إلا الله وعلى الآخر محمد رسول الله، وذكر
الأخباريون أن ببلاد الهند وردا

(قوله وذكر الأخباريون) بالخاء المعجمة قال الذهبي في ميزانه روى قريش بن أنس عن كليب بن وائل وكليب نكرة لا يعرف أنه رأى بالهند وردا في الوردية مكتوب محمد رسول الله وقال ابن العديم في تاريخه في ترجمة الحسين بن أحمد بن الحسين الوراق الخواص المضيى مسندا عنه إلى علي بن عبد الله الهاشمي الرقي أنه قال دخلت في بلاد الهند إلى بعض قراها فرأيت وردة كبيرة طيبة الرائحة سوداء عليها مكتوب بخط أبيض لا إله إلا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق فشككت في ذلك، وقلت إنه معمول فعمدت إلى وردة لم تفتح ففتحتها فكان فيها مثل ذلك، وفي البلد منه شئ كثير وأهل تلك القرية يعيدون الحجارة، ولا يعرفون الله عز وجل انتهى، وقال الشيخ عبد الله اليافعي في كتابه المسمى بروض الرياحين قال بعض الشيوخ دخلت بلاد الهند فدخلت مدينة رأيت فيها شجرة تحمل ثمرًا يشبه اللوز له قشران، فإذا كسر خرج منه ورقة خضراء مطوية مكتوب فيها بالحمر (لا إله إلا الله) كتابة جلية وهم يتبركون بها ويستسقون بها إذا منعوا من الغيث، فحدثت بهذا أبا يعقوب الصياد، فقال لي ما أستعظم هذا كتبت أصطاد على نهر الأبله، فاصطدت سمكة مكتوب على جنبها الأيمن (لا إله إلا الله) وعلى جنبها الأيسر (محمد رسول الله) فلما رأيتها قذفتها في الماء احترامًا لما عليها (*)

[١٧٦]

أحمر مكتوبا عليه بالأبيض لا إله إلا الله محمد رسول الله وروى عن جعفر بن محمد عن أبيه إذا كان يوم القيامة نادى مناد ألا ليقيم من اسمه. محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه صلى الله عليه وسلم، وروى ابن القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك سمعت أهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد إلا نمي ورزقوا ورزق جيرانهم، وعنه صلى الله عليه وسلم (ماض أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة) وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن الله تعالى نظر إلى قلوب العباد فاختر منها قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته، وحكى النقاش أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) الآية. قام خطيبا فقال (يا معشر أهل الإيمان إن الله تعالى فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا) الحديث (فصل) في تفضيله بما تضمنته كرامة الإسراء من المناجاة والرؤية وإمامة الأنبياء والعروج به إلى سدره المنتهى وما رأى من آيات ربه الكبرى: ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم قصة الإسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الأخبار قال الله تعالى: (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من

(قوله وروى ابن القاسم) هو الفقيه الإمام أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم صاحب مالك روى أنه قال: خرجت على مالك اثني عشرة مرة أنفقت في كل مرة ألف دينار، (*)

[١٧٧]

المسجد الحرام) الآية وقال تعالى (والنجم إذا هوى) إلى قوله (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) فلا خلاف بين المسلمين في صحة الإسراء به صلى الله عليه وسلم إذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيه أحاديث كثيرة منتشرة رأينا أن نقدم أكملها ونشير إلى زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضى الشهيد أبو على والفقيه أبو بحر بسماعي عليهما والقاضى أبو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا حدثنا أبو العباس العذري حدثنا أبو العباس الرازي حدثنا أبو أحمد الجلودى حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم ابن الحجاج حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند

منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التى يربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبرئيل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبرئيل: اخترت الفطرة ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبرئيل فقيل من أنت، قال: جبريل قيل ومن معك

(قوله ابن فروخ) يفتح الفاء، وتشديد الراء وفى آخره خاء معجمة (قوله البنائى) بضم الموحدة وتخفيف النون (قوله بالحلقة) بإسكان اللام وفتحها (قوله اخترت الفطرة) أى الاستقامة (*)

[١٧٨]

قال: محمد، قيل وقد بعث إليه قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بآدم صلى الله عليه وسلم فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبرئيل، فقيل من أنت ؟ قال: جبرئيل: قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه ؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بابنى الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما فرحبا بى ودعوا لى بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فذكر مثل الأول ففتح لنا فإذا أنا بيوسف صلى الله عليه وسلم وإذا هو قد أعطى شطر الحسن فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة وذكر مثله فإذا أنا بإدريس فرحب بى ودعا لى بخير قال الله تعالى (ورفعناه مكانا عليا) ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فذكر مثله فإذا أنا بهارون فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فذكر مثله فإذا أنا بموسى فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فذكر مثله فإذا أنا بإبراهيم مسندا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعوذون

(قوله بعث إليه) وفى بعض روايات الصحيح، أرسل إليه قالوا: وظاهره السؤال عن أصل الرسالة، ولا يصح لأن أمر نبوته كان مشهورا فى الملكوت لا يكاد يخفى على خزان السماوات وحراسها، فالمراد أرسل إليه للعروج والإسراء، وكان سؤالهم للاستعجاب بما أنعم الله عليه أو الاستبشار بعروجه قال الطبري ويحتمل أن تكون البعثة والرسالة خفيف على السائلين لاشتغالهم بالعبادة (قوله إلى البيت المعمور) عن على أنه قال البيت المعمور فى السماء السابعة، يقال له الضراح بضم المعجمة وتخفيف (*)

[١٧٩]

إليه ثم ذهب بى إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كأذان الفيلة وإذا نمرها كالقلال، قال فلما غشيها من أمر الله ما غشى تعيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله إلى ما أوحى ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإنى قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم قال فرجعت إلى ربي فقلت يا رب خفف عن أمتى فحط عنى خمسا فرجعت إلى موسى فقلت حط عنى خمسا قال إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا ومن هم بسينة فلم يعملها لم تكتب شيئا فإن عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتخيت الى موسى فأخبرته فقال

ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحيت منه) قال القاضي وفقه الله جود ثابت رحمه الله هذا الحديث عن أنس ما شاء ولم يأت أحد عنه بأصوب

الراء وفي آخره حاء مهملة، وقيل في السماء الأولى وقيل في الرابعة وقيل في السادسة (قوله إلى سدره المنتهى) إن قيل لم اختيرت السدره لهذا الأمر دون غيرها من الأشجار؟ أجب بأن شجر السدر يختص بالظل المديد والطعم اللذيذ والرائحة الطيبة. (*)

[١٨٠]

من هذا وقد خلط فيه غيره عن أنس تخلط كثير لاسيما من رواية شريك بن أبي نمر فقد ذكر في أوله مجئ الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا إنما كان وهو صبي وقيل الوحي وقد قال شريك في حديثه وذلك قيل أن يوحى إليه وذكر قصة الإسراء ولا خلاف أنها كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد إنها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا وقد روى ثابت عن أنس من رواية حماد بن سلمة أيضا مجئ جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقة قلبه تلك القصة مفردة من حديث الاسراء كما رواه الناس فوجود في القصة وفي أن الاسراء الى بيت المقدس وإلى سدره المنتهى كان قصة واحدة وأنه وصل الى بيت المقدس ثم عرج من هناك فأزاح كل إشكال أو همه غيره وقد روى يونس عن ابن شهاب عن أنس قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ثلى الله عليه وسلم قال (فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بنا الى السماء فذكر القصة وروى قتادة الحديث بمثله عن أنس عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم وتأخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الأنبياء في السماوات وحديث ثابت عن أنس أتقن وأجود وقد وقعت في حديث الإسراء

(قوله عند ظئره) بكسر الظاء المعجمة وسكون الهمزة: المرصعة (*)

[١٨١]

زيادان نذكر منها نكتا مفيدة في عرضنا منها في حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح إلا آدم وإبراهيم فقالا له والابن الصالح وفيه من طريق ابن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام، وعن أنس ثم انطلق بي حتى أتيت سدره المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي قال ثم أدخلت الجنة وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدى يدخل من أمتي الجنة أكثر مما يدخل من أمتي وفي حديث أبي هريرة رضى الله عنه وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فحانت الصلاة فأممتهم فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبدا نبي بالسلام وفي حديث أبي هريرة ثم سار حتى أتى بيت المقدس فنزل

(قوله بمستوى) بالتنوين، أي مكان عال من استوى على ظهر دابته، علا عليها (قوله صريف الأعلام) يفتح الصاد المهملة وكسر الراء أي حركتها وجريانها على المخطوط (قوله قال رب هذا غلام) قيل لم أطلق موسى عليه السلام على نبينا عليه السلام غلاما، وكان صلى الله عليه وسلم في سن الكهولة إذ ذاك، وأجيب بأن الغلام يقال بمعنى المستحکم القوة، ويمكن أن يقال إنما قال ذلك لتقدمه عليه بزمان طويل، وموسى اسم أعجمي لا ينصرف للعجمة والتعريف، قال القرطبي: قال بن إسحاق هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم قال السهيلي في التعريف وموسى بن عمران، وهو بالعبرانية عمر بن قاهث بن عازر ابن لاوى بن يعقوب وسمى بموسى لأن الثابوت الذي كان فيه وجد في ماء وشجر ومو في لغة القبط هو الماء وسى هو السجر، وكان بين موسى وإبراهيم عليهما السلام سبعمئة سنة (*)

[١٨٢]

فربط فرسه إلى صخرة فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد أرسل إليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ وخليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ثم لقوا أرواح الأنبياء فأتوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم إبراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وأن محمدا صلى الله عليه وسلم أتى على ربه عز وجل فقال كلكم أتى على ربه وأنا أتى على ربي الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل على الفرقان فيه تبيان كل شئ وجعل أمتي خيرا أمة وجعل أمتي أمة وسطا وجعل أمتي هم الأولون وهم الآخرون وشرح لي صدري ووضع عنى وزرى ورفع لى ذكرى وجعلني فاتحا وخاتما فقال إبراهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر أنه عرج به إلى السماء الدنيا ومن سماء إلى سماء نحو ما تقدم. وفي حديث ابن مسعود وانتهى بى إلى سدرة المنتهى وهى في السماء السادسة إليها ينتهى ما يعرج به من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهى ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال تعالى (إذ يغشى السدرة ما يغشى) قال فراس من ذهب وفي رواية أبى هريرة من

(قوله وهى في السماء السادسة) وفي بعض الروايات أنها في السابعة، قال المصنف وكونها في السابعة هو الأصح وقول الأكثرين والذي يقتضيه تسميتها بالمنتهى قال النووي: ويمكن الجمع بأن أصلها في السماء السادسة ومعظمها في السابعة (قوله فراس من ذهب) الفرار بفتح الفاء وتخفيف الراء، وفي آخره شين معجمة: الطائر المعروف الذى يلقى نفسه في ضوء السراج (*)

[١٨٣]

طريق الربيع بن أنس فقيل لى هذه السدرة المنتهى ينتهى إليها كل أحد من أمتك خلا على سبيلك وهى السدرة المنتهى يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وهى شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وأن ورقه منها مظلة الخلق فغشيتها نور وغشيتها الملائكة قال فهو قوله (إذ يغشى السدرة ما يغشى) فقال تبارك وتعالى له سل فقال إنك اتخذت إبراهيم خليلا وأعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما وأعطيت داود ملكا عظيما وأنت له الحديد وسخرت له الجبال، وأعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والإنس والشياطين والرياح وأعطيته ملكا لا ينبغي لأحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والإنجيل وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص وأعدته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تعالى قد اتخذتك خليلا وحببا فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وأرسلتك إلى الناس كافة وجعلت أمتك هم الأولون

وهم الآخرون وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك
عبدى ورسولي وجعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا وأعطيتك
سبعا من المثاني

(قوله خلا على سبيلك) هو بفتح الخاء المعجمة واللام بمعنى مضى ومنه قوله
تعالى (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) أي مضى (قوله مظلة) بفتح الميم وكسر الظاء
وتشديد اللام (قوله ملكا) بضم الميم (*)

[١٨٤]

ولم أعطها نبيا قبلك وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت
عرشي لم أعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية
الأخرى قال فأعطيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث: أعطيت
الصلوات الخمس وأعطيت سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك
بالله شيئا من أمته المقحّمات وقال (ما كذب الفؤاد ما رأى) الآيتين
رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح وفي حديث شريك أنه رأى
موسى في السابعة قال بتفضيل كلام الله قال ثم على به فوق ذلك
بما لا يعلمه إلا الله فقال موسى لم أظن أن يرفع على أحد وروى
عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالأنبياء بيت المقدس وعن
أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بيننا
أنا قاعد ذات يوم إذ دخل جبريل عليه السلام فوكر بين كنتفي فمتم
إلى شجرة فيها مثل وكرى الطائر

(قوله المقحّمات) يسكون القاف وكسر الحاء المهملة: الذنوب العظام التي تقم
أصحابها في النار أي تلقيهم فيها (قوله له ستمائة جناح) قال السهيلي في قوله
صلى الله عليه وسلم في حق جعفر قد أبدله الله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة
حيث شاء ومما ينبغي الوقوف عليه في معنى الجناحين أنهما ليسا كما يسبق إلى
الوهم مثل جناح الطائر وريشه لأن الصورة الأدمية هي أشرف الصور وأكملها ولكنها
عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية أعطيها جعفر كما أعطيها الملائكة وقد قال أهل
العلم في أجنحة الملائكة إنها ليست كما يتوهم من أجنحة الطير وإنما هي صفات
ملكية لا تفهم إلا بالمعانيمة واحتجوا بقوله تعالى (أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع)
فكيف يكون كأجنحة الطير ولم ير طائر له ثلاثة أجنحة ولا أربعة فكيف بستمائة جناح
كما جاء في صفة جبريل فدل على أنها صفات تنضبط كقيمتها للفكر (قوله وكرى
الطائر) بفتح الواو وسكون الكاف وفتح الراء تثنية وكر وهو العنق (*)

[١٨٥]

فقعد في واحدة وقعدت في الأخرى فنمت حتى سدت الخافقين ولو
شئت لمسست السماء وأنا أقلب طرفي ونظرت جبريل كأنه حلس
لاطئ فعرفت فضل علمه بالله على وفتح لى باب السماء ورأيت النور
الأعظم ولط دوني الحجاب وفرجه الدر والياقوت ثم أوحى الله إلى ما
شاء أن يوحى) وذكر البزار عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه لما
أراد الله تعالى أن يعلم رسوله صلى الله عليه وسلم الأذان جاءه
جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال لها
جبريل اسكني فو الله ما ركبتك عبد أكرم على الله من محمد صلى
الله عليه وسلم فركبها حتى أتى بها إلى الحجاب الذي يلي الرحمن
تعالى فبينما هو كذلك إذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق إنى لأقرب
الخلق مكانا وإن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتني هذه
فقال الملك الله أكبر الله أكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدى
أنا أكبر

(قوله فنمت) بالفاء والنون المفتوحتين والميم المخففة أي زادت، وفي بعض النسخ، فسمت، بتخفيف الميم أي ارتفعت (قوله الخافقين) أي المشرق والمغرب، قال ابن السكيت، لأن الليل والنهار يخفان فيهما (قوله لمسست) بكسر المهملة الأولى، وحكى أبو عبيد فتحها، وفي بعض النسخ لمست (قوله كأنه جلس) بكسر الحاء المهملة وسكون اللام وبعدها سين مهملة وهو كساء يلى ظهر البعير تحت القتب (قوله لاطئ) بهمزة في آخره أي لاصق (قوله وطم) بضم اللام وتشديد المهملة أي أرخى (قوله وذكر البزار) بالياء الموحدة والزاي المشددة، وفي آخره راء نسبة إلى عمر بزر الكتان (*)

[١٨٦]

أنا أكبر ثم قال الملك أشهد أن لا إله إلا الله فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي أنا الله لا إله إلا أنا وذكر مثل هذا في بقية الأذان إلا أنه لم يذكر جوابا عن قوله حتى على الصلاة حتى على الفلاح وقال ثم أخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فأمر أهل السماء فيهم آدم ونوح قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين رواية أكمل الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على أهل السموات والأرض قال القاضي وفقه الله ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه إذ الحجب إنما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه على أبصار خلقه وبصائرهم وإدراكاتهم بما شاء وكيف شاء وامتى شاء كقوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فقوله في هذا الحديث الحجاب وإذ خرج ملك من الحجاب يجب أن يقال إنه حجاب حجب به من وراءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته وجبروته وبدل عليه من الحديث قوله جبريل عن الملك الذي خرج من ورائه إن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه فدل على أن هذا الحجاب لم يختص بالذات وبدل عليه قول كعب في تفسير سدره المنتهى قال إليها ينتهى علم الملائكة وعندها يجدون أمر الله لا يجاوزها علمهم وأما قوله الذي يلى الرحمن فيحمل على حذف المضاف أي يلى عرش الرحمن أو امرا ما من عظيم آياته أو

[١٨٧]

مبادئ حقائق معارفه مما هو أعلم به كما قال تعالى (واسأل القرية) أي أهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر فظاهره أنه سمع في هذا الموطن كلام الله تعالى ولكن من وراء حجاب كما قال تعالى (وما كان ليشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب) أي وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته، فإن صح القول بأن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل فيحتمل أنه في غير هذا الموطن بعد هذا أو قبله رفع الحجاب عن بصره حتى رآه والله أعلم. (فصل) ثم اختلف السلف والعلماء هل كان إسراؤه بروحه أو جسده على ثلاث مقالات فذهبت طائفة إلى أنه إسراء بالروح وأنه رؤيا منام مع اتفاقهم أن رؤيا الأنبياء حق ووحى وإلى هذا ذهب معاوية وحكى عن الحسن والمشهور عنه خلافة وإليه أشار محمد بن اسحاق وحجتهم قوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التى أرىناك إلا فتنة للناس) وما حكوا عن عائشة رضي الله عنها ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله بينا أنا نائم وقوله أنس وهو نائم في المسجد

(قوله على ثلاثة أقوال) قال السهيلي وذهبت طائفة منهم شيخنا القاضي أبو بكر إلى تصحيح المحدثين أن الإسراء كان مرتين أحدهما في نومه توطئة وتيسيرا عليه

كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة ليسهل عليه أمر النبوة فإنه أمر عظيم تضعف عنه القوى البشرية وكذلك الإسراء سهله عليه بالرؤيا، لأن هوله عظيم: ورأيت المهلب في شرح البخاري قد حكى هذا القول عن طائفة من العلماء وأنهم قالوا كان الإسراء مرتين مرة في نومه ومرة في يقظته بيدنه صلى الله عليه وسلم انتهى (*).

[١٨٨]

الحرام وذكر القصة ثم قال في آخرها فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق وهو قول ابن عباس وجابر وأنس وحذيفة وعمر وأبي هريرة ومالك بن صعصعة وأبي حبة البدرى وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبيرة وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وإبراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريح وهو دليل قول عائشة وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهو قول أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين وقالت طائفة كان الإسراء بالجسد يقظة من المسجد الحرام إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح واحتجوا بقوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) فجعل إلى المسجد الأقصى غاية الإسراء الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي محمد صلى الله عليه وسلم به وإظهار الكرامة له بالإسراء إليه قال هؤلاء ولو كان الإسراء بجسده إلى زائد على المسجد الأقصى لذكره فيكون أبلغ في المدح، ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس أم لا ؟ ففي حديث أنس وغيره ما تقدم من صلته فيه وأنكر

(قوله أبو حبة) بفتح الحاء المهملة وتشديد الموحدة هو الصحيح وقيل بتشديد النون وقيل بتشديد المثناة التحتية وقد اختلف هل أبو حبة الأنصاري وأبو حبة البدرى واحد أو اثنان وهل هما بالموحدة أو بالنون (*)

[١٨٩]

ذلك حذيفة بن اليمان وقال والله ما زالنا عن ظهر البراق حتى رجعا قال القاضي وفقه الله والحق من هذا والصحيح إن شاء الله أنه إسراء بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة إذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله تعالى (ما زاغ البصر وما طغى) ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من أسلم واقتنوا به إذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه وحال يقظته إلى ما ذكر في الحديث من ذكر صلته بالأنبياء ببيت المقدس في رواية أنس أو في السماء على ما روى غيره وذكر مجئ جبريل له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن معك فيقول محمد ولقائه الأنبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشأنه في فرض الصلاة ومراجعتهم مع موسى في ذلك وفي بعض هذه الأخبار: فأخذ يعنى جبريل بيدي فعرج بي إلى السماء إلى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام وأنه وصل إلى سدرة المنتهى وأنه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره قال ابن عباس هي رؤيا عين رآها صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام وعن الحسن فيه بينا أنا نائم في الحجر جاءني جبريل فهمزني بعقبه فقامت

فجلست فلم أر شيئا فعدت لمضجعي، ذكر ذلك ثلاثا، فقال في الثالثة فأخذ بعضدي فجرني إلى باب المسجد فإذا بداية وذكر خبر البراق. وعن أم هانئ ما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي تلك الليلة صلى العشاء الآخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا قال يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترون، وهذا بين في أنه بجسمه، وعن أبي بكر من رواية شداد بن أوس عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به طلبتك يا رسول الله

(قوله في الحجر) بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم، وقال النووي إنه رأى لبعض المصنفين على المهذب أنه يقال أيضا يفتح الحاء كحجر الاسنان (قوله أم هانئ) بهمزة في آخره (قوله أهبنا) أي أيقظنا يقال هب إذا استيقظ أهبه إذا أيقظه (قوله فلما صلى الصبح وصلينا) قبل إن إسلام أم هانئ كان عام الفتح وهي السنة الثامنة من الهجرة والإسراء قبله بكثير فكيف تقول وصلينا وأيضا كيف يقول صلى الصبح والصوات الخمس لم تكن في الوقت الذي أخبرت عنه؟ والجواب أن قبل الإسراء كانت صلاتان صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فيصح قولها فلما صلى الصبح، هذا على أن المعراج من بيت المقدس وأنه مع الإسراء في ليلة واحدة، وأما على أنه من مكة وأنه ليس مع الإسراء في ليلة واحدة فقولها صلى الصبح على حقيقته من غير تأويل لأن الصلوات الخمس كانت ليلة المعراج وهو على هذا القول كان في رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا والإسراء كان في ربيع الأول قبل الهجرة بسنة، وأما قولها وصلينا فأرادت به وهيانا له ما يحتاج إليه في الصلاة على تقدير أنها لم تكن بعد أمنت ولم تقل فرض الصبح حتى يقال أن الصلاة لم تكن بعد فرضت وإنما فرضت ليلة الإسراء (*)

البارحة في مكانك فلم أجدك فأجابه أن جبريل عليه السلام حملني إلى المسجد الأقصى، وعن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (صليت ليلة أسرى بي في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فإذا بملك قائم معه أنية ثلاث، وذكر الحديث. وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها، وعن أبي ذر عنه صلى الله عليه وسلم: فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم إلى آخر القصة ثم أخذ بيدي فخرج بي. وعن أنس (أتيت فانطلقوا بي إلى زمزم فشرح عن صدري) وعن أبي هريرة رضي الله عنه (لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء لم أثبتها فكربت كريا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي أنظر إليه) ونحوه عن جابر وقد روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث الإسراء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (ثم رجعت إلى خديجة وما تحولت عن جانبها). (فصل) في إبطال حجج من قال إنها نوم احتجوا بقوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك) فسماها رؤيا قلنا قوله (سبحان الذي أسرى بعبده) يرده لأنه لا يقال في النوم أسرى، وقوله فتنه للناس يؤيد أنها رؤيا عين وإسراء بشخص إذ ليس في الحلم فتنه ولا يكذب به أحد لأن كل أحد يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة في أقطار متباينة، على

(قوله فكربت) بضم الكاف وكسر الراء من الكرب بفتح الكاف وهو الغم الذي يأخذ النفس (*)

أن المفسرين قد اختلفوا في هذه الآية فذهب بعضهم إلى أنها نزلت في قضية الحديبية وما وقع في نفوس الناس من ذلك وقيل غير هذا وأما قولهم إنه قد سماها في الحديث مناما وقوله في حديث آخر بين النائم واليقظان وقوله أيضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه إذ قد يحتمل أن أول وصول الملك إليه كان وهو نائم أو أول حمله والإسراء به وهو نائم وليس في الحديث أنه كان نائما في القصة كلها إلا ما يدل عليه قوله ثم استيقظت وأنا في المسجد الحرام، فلعل قوله استيقظت بمعنى أصبحت أو استيقظ من نوم آخر بعد وصوله بيته وبدل عليه أن مسراه لم يكن طول ليله وإنما كان في بعضه وقد يكون قوله استيقظت وأنا في المسجد الحرام لما كان غمره من عجائب ما طالع من ملكوت السموات والأرض وخامر باطنه من مشاهدة الملا الأعلى وما رأى من آيات ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع إلى حال البشرية إلا وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث أن يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه أسرى بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الأنبياء حق تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض أصحاب الاشارات إلى نحو من هذا قال تغميض

(قوله الحديبية) بتخفيف المثناة التحتية قبل هاء التأنيث، كذا عن الشافعي وأهل اللغة وبعض المحدثين وقال أكثر المحدثين بتشديدها وهي قرية بالكبيرة سميت بئر هناك عند مسجد الشجرة على نحو مرحلة من مكة (قوله خامر) بالخاء المعجمة: أي خالط (*)

عينيه لئلا يشغله شئ من المحسوسات عن الله تعالى ولا يصح هذا أن يكون في وقت صلاته بالأنبياء ولعله كانت له في هذا الإسراء حالات * ووجه رابع وهو أن يعبر بالنوم ههنا عن هيئة النائم من الاضطجاع ويقويه قوله في رواية عبد بن حميد عن همام: بينا أنا نائم وربما قال مضطجع وفي رواية هدية عنه بينا أنا نائم في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الأخرى بينا النائم واليقظان فيكون سمي هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب بعضهم إلى أن هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب عز وجل الواقعة في هذا الحديث إنما هي من رواية شريك عن أنس فيه منكرة من روايته إذ شق البطن في الأحاديث الصحيحة إنما كان في صغره صلى الله عليه وسلم وقبل النبوة ولأنه قال في الحديث قيل أن يبعث، والإسراء بإجماع كان بعد المبعث. فهذا كله يوهن ما وقع في رواية أنس مع أن أنسا قد بين من غير طريق أنه إنما رواه عن غيره وأنه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك ابن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك وقال

(قوله هو همام) بتشديد الميم وفتح الهاء (قوله هدية) بضم الهاء وإسكان الدال المهملة بعدها موحدة هو ابن خالد القيسي (قوله إذ شق البطن إنما كان في صغره) قال السهيلي: كان شق بطنه صلى الله عليه وسلم مرتين احداهما في الصغر لإزالة حظ الشيطان والأخرى لملء قلبه إيمانا وحكمة. (١٣ - ١) (*)

مرة كان أبو ذر يحدث وأما قول عائشة ما فقدت جسده فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة لأنها لم تكن حينئذ زوجه ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الإسراء متى كان فإن الإسراء كان في أول الإسلام على قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عائشة في الهجرة بنت نحو ثمانية أعوام وقد قيل كان الإسراء لخمسة قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام والأشبه أنه لخمسة والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا فإذا لم تشاهد ذلك عائشة دل أنها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرحح خبرها على خبر غيرها وبغيرها يقول خلافه مما وقع نصاً في حديث أم هانئ وبغيره وأيضاً فليس حديث عائشة رضى الله عنها بالثابت والأحاديث الأخر اثبت لسنا نعنى حديث أم هانئ وما ذكرت فيه خديجة وأيضاً فقد روى في حديث عائشة ما فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم إلا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها إنه بجسده لإنكارها أن تكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره فإن قيل فقد قال تعالى (ما كذب الفؤاد من رأى) فقد جعل ما رآه

(قوله بعد البعث) بعده بعام ونصف، واختلف في الشهر الذي أسرى صلى الله عليه وسلم فيه فقيل ربيع الأول، وحزم به النووي في فتاويه، وقيل في ربيع الآخر وحزم به النووي في مسلم تبعاً للقاضي أبي الفضل المصنف، وقيل في رجب وحزم به النووي في الروضة وقال الواقدى في رمضان، وقال الماوردى في شوال (قوله يوهن) بسكون الواو كسر الهاء المخففة، ويجوز فتح الواو تشديد الهاء (*)

[١٩٥]

للقلب وهذا يدل على أنه رؤيا نوم ووحى لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى (ما زاغ البصر وما طغى) فقد أضاف الأمر للبصر وقد قال أهل التفسير في قوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى) أي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل ما أنكر قلبه ما رآه عينه. (فصل) وأما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه جل وعز فاختلف السلف فيها فأنكرته عائشة رضى الله عنها * حدثنا أبو الحسين سراج ابن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه قال حدثني أبي وأبو عبد الله بن عتاب الفقيه قال حدثنا القاضي يونس بن مغيث حدثنا أبو الفضل الصقلي حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن أبيه وجدته قال حدثنا عبد الله بن علي حدثنا محمود بن آدم حدثنا وكيع عن ابن أبي خالد عن عامر عن مسروق أنه قال لعائشة رضى الله عنها يا أم المؤمنين هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلاث من حديثك بهن فقد كذب من حديثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب ثم قرأت (لا تدركه الأبصار) الآية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عائشة رضى الله عنها وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله عن أبي هريرة أنه قال إنما

(قوله الصقلي) بفتح الصاد المهملة والقاف، كذا ضبطه ابن خلكان في ترجمة ابن الزلاق الشاعر نسبة إلى صقلية: جزيرة من جزائر بحر العرب (قوله عن عامر) هو الصواب لا ما يقع في بعض النسخ وهو عن مجاهد. (*)

[١٩٦]

رأى جبريل واختلف عنه. وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه رآه بعينه وروى عطاء عنه أنه رآه بقلبه وعن أبي العالية

عنه رآه بفؤاده مرتين وذكر ابن إسحاق أن ابن عمر أرسل إلي ابن عباس رضي الله عنهما يسأله هل رأى محمد ربه فقال نعم والأشهر عنه أنه رأى ربه بعينه روى ذلك عنه من طرق وقال إن الله تعالى اختص موسى بالكلام وإبراهيم بالخلعة ومحمدا بالرؤية وحجته قوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى) قال الماوردي قيل إن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين * وحكى أبو الفتح الرازي وأبو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس أما نحن بنو هاشم فنقول إن محمدا قد رأى ربه مرتين فكعب حتى جاوبته الجبال وقال إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه وروى شريك عن أبي ذر رضي الله عنه في تفسير الآية قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه * وحكى السمرقندي عن

(قوله وروى عطاء) هو ابن أبي رباح المكي الفقيه (قوله وعن أبي العالية) هو رفيع بن مهران الرياحي (قوله عبد الله بن الحارث) هو زوج أخت محمد بن سيرين روى هذا الحديث مرسل (*)

[١٩٧]

محمد بن كعب القرظي وربيعة بن انس أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل رأيت ربك قال رأيت بفؤادي ولم أره بعيني وروى مالك ابن يخامر عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملاء الأعلى الحديث * وحكى عبد الرزاق أن الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه وحكاه أبو عمر الطلمنكي عن عكرمة * وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود * وحكى ابن إسحاق أن مروان سأل أبا هريرة هل رأى محمد ربه فقال نعم * وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل أنه قال أنا أقول بحديث ابن عباس بعينه: رآه حتى انقطع نفسه يعني نفس أحمد وقال أبو عمر قال أحمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالأبصار وقال سعيد بن جبير لا أقول رآه ولا لم يره وقد اختلف في تأويل الآية عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكى عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن

(قوله سئل هل رأيت) هذا الحديث مرسل لأن محمد بن كعب والربيعة تابعيان (قوله ابن يخامر) بضم المثناة التحتية وتخفيف الخاء المعجمة وكسر الميم بعدها راء، قال المزني حديث مالك بن يخامر عن معاذ ميبين في بعض الروايات أنه في النوم (قوله وحكى عبد الرزاق) هو ابن همام بن رافع الحافظ الصعاني صاحب التصانيف، مات سنة إحدى عشرة ومائتين أخرج له الأئمة الستة (قوله الطلمنكي) بفتح الطاء المهملة واللام والميم والنون والكاف الإمام الحافظ المقرئ (قوله وقال أبو عمر الظاهر أنه الطلمنكي المتقدم) (*)

[١٩٨]

الحسن وابن مسعود رأى جبريل وحكى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه أنه قال رآه وعن ابن عطاء في قوله تعالى (ألم نشرح لك صدرك) قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رضي الله عنه وجماعة من أصحابه أنه رأى الله تعالى ببصره وعيسى رأسه وقال كل آية أوتيتها نبي من الأنبياء عليهم السلام فقد أوتى مثلها نبينا صلى الله عليه

وسلم وخص من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز أن يكون. قال القاضي أبو الفضل وفقه الله والحق الذي لا امتراء فيه أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها ومحال أن يحجل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه بل لم يسأل إلا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهداته من الغيب الذي لا يعلمه إلا من علمه الله فقال له الله تعالى (لن تراني) أي لن تطيق ولا تحتل رؤيتي ثم ضرب له مثلا مما هو أقوى من بنية موسى وأثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها إذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى (لا تدركه الأبصار) لاختلاف التأويلات في الآية وإذ ليس

[١٩٩]

يقتضى قول من قال في الدنيا الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه أبصار الكفار وقيل (لا تدركه الأبصار) لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد قيل لا تدركه الأبصار وإنما يدركه المبصرون وكل هذه التأويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله تعالى (لن تراني) وقوله (تبت إليك) لما قدمناه ولأنها ليس على العموم ولأن من قال معناها لن تراني في الدنيا إنما هو تأويل وأيضا فليس فيه نص الامتناع وإنما جاءت في حق موسى وحيث تتطرق التأويلات تتسلط الاحتمالات فليس للقطع إليه سبيل وقوله (تبت إليك) أي من سؤالي ما لم تقدره لى وقد قال أبو بكر الهذلي في قوله (لن تراني) أي ليس لبشر أن يطيق أن ينظر إلى في الدنيا وأنه من نظر إلى مات وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه أن رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب أهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة عرضا للآفات والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية فإذا كان في الآخرة وركبوا تركيا آخر ورزقوا قوي ثابتة باقية وأتم أنوار أبصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية وقد رأيت نحو هذا لمالك بن أنس رحمه الله قال

(قوله أن رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب أهل الدنيا) قال المزني يؤيده ما في مسلم في حديث الدجال فاعلموا أنه أعور وأن الله ليس بأعور، وإن أحدا منكم لم يرى ربه حتى يموت (*)

[٢٠٠]

لم ير في الدنيا لأنه باق ولا يرى الباقي بالفانى فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصار باقية رضى الباقي بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة إلا من حيث ضعف القدرة فإذا قوى الله تعالى من شاء من عباده وأقدره على حمل أعباء الرؤية لم تمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد صلي الله عليهما وسلم ونفوذ إدراكهما بقوة إلهية منحها لإدراك ما أدركاه ورؤية ما رأياه والله أعلم. وقد ذكر القاضي أبو بكر في أثناء أجوبته عن الأيتين ما معناه أن موسى عليه السلام رأى الله فلذلك خر صعقا وأن الجبل رأى ربه فصار دكا بإدراك خلقه الله له واستنبت ذلك والله أعلم من قوله (ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني) ثم قال (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا)

وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه على هذا القول وقال جعفر بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمت صعقا بلا إفاة وقوله هذا يدل على أن موسى رآه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل أنه رآه وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا

(قوله وقد ذكر القاضي أبو بكر) يعنى الباقلانى لأن القاضى أبا بكر ابن العربي معاصر للمصنف لأن مولده سنة ثمان وستين وأربعمئة ومماته سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ومولد المصنف سنة ست وسبعين وأربعمئة، ومماته سنة أربع وأربعين وخمسمائة (قوله وأن الجبل رأى ربه) قال الإمام الرازي في المعلم: خلق الله تعالى في الجبل حياة وعقلا وفهما وخلق فيه الرؤية فرأى بها. (*)

[٢٠١]

له إذ جعله دليلا على الجواز ولا مربة في الجواز إذ ليس في الآيات نص في المنع، وأما وجوبه لنبينا صلى الله عليه وسلم والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع أيضا ولا نص إذ المعول فيه على آيتى النجم والتنازع فيهما مأثور والاحتمال لهما ممكن ولا أثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده لم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمونه ومثله حديث أبى ذر في تفسير الآية وحديث معاذ محتمل للتأويل وهو مضطرب الإسناد والمتن وحديث أبى ذر الآخر مختلف محتمل مشكل فروى: نور أنى أراه، وحكى بعض شيوخنا أنه روى: نوراني أراه، وفى حديثه الآخر سألته فقال رأيت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة الرؤية فإن كان الصحيح رأيت نورا فهو قد أخبر أنه لم ير الله تعالى وإنما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى وإلى هذا يرجع قوله نور أنى أراه أي كيف أراه مع حجاب النور المغشى للبصر وهذا مثل ما في الحديث الآخر حجاب النور وفى

(قوله نور أنى أراه) بهمزة مفتوحة ونون مشددة مفتوحة بمعنى كيف: قال المازرى الضمير في أراه عائد على الله تعالى، ومعنى الكلام أن النور منعى من الرؤية كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار ومنعها من إدراك ما جالت بين الرأى وبينه، وروى نوراني بفتح الراء وكسر النون وتشديد الباء ويحتمل أن يكون معناه راجعا إلى ما سبق، وقال المزي هذا تصحيف، والصواب الأول يدل عليه، قوله رأيت نورا وقوله حجاب النور. (*)

[٢٠٢]

الحديث الآخر لم أره بعينى ولكن رأيتة بقلبي مرتين وتلا (ثم دنا فتدلى) والله تعالى قادر على خلق الإدراك الذى في البصر في القلب أو كيف شاء لا إله غيره فإن ورد حديث نص بين في الباب اعتقد ووجب المصير إليه إذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يردده والله الموفق للصواب. (فصل) وأما ما ورد في هذه القصة من مناجاته لله تعالى وكلامه معه بقوله (فأوحى إلى عبده ما أوحى) إلى ما تضمنته الأحاديث فأكثر المفسرين على أن الموحى هو الله عز وجل إلى جبريل وجبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم إلا شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال أوحى إليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي وإلى هذا ذهب بعض المتكلمين أن محمدا كلم ربه في الإسراء وحكى عن الأشعري وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وأنكره آخرون وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الإسراء عنه صلى الله عليه وسلم في قوله دنا فتدلى قال فارقتي جبريل

فانقطعت الأصوات عنى فسمعت كلام ربي وهو يقول: ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن. وفى حديث أنس في الإسراء نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب

(قوله ليهدأ) بدال مهمله بعدها همزة، والروع بفتح الراء: الفرع (*)

[٢٠٢]

أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء) فقالوا هي ثلاثة أقسام من وراء حجاب كتكليم موسى وإرسال الملائكة كحال جميع الأنبياء وأكثر أحوال نبينا صلى الله عليه وسلم الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام إلا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب النبي دون واسطة وقد ذكر أبو بكر البزار عن علي في حديث الإسراء ما هو أوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله من الآية فذكر فيه: فقال الملك الله أكبر الله أكبر فقيل لى من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أكبر أنا أكبر وقال في سائر كلمات الأذان مثل ذلك ويحى الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفضل بعد هذا مع ما يشبهه وفى أول فصل من الباب منه وكلام الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن اختصه من أنبيائه جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فإن صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب وأكده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمداً فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف الأقدام فكيف يستحيل في حق هذا أو يبعد سماع الكلام؟ فسبحان من خص من شاء بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات. (فصل) وأما ما ورد في حديث الإسراء وظاهر الآية من الدنو

[٢٠٤]

والقرب من قوله (دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) فأكثر المفسرين أن الدنو والتدلى منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما السلام أو مختص بأحدهما من الآخر أو من السدرة المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس هو محمد دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد أي قرب وحكى مكى والماوردي عن ابن عباس هو الرب دنا من محمد فتدلى إليه أي أمره وحكمه * وحكى النقاش عن الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه فأراه ما شاء أن يريه من قدرته وعظمته قال وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت عنى الأصوات وسمعت كلام ربي عز وجل وعن أنس في الصحيح (عرج بي جبريل إلى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى إليه بما شاء وأوحى إليه خمسين صلاة) وذكر حديث الإسراء وعن محمد بن

(قوله قاب قوسين) في الكشاف أي مقدار قوسين عربيتين والقاب والقيب والقاد والقيد والقيس: المقدار والتقدير في الآية فكان مسافة قربه مثل قاب قوسين، وفى أنوار التنزيل: والمقصود من الآية تمثيل تحقيق استماعه لما يوحى إليه بنفى البعد

والمليس (قوله الرفرف) في البيان: الرفرف البساط) وقيل لما كان من الدياج وقيل الفراش وفي الصحاح الرفرف ثياب خضر يتخذ منها المحابس: الواحدة رفرقة والرفرف أيضا كسر الخبا وجوانب الدرع وما يدلى منه: الواحدة رفرقة (*)

[٢٠٥]

كعب هو محمد دنا من ربه فكان قاب قوسين. وقال جعفر بن محمد أدناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين. وقال جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود. وقال أيضا انقطعت الكيفية عن الدنو: ألا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد إلى ما أودع قلبه من المعرفة والإيمان فتدلى بسكون قلبه إلى ما أدناه وزال عن قلبه الشك والارتباب؟ قال القاضي أبو الفضل وفقه الله: اعلم أن ما وقع من إضافة الدنو والقرب هنا من الله أو إلى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر بن محمد الصادق ليس بدنو حد وإنما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه. وقربه منه إبانة عظيمه منزلته وتشريف رتبته وإشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرة وتأسيس وبسط وإكرام ويتأول فيه ما يتأول في قوله: ينزل ربنا إلى سماء الدنيا. على أحد الوجوه نزول إفضال وإجمال وقبول وإحسان قال الواسطي من توهم أنه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كل ما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا يعنى عن درك حقيقته إذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله قاب قوسين أو أدنى فمن جعل الضمير عائدا إلى الله تعالى لا إلى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل وإيضاح المعرفة والإشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن إجابة لرغبة وقضاء

(قوله مدى) بفتح الميم وتخفيف المهملة والتنوين أي غاية (قوله مبرة) أي برا (*)

[٢٠٦]

المطالب وإظهار التحفى وإنافة المنزلة والمرتبة من الله له ويتأول فيه ما يتأول في قوله (من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا ومن أتانى يمشى أتيته هرولة) قرب بالإجابة والقبول وإتيان بالإحسان وتعجيل المأمول. فصل) في ذكر تفضيله صلى الله عليه وسلم في القيامة بخصوص الكرامة حدثنا القاضي أبو علي حدثنا أبو الفضل وأبو الحسين قالوا أخبرنا أبو يعلى حدثنا السنجى حدثنا ابن محبوب حدثنا الترمذي حدثنا الحسين ابن يزيد الكوفى حدثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع ابن أنس عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر) * وفي رواية ابن زخر عن الربيع بن أنس في لفظ هذا الحديث

(قوله التحفى) بالمتناة الفوقية والهاء المهملة المفتوحة والفاء المشددة المكسورة أي المبالغة في الإلطف والإكرام (قوله وإنافة) بكسر الهمزة وتخفيف النون أي زيادة (قوله وأبو الحسين) هو المبارك بن عبد الجبار، وفي بعض النسخ الحسن غير مصغر وليس بالحسين (قوله عن ليث) هو ابن أبي سليم بضم السين وفتح اللام أبو بكر القرشى مولاهم الكوفى أحد العلماء، يروى عن مجاهد وطبقته (قوله ولا فخر) أي قلت ذلك امتثالا بأمر ربي لا افتخارا (قوله ابن زخر) الإفريقى العابد (*)

[٢٠٧]

(أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا قائدهم إذا وفدوا وأنا خطيئهم إذا أنصتوا وأنا شفيعهم إذا حبسوا وأنا مبشرهم إذا أبلسوا لواء الكرم بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف على ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون) وعن أبي هريرة رضي الله عنه (وأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري) وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما نبى يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائى وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر) وعن أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع) وعن ابن عباس رضي الله عنهما (أنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح لى فأدخلها فيدخلها معى فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر) وعن أنس (أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الناس تبعاً) وعن أنس

(قوله أبلسوا) أي بئسوا ومنه قوله تعالى (فإذا هم مبلسون) (قوله حلق الجنة) الحلقة بالتسكين الدروع، وكذلك حلقة الباب وحلقة القوم، والجمع: الحلق على غير قياس، وقال الأصمعي: الجمع حلق مثل بكرة وبدر وقصعة وقصع، وحكى يونس عن أبي عمرو بن العلاء حلقة في الواحد بالتحريك والجمع حلق وحلقات (*)

[٢٠٨]

رضى الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم (أنا سيد الناس يوم القيامة وتدرن لم ذلك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين.) وذكر حديث الشفاعة وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال (أطمع أن أكون أعظم الأنبياء أجراً يوم القيامة) وفي حديث آخر (أما ترضون أن يكون إبراهيم وعيسى فيكم يوم القيامة ؟ ثم قال إنهما في أمتي يوم القيامة: أما إبراهيم فيقول أنت دعوتي وذريتي فاجعلني من أمتك وأما عيسى فالأنبياء إخوة بنو علات أمهاتهم شتى وإن عيسى أخى ليس بينى وبينه نبى وأنا أولى الناس به) قوله أنا سيد الناس يوم القيامة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيامة ولكن أشار صلى الله عليه وسلم لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون غيره إذ لجأ الناس إليه في ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذى يلجأ الناس إليه في حوائجهم فكان حينئذ سيداً منفرداً من بين البشر لم يراحمه أحد في ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) والملك له تعالى في الدنيا والآخرة لكن في الآخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا وكذلك لجأ إلى محمد صلى الله عليه وسلم جميع الناس في الشفاعة فكان

(قوله بنو علات) العلات بفتح العين المهملة جمع علة وهى الضرة سميت بذلك لأن الرجل تزوجها على أولى كانت قبلها، ثم عل من هذه والعلل الشرب الثاني فينوا العلات أولاد الرجل من نسوة شئ، والمعنى أن الأنبياء متفقون في أصول الشريعة متباينون في فروعها. (*)

[٢٠٩]

سيدهم في الأخرى دون دعوى وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك) وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورق وريحه أطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظماً أبدا) وعن أبى ذر نحوه وقال طوله ما بين عمان إلى أيلة يشخب فيه ميزابان من الجنة* وعن ثوبان مثله وقال أحدهما من ذهب والآخر من ورق، وفى رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة وصنعاء

(قوله وعن عبد الله بن عمرو) بفتح العين وسكون الميم (قوله من الورق) بفتح الواو وكسر الراء وهى الدراهم المضروبة، وكذلك الرقة بتعويض الهاء فى آخره عن الواو فى أوله (قوله عمان) قال ابن الأثير حديث الحوض من مقامى إلى عمان بفتح العين وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام من أرض البلقاء فأما بالضم والتخفيف فهو صقع عند البحرين وله ذكر فى الحديث وقال السهيلي عمان بضم العين وتخفيف الميم قرية باليمن سميت بعمان بن سنان من ولد إبراهيم فيما ذكروا، وأما بفتح العين وتشديد الميم قرية بالشام قرب دمشق سميت بعمان بن لوط بن هاران كان يسكنها فيما ذكروا وقال المزى بتعين ضم العين والتخفيف لقوله فى الحديث الآخر أيلة وصنعاء (قوله إلى أيلة) بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية بلدة فى طرف الشام على ساحل البحر متوسطة بين المدينة الشريفة وبين دمشق، وبينها وبين مصر نحو ثمان مراحل (قوله يشخب) بضم الخاء المعجمة وفتحها (قوله حارثة) بالحاء المهملة والمثناة (قوله وصنعاء) بفتح الصاد المهملة وسكون النون بعدها عين مهملة وهمزة ممدودة: مدينة اليمن العظمى وهى صنعاء اليمن ويقال فى النسب إليها صنعاني على غير قياس، وأما صنعاء الروم قرية فى الجانب الغربي من دمشق فى ناحية الروم (١٤ - ١) (*)

[٢١٠]

وقال أنس أيلة وصنعاء وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الأسود، وروى حديث الحوض أيضا أنس وجابر بن سمرة وابن عمر وعقبة ابن عامر وحارثة بن وهب الخزاعى والمستورد وأبو برزة الأسلمي وحذيفة بن اليمان وأبو أمامة وزيد بن أرقم وابن مسعود وعبد الله ابن زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة وأبو بكر وعمر بن الخطاب وابن بريدة وأبو سعيد الخدرى وعبد الله الصنابحى وأبو هريرة والبراء وجندب وعائشة وأسماء بنتا أبى بكر وأبو بكره وخولة بنت قيس، وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين. (فصل) فى تفضيله بالمحبة والخلة: جاءت بذلك الآثار الصحيحة واختص على السنة المسلمين بحبيب الله. أخبرنا أبو القاسم بن إبراهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت أحمد حدثنا أبو الهيثم وحدثنا حسين

(قوله والمستورد) بضم الميم وسكون السين المهملة وفتح المثناة الفوقية هو ابن شداد بالشين المعجمة (قوله وأبو برزة) بفتح الموحدة وسكون الراء بعدها زاي (قوله وسويد بن جبلة) سويد بضم السين المهملة وفتح الواو وحبلة بفتح الجيم والباء الموحدة (قوله الصنابحى) بضم الصاد المهملة وتخفيف النون وكسر الباء الموحدة والحاء المهملة، قيل صحابي نسب إلى جده اسمه صنابح (قوله جندب) بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال وضمها، هو ابن عبد الله بن صعنان الجلى (قوله وخولة بنت قيس) هى الأنصارية النجارية زوج حمزة بن عبد المطلب وقيل زوج حمزة خولة بنت تامر وقيل تامر لقب قيس (قوله عن كريمة) قال ابن ماكولا كريمة بفتح الكاف وكسر الراء ثم قال وكريمة بنت أحمد بن محمد المروزية سمعت جامع البخاري من الكشميهنى. (*)

[٢١١]

ابن محمد الحافظ سماعا عليه حدثنا القاضي أبو الوليد حدثنا عبد بن أحمد حدثنا أبو الهيثم حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا محمد ابن إسماعيل حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أبو عامر حدثنا فليح حدثنا أبو النضر عن بسر بن سعيد عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر) وفي حديث آخر (وإن صاحبكم خليل الله) ومن طريق عبد الله بن مسعود وفد اتخذ الله صاحبكم خليلا، وعن ابن عباس قال جلس ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا إن الله اتخذ إبراهيم من خلقه خليلا وقال آخر ماذا بأعجب من كلام موسى كلمة الله تكلما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله، فخرج عليهم فسلم وقال (قد سمعت كلامكم وعجبكم إن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلا وهو كذلك وموسى نجى الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وموسى نجى الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وأدم اصطفاه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر

(قوله عبد بن أحمد) من غير إضافة عبد إلى ابن هو أبو ذر الهروي (قوله فريح) بضم الفاء وفتح اللام هو ابن سليمان العدوي المدني (قوله أبو النضر) بالضاد المعجمة هو سالم بن أبي أمية المدني (قوله عن بسر) بضم الموحدة وسكون السين المهملة. (*)

[٢١٢]

وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيد خلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر) في حديث أبي هريرة رضى الله عنه من قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: إني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التوراة اسد حبيب الرحمن قال القاضي أبو الفضل وفقه الله: اختلف في تفسير الخلة وأصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع إلى الله الذي ليس في انقطاعه إليه ومحبتة له اختلال وقيل الخليل المختص واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم أصل الخلة الاستصفاة وسمى إبراهيم خليل الله لأنه يوالى فيه ويعادى فيه وخلة الله له نصره وجعله إماما لمن بعده وقيل الخليل أصله الفقير المحتاج المنقطع مأخوذ من الخلة وهى الحاجة فسمى بها إبراهيم لأنه قصر حاجته على ربه وانقطع إليه بهمه ولم يهمله ولم يجعله قبل غيره إذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى به في النار فقال ألك حاجة ؟

(قوله فهو مكتوب في التوراة اسد) هكذا وقعت هذه اللفظة في النسخ المعتمدة على هذه الصورة وهى ألف بعدها سين مهملة ثم جرة، وفى بعض النسخ مكتوب بازائها على الطرة ذكر ابن جبير بخطه في كتابه أن هذه اللفظة وقعت في طرة (الأم) المبيضة بخط مؤلفه كما هي هنا مبهمه فحكيته كما وقعت (قوله من الحلة بفتح الخاء المعجمة وهى الحاجة) (قوله قبل غيره) بكسر القاف وفتح الموحدة (قوله وهو في المنجنيق) بفتح الميم والجيم وبكسر الميم ذكرهما أبو عبيد بن سلام في الغرب وفي الصحاح والمنجنيق التى يرمى بها الحجارة معربة وأصلها بالفارسية - من حى نيك - أي ما أجودنى، وهى مؤنثة. (*)

[٢١٢]

قال: أما إليك فلا، وقال أبو بكر بن فورك: الخلّة صفاة المودة التي توجب الاختصاص بتخلّل الأسرار وقال بعضهم أصل الخلّة المحبة ومعناها الإسعاف والإلطف والترفع والتشفيغ، وقد بين ذلك في كتابه تعالى بقوله (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه، قل فلم يعذبكم بذنوبكم) فأوجب للمحبوب أن لا يؤاخذ بذنوبه قال هذا والخلّة أقوى من البنوة لأن البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال تعالى (إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) الآية ولا يصح أن تكون عداوة مع خلّة فإذا تسمية إبراهيم ومحمد عليهما السلام بالخلّة إما بإنقطاعهما إلى الله ووقف حوائجهما عليه والإنقطاع عنهما دونه والإضراب عن الوسائط والأسباب أو لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفى أطفاه عندهما وما خال بواطنهما من أسرار إلهيته ومكنون غيوبه ومعرفته أو لاستصفائه لهما واستصفاة قلوبهما عن سواه حتى لم يخال لهما حب لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم (ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا) لكن أخوة الإسلام واختلف العلماء أرباب القلوب أيهما أرفع: درجة الخلّة أو درجة المحبة؟ فجعلهما بعضهم سواء فلا يكون الحبيب إلا خليلا ولا الخليل إلا حبيبا لكنه خص إبراهيم بالخلّة ومحمدا

(قوله والأسرار) يفتح الهمزة جمع سر (قوله وخفى إطفاه) بالخاء المعجمة أو المهملة والإلطف بكسر الهمزة مصدر، وفتحها جمع لطف. (*)

[٢١٤]

بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلّة ارفع واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم (لو كنت متخذا خليلا غير ربي عز وجل) فلم يتخذة وقد أطلق المحبة لفاطمة وابنيها وأسامة وغيرهم وأكثرهم جعل المحبة أرفع من الخلّة لأن درجة الحبيب نبينا أرفع من درجة الخليل إبراهيم وأصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحب ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوق فأما الخالق فمنزه عن الأعراض فمحبتة لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهئية أسباب القرب وإفاضة رحمته عليه وقصاها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر إليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث (إذا أحببتك كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به) ولسانه الذي ينطق به) ولا ينبغي أن يفهم من هذا سوى التجرد لله والإنقطاع إلى الله والأعراض عن غير الله وصفاء القلب لله وإخلاص الحركات لله كما قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن برضاه يرضى ويسخطه يسخط، ومن هذا عبر بعضهم عن الخلّة بقوله: قد تخللت مسلك الروح منى * وبذا سمى الخليل خليلا فإذا ما نطقت كنت حديثي * وإذا ما سكت كنت الغليلا فإذا مزبة الخلّة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا محمد صلى الله عليه

(قوله وقصاها) بضم القاف والقصر (قوله كنت الغليلا) في الصحاح الغلة حرارة العطش وكذلك الغليل يقول منه غل الرجل يغل غلا فهو مغلول على ما لم يسم فاعله (*)

[٢١٥]

وسلم بما دلت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الأمة وكفى بقوله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله) الآية، حكى أهل التفسير أن هذه الآية لما نزلت قال الكفار إنما يريد محمد أن نتخذة

حنانا كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم فأنزل الله غيظا لهم
ورغما على مقاتلهم هذه الآية (قل أطيعوا الله والرسول) فزاده شرفا
بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولى عنه بقوله
تعالى (فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين) * وقد نقل الإمام أبو بكر
بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة
يطول جملة إشاراته إلى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر
منه طرفا يهدى إلى ما بعده، فمن ذلك قولهم: الخليل يصل
بالواسطة من قوله (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض)
والحبيب يصل إليه به من قوله (فكان قاب قوسين أو أدنى) وقيل
الخليل الذي تكون مغفرته في حد الطمع من قوله (والذي أطمع أن
يغفر لي خطيئتي والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله
(ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) الآية والخليل قال (ولا
تخزني يوم يبعثون) والحبيب قيل له (يوم لا يخزي الله النبي)
فابتدئ بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في المحنة حسبي الله
والحبيب قيل له (يا أيها النبي حسبك الله) والخليل قال (واجعل لي
لسانه صدق في الآخرين) والحبيب قيل له (ورفعنا لك ذكرك) أعطى
بلا سؤال، والخليل قال

[٢١٦]

(واجنبي وبي أن نعبد الأصنام) والحبيب قيل له (إنما يريد الله
ليذهب عنكم الرجز أهل البيت) وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد
أصحاب المقال من تفضيل المقامات والأحوال و (كل يعمل على
شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) فصل في تفضيله صلى
الله عليه وسلم بالشفاعة والمقام محمود قال الله تعالى (عسى
أن يبعثك ربك مقاما محمودا) أخبرنا الشيخ أبو علي الغساني
الجبلي فيما كتب به إلى نحطه حدثنا سراج بن عبد الله القاضي
حدثنا أبو محمد الأصيلي حدثنا أبو زيد وأبو أحمد قالا حدثنا محمد بن
يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا إسماعيل بن أبان حدثنا أبو
الأحوص عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر يقول إن الناس
يصيرون يوم القيامة جثى كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا
يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه

(قوله على شاكلته) أي عادته أو جبلته التي طبع عليها (قوله أبو الأحوص) بالحاء
والصاد المهملتين (قوله جثى) يضم الجيم وفتح المثناة المخففة قال ابن الأثير الجنا
جمع جثوة بالضم وهو الشئ المجموع ومنه أن الناس يصيرون يوم القيامة جثى جمع
جثوة بالضم وهو الشئ المجموع ومنه أن الناس يصيرون يوم القيامة جثى وتروى هذه
اللفظة بتشديد المثناة جمع جاث وهو الذي يجلس على ركبتيه وفي الصحاح الجثوة
والجثوة والجثوة ثلاث لغات: الحجارة المجموعة وجثى الحرم بالضم وجثى الحرم
بالكسر أيضا ما اجتمع فيه من حجارة الحمام وجثا على ركبتيه يجثو ويجثى جثوا
وجثيا على فعول فيهما وقوم جثى أيضا مثل جلس جلوسا وقوم جلوس ومنه قوله
تعالى (ونذر الظالمين فيها جثيا) وجثيا أيضا بكسر الجيم إتباعا لما بعدها من الكسر
(*)

[٢١٧]

وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام محمود) وعن أبي هريرة سنل
عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى قوله (عسى أن يبعثك
ربك مقاما محمودا) فقال هي الشفاعة * وروى كعب بن مالك عنه
صلى الله عليه وسلم (يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي
علي تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله
أن أقول فذلك المقام محمود) * وعن ابن عمر رضى الله عنهما
وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى يأخذ بحلقه الجنة فيومئذ

بيعه الله المقام المحمود الذي وعده * وعن ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم أنه قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغطه فيه الأولون والآخرون، ونحوه عن كعب والحسن، وفي رواية هو المقام الذي أشفع لأمتي فيه * وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنى لقائم المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى على كرسيه) الحديث * وعن أبي موسى رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم (خيرت بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فأخترت الشفاعة لأنها أعم أئرونها للمتقين، ولكنها للمذنبين الخطائين) * وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قلت

(قوله أئرونها) بضم المثناة الفوقية وفتح الراء أي أئرونها (قوله للمتقين) بالمثناة الفوقية جمع متقى وفي بعض النسخ للمتقين بالنون والقاف قال الحافظ المزي روى ابن عرفة في جزئه هذا الحديث أئرونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين، وأما إذا لم يكن ذكر المتلوثين فيضبط بالوجهين، والمتلوثين بميم مضمومة ومثناة فوقية مفتوحة ومثلثة مكسورة، ولوث الماء: كدره (*)

[٢١٨]

يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة فقال (شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه) * وعن أم حبيبة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أريت ما تلقى أمتي من بعدى وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق للأمم قبلهم فسألت الله أن يؤتيني شفاعة يوم القيامة فيهم ففعل) * وقال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكونا لا تكلم نفس إلا بإذنه فينادى: محمد فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك والمهتدي من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك تبارك وتعاليت سبحانك رب البيت قال ذلك المقام المحمود الذي ذكر الله) * وقال ابن عباس رضي الله عنهما إذا دخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة فيبقى آخر زمرة من الجنة وآخر زمرة من النار فتقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم إيمانكم فيدعون ربهم

(قوله وينفذهم البصر) قال ابن الأثير قال أبو حاتم: أصحاب الحديث يروونه بالذال المعجمة، وإنما هو بالمهملة أي يبلغ أولهم وآخرهم البصر حتى يراهم كلهم ويستوعبهم، من نفذ الشيء وأنفذته (قوله فينادى) بفتح الدال ومحمد بلا تنويع على أنه منادى محذوف الأداة أو بالتنوين، على أنه قائم مقام الفاعل لينادي (قوله والشر ليس إليك) أي لا يتقرب به إليك أو لا يصعد إليك إنما يصعد إليك الكلم الطيب أو لا يضاف إليك أدبا وإن كنت موجدا له بالحقيقة إذ ليس الشر شرا بالنسبة إلى حكمتك فإنك لا توجد شيئا عبثا (قوله لا ملجأ) بهمزة في آخره والأجود تخفيفها لتناسب (منجا) فإنه مقصور (*)

[٢١٩]

ويضجون فيسمعهم أهل الجنة فيسألون آدم وغيره بعده في الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى يأتي محمد صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم فذلك المقام المحمود، ونحوه عن ابن مسعود أيضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد، يعني الذي بيعه الله فيه قال قلت نعم قال فإنه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار، وذكر حديث الشفاعة في إخراج

الجهنميين) وعن أنس نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذى وعده، وفى رواية أنس وأبى هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم فى حديث بعض قال صلى الله عليه وسلم (يجمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة فيهتمون - أو قال فيلهمون - فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا) ومن طريق آخر عنه ماج الناس بعضهم فى بعض، وعن أبى هريرة: وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم مالا يطيقون ولا يحتملون فيقولون ألا تنظرون من يشفع لكم فيأتون آدم فيقولون زاد بعضهم أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شئ اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله

(قوله ليزيد الفقير) هو ابن صهيب: كان يشكو فقار ظهره فقيل له الفقير (*)

[٢٢٠]

مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبدا شكورا ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما بلغنا ألا تشفع لنا إلى ربك فيقول إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي قال فى رواية أنس ويذكر خطيئته التى أصاب سؤاله ربه بغير علم وفى رواية أبى هريرة رضى الله عنه: وقد كانت لى دعوة دعوتها على قومي اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى إبراهيم فإنه خليل الله فيأتون إبراهيم فيقولون أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله ويذكر ثلاث كلمات كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله وفى رواية فإنه عبد آناه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا قال فيأتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التى أصاب وقتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فأوتى فأقول أنا لها فأنتلق فأستادن على ربي فتؤذن لى فإذا رأيته

(قوله عن الشجرة) قيل هي شجرة الكرم، وقيل السنبلية (قوله بلغنا) بفتح الغين المعجمة قال النووي وضبطه بعض المتأخرين بالفتح والإسكان ويدل للأول ألا ترون ما قد بلغكم، ولو كان بالإسكان لقال بلغتم. (*)

[٢٢١]

وقعت ساجدا وفى رواية فأتى تحت العرش فأخر ساجدا، وفى رواية فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليها إلا أنه يلهمنيها الله، وفى رواية فيفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلى، قال فى رواية أبى هريرة فيقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول يا رب أمتى يا رب أمتى فيقول أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ولم يذكر فى رواية أنس هذا الفصل وقال مكانه ثم أخر ساجدا فيقال لى يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فأقول يا رب أمتى أمتى فيقال انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من

برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه فأطلق فأفعل ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد وذكر مثل الأول وقال فيه مثقال حبة من خردل قال فأفعل ثم أرجع وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل فأفعل وذكر في المرة الرابعة فيقال لى ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فأقول يا رب ائذن لى فيمن قال لا إله إلا الله قال ليس ذلك إليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله، ومن رواية قتادة عنه قال فلا أدري في الثالثة أو الرابعة فأقول يا رب ما بقى في النار إلا من حبسه القرآن أي من وجب عليه

(قوله فأخر ساجدا) في مسند احمد أن كل سجدة: جمعة من جمع الدنيا (*)

[٢٢٢]

الخلود * وعن أبي بكر وعقبة بن عامر وأبي سعيد وحذيفة مثله قال فيأتون محمدا فيؤذن له وتأتى الأمانة والرحم فتقومان جنيتي الصراط، وذكر في رواية أبي مالك عن حذيفة فيأتون محمدا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون أولهم كالبرق ثم كالريح والطير شد الرجال ونببكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر آخرهم جوازا الحديث، وفي رواية أبي هريرة فأكون أول من يجيز، وعن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم (يوضع للأنبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا أجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد أن أصنع بأمتك فأقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا أزال أشفع حتى أعطى صكاكا برجال قد أمر بهم إلي النار حتى إن خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في أمتك من نقمة، ومن طريقي زياد النميري عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أنا أول من تنفلق الأرض عن جمجمته ولا فخر وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ومعنى لواء الحمد يوم القيامة وأنا أول من تفتح له الجنة ولا فخر فاتي فأخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا؟ فأقول محمد، فيفتح لى فيستقبلني الجبار تعالى فأخر ساجدا) وذكر

(قوله وشد الرجال) بالجيم هو الصحيح المعروف أي: حزمهم (قوله صكاكا) بكسر الصاد المهملة وتخفيف الكاف جمع صك بفتح الصاد وتشديد الكاف وهو الكتاب (*)

[٢٢٣]

نحو ما تقدم، ومن رواية أنيس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لأشفعن يوم القيامة لأكثر مما في الأرض من حجر وشجر) فقد اجتمع من اختلاف ألفاظ هذه الآثار أن شفاعته صلى الله عليه وسلم ومقامه المحمود من أول الشفاعات إلى آخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحاجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لإراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء في الحديث عن أبي هريرة وحذيفة وهذا الحديث أتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من أمته إلى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسبما تقتضيه الأحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا إله إلا الله وليس هذا لسواه

صلى الله عليه وسلم وفى الحديث المنتشر الصحيح (لكل نبي دعوة يدعو بها واختيات دعوتي شفاعاة لأمتى يوم القيامة) قال أهل العلم معناه دعوة أعلم أنها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم وإلا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم إجابة دعوة فيما شاؤهُ يدعون بها على يقين من الإجابة، وقد قال محمد بن زياد وأبو صالح عن أبي هريرة في هذا الحديث

(قوله ومن رواية أنيس) بالتصغير وهو أنصاري روى عنه شهر بن حوشب حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا أشفع - الحديث - ولم يرو عنه غيره، ذكر ذلك ابن عبد البر (*)

[٢٢٤]

(لكل نبي دعوة دعا بها في أمتة فاستجيب له وأنا أريد أن أؤخر دعوتي شفاعاة لأمتى يوم القيامة) وفى رواية أبي صالح (لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته) ونحوه في رواية أبي زرعة عن أبي هريرة وعن أنس مثل رواية ابن زياد عن أبي هريرة، فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالأمة مضمونة الإجابة وإلا فقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه سأل لأمتة أشياء من أمور الدين والدنيا أعطى بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم القافة وخاتمة المحن وعظيم السؤال والرغبة: جزاه الله أحسن ما جرى نبيا عن أمتة وصلى الله عليه وسلم كثيرا، فصل في تفضيله صلى الله عليه وسلم في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة حدثنا القاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد بقراءتي عليهما قالا حدثنا أبو على الغساني حدثنا النمري حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا أبو بكر التمار حدثنا أبو داود حدثنا محمد بن سلمة حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن أبي أيوب عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا

(قوله حيوة) بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية وفتح الواو (قوله عن كعب ابن علقمة) وفى بعض النسخ عن كعب عن علقمة وهو غير صواب. (*)

[٢٢٥]

على فإنه من صلى على مرة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله لى الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله لى الوسيلة حلت عليه الشفاعاة) * وفى حديث آخر عن أبي هريرة: الوسيلة أعلى درجة في الجنة * وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بيننا أنا أسير في الجنة إذ عرض لى نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذى أعطاه الله قال ثم ضرب بيده إلى طينته فاستخرج مسكا) وعن عائشة عبد الله بن عمرو مثله قال ومجره على الدر والياقوت وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج وفى رواية عنه فإذا هو يجرى ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه أمتى وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس. وعن ابن عباس أيضا قال الكوثر الخير الذى أعطاه الله إياه وقال سعيد بن جبير والنهر الذى فى

الجنة من الخير الذى أعطاه الله * وعن حذيفة فيما ذكر صلى الله عليه وسلم عن ربه (وأعطاني الكوثر نهرا من الجنة يسيل في حوضي) وعن ابن عباس في قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال ألف قصر من لؤلؤ تراهن المسك وفيه ما يصلحهن * وفى رواية أخرى وفيه ما ينبغي له من الأزواج والخدم. (فصل) فإن قلت إذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الأثر

(قوله حلت عليه) بتشديد اللام أي نزلت (قوله حافظاه) بتخفيف الفاء (قوله إلى طينه) بكسر الطاء المهملة وسكون المثناة التحتية بعدها نون وهاء للضمير (١٥ - ١) (*)

[٢٣٦]

وإجماع الأمة كونه أكرم البشر وأفضل الأنبياء فما معنى الأحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل كقوله فيما حدثناه الأسدي قال حدثنا السمرقندي حدثنا الفارسي حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا محمد بن مثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة سمعت أبا العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعنى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى) وفى غير هذا الطريق عن أبى هريرة قال يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما ينبغي لعبد - الحديث) وفى حديث أبى هريرة في اليهودي الذى قال والذى اصطفى موسى علي البشر فلطمه رجل من الأنصار وقال تقول ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الأنبياء وفي رواية لا تخيرونى على موسى فذكر الحديث وفيه ولا أقول إن أحدا أفضل من يونس بن متى * وعن أبى هريرة من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب * وعن ابن مسعود لا يقولن أحدكم أنا خير من يونس بن متى وفى حديثه الآخر فجاءه رجل فقال يا خير البرية فقال ذاك إبراهيم، فاعلم أن للعلماء في هذه الأحاديث تأويلات (أحدها) أن نهيه عن التفضيل كان قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل إذ يحتاج إلي توقيف وأن من فضل بلا علم فقد كذب وكذلك قوله لا أقول إن أحدا أفضل منه لا يقتضى تفضيله هو وإنما

[٢٣٧]

هو في الظاهر كف عن التفضيل (الوجه الثاني) أنه قاله صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفى التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض (الوجه الثالث) ألا يفضل بينهم تضيلا يؤدي إلى تنقص بعضهم أو الغضب منه لا سيما في جهة يونس عليه السلام إذ أخبر الله عنه بما أخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك غضاظة وانحطاط من رتبته الرفيعة إذ قال تعالى عنه (إذ أبق إلى الفلك المشحون - إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه) فربما يخيل لمن لا علم عنده حطيطته بذلك (الوجه رابع) منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فإن الأنبياء فيها على حد واحد إذ هي شئ واحد لا يتفاضل وإنما التفاضل في زيادة الأحوال والخصوص والكرامات والرتب والألطف وأما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وإنما التفاضل بأمور آخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم أولو عزم من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومنهم من أوتى الحكم صبا وأوتى بعضهم الزبور وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات قال الله تعالى (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) الآية وقال (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) الآية قال بعض أهل العلم والتفضيل المراد

لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة أحوال أن تكون آيته ومعجزاته أبهر وأشهر أو تكون أمته أزكى وأكثر أو يكون في ذاته أفضل وأظهر وفضله في ذاته راجع إلى ما خصه الله به من كرامته واختصاصه

[٢٢٨]

من كلام أو خلة أو رؤية أو ما شاء الله من ألطافه وتحف ولايته واختصاصه وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن للنبوة أثقالا وإن يونس تفسخ منها تفسخ الربيع فحفظ صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة من أوهام من يسبق إليه بسببها جرح في نبوته أو قدح في اصطفاؤه وخط في رتبته ووهن في عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم على أمته وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس وهو أن يكون (أنا) راجعا إلى الفائل نفسه أي لا يظن أحد وإن بلغ من الذكاء والعصمة والطهارة ما بلغ أنه خير من يونس لأجل ما حكى الله عنه فإن درجة النبوة أفضل وأعلى وإن تلك الأقدار لم تحطه عنها حية خردل ولا أدنى، وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا إن شاء الله تعالى فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض وبالله التوفيق وهو المستعان لا إله إلا هو. فصل في أسمائه صلى الله عليه وسلم وما تضمنته من فضيلته حدثنا أبو عمران موسى بن أبي تليد الفقيه قال حدثنا أبو عمر الحافظ حدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا محمد بن وضاح

(قوله تفسخ الربيع) بضم الراء وفتح الموحدة، في الصحاح: الربيع الفصيل ينتج في الربيع وهو أول النتاج والجمع رباع وأرباع مثل رطب ورطاب وأرطاب والأثنى ربعة والجمع ربعات فإذا نتج الفصيل آخر النتاج فهو هبع. (*)

[٢٢٩]

حدثنا يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لى خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله به الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب) وقد سماه الله تعالى في كتابه محمدا وأحمد فمن خصائصه تعالى له أن ضمن أسماءه ثناءه فطوى أثناء ذكره عظيم شكره فأما اسمه أحمد فأفعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعول مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم أجل من حمد وأفضل من حمد وأكثر الناس حمدا فهو أحمد المحمودين وأحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيامة وليتم له كمال الحمد ويتشهر في تلك العرصات بصفة الحمد، ويبعته ربه هناك مقاما محمودا كما وعده يحمده فيه الأولون والآخرين بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال صلى الله عليه وسلم ما لم يعط غيره ويسمى أمته في كتب أنبيائه بالحامدين فحقيق أن يسمى محمدا وأحمد ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع آياته فن آخر هو أن الله جل اسمه حمى أن يمسى بهما أحد قبل زمانه أما أحمد الذى أتى في

(قوله لى خمسة أسماء) في الأحوذى شرح الترمذى للقاضى أبى بكر بن العربي عن بعضهم إن لله ألف اسم، وللنبي صلى الله عليه وسلم ألف اسم (قوله والعاقب) في الصحاح: وفى الحديث السيد والعاقب، فالعاقب من يخلف السيد بعده وقول النبي صلى الله عليه وسلم أنا العاقب، يعنى آخر الأنبياء، وكل من خلف بعد شئ فهو عاقبه انتهى (قوله أجل من حمد) يفتح الخاء المهملة وكسر الميم (قوله وأفضل من حمد) بضم المهملة وكسر الميم. (*)

الكتب وبشرت به الأنبياء فمنع الله تعالى بحكمته أن يسمى به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك وكذلك محمد أيضا لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده أن نيبا يبعث اسمه محمد فسمي قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو والله أعلم حيث يجعل رسالته وهم محمد بن أحيدة بن الجلاح الأوسى ومحمد بن مسلمة الأنصاري ومحمد بن براء البكري ومحمد ابن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حرمان الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمى لا سابع لهم ويقال أول من سمى محمدا محمد بن سفيان واليمن تقول بل محمد بن اليحمد من الأزدي ثم حمى الله كل من تسمى به إن يدعى النبوة أو يدعيها أحد له أو يظهر عليه سبب يشكك أحدا في

(قوله ابن أحيدة) بضم الهمزة وفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية (قوله ابن الجلاح) بضم الجيم وتخفيف اللام. وفي آخره جاء مهملة، ذكره ابن عبد البر وأبو موسى في الصحابة، وأما محمد بن البراء فعدده أبو موسى أيضا في الصحابة ومحمد بن سفيان قال أبو نعيم وأبو موسى مختلف في صحبته ومحمد بن مسلمة شهد بدرا وغيرها، ومات بالمدينة، وفي سيرة مغلطاي وأيضا سمي محمد بن عدى بن ربيعة المقرئ ومحمد بن عثمان السعدي، قال وأظنهما واحدا، ومحمد الأسدي ومحمد الغنيمي ومحمد بن عثارة الليثي ومحمد بن حرمان العمري ومحمد بن خول الهمداني ومحمد بن يزيد بن ربيعة ومحمد بن أسامة بن مالك قال وفي محمد بن مسلمة الأنصاري نظر (قوله ابن اليحمد) هذا ليس قال المصنف لا سابع لهم، وقد ضبط ابن ماكولا وغيره نظير هذا الاسم وهو سعيد بن محمد بضم الياء وسكون المهملة وكسر الميم. (*)

أمره حتى تحققت السماتان له صلى الله عليه وسلم ولم يناع فيهما وأما قوله صلى الله عليه وسلم وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر ففسر في الحديث ويكون محو الكفر إما من مكة وبلاد العرب وما زوى له من الأرض ووعد أنه يبلغه ملك أمته أو يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى (ليظهره على الدين كله) وقد ورد تفسيره في الحديث أنه الذي محيت به سيئات من اتبعه وقوله وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي أي على زمني وعهدي أي ليس يعدى نبي كما قال (وخاتم النبيين) وسمى عاقبا لأنه عقب غيره من الأنبياء وفي الصحيح أما العاقب الذي ليس يعدى نبي وقيل معنى على قدمي أي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال تعالى (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) وقيل على قدمي على سابقتي قال الله تعالى (إن لهم قدم صدق عند ربهم) وقيل على قدمي أي قدامي وحولي أي يجتمعون إلى يوم القيامة وقيل قدمي على سنتي ومعنى قوله (لى خمسة أسماء) قيل إنها موجودة في الكتب المتقدمة وعند أولى العلم من الأمم السالفة، وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم: لى عشرة أسماء، وذكر منها: طه ويس، حكاه مكى وقد قيل في بعض تفاسير طه إنه يا طاهر يا هادي، وفي يس يا سيد، حكاه السلمى عن الواسطي وجعفر بن محمد، وذكر غيره، لى عشرة أسماء فذكر الخمسة التى في الحديث الأول، قال: وأنا رسول الرحمة ورسول

الراحة ورسول الملاحم وأنا المقفى قفيت النبيين وأنا قيم والقيم الجامع الكامل كذا وجدته ولم أروه وأرى أن صوابه قثم بالناء كما ذكرناه بعد عن الحربى وهو أشبه بالتفسير وقد وقع أيضا في كتب الأنبياء قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه وروى النقاش عنه صلى الله عليه وسلم: لى في القرآن سبعة أسماء: محمد وأحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله) وفى حديث عن جبير بن مطعم رضى الله عنه هي ست: محمد وأحمد وخاتم وعاقب وحاشر وماح، وفى حديث أبى موسى الأشعري أنه كان صلى الله عليه وسلم يسمى لنا نفسه أسماء فيقول (أنا محمد وأحمد والمقفى والحاشر ونبى التوبة ونبى الملحمة) ويروى المرحة والراحة وكل صحيح إن شاء الله ومعنى المقفى معنى العاقب وأما نبى الرحمة والتوبة والمرحة والراحة فقد قال الله تعالى (وأما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وكما وصفه بأنه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم وبالمؤمنين رؤف رحيم وقد قال في صفة أمته إنها أمة مرحومة وقد قال تعالى فيهم (وتواصوا بالصبر وتواصروا بالمرحمة) أي يرحم بعضهم بعضا فبعثه صلى الله عليه وسلم ربه تعالى رحمة لأمته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما ومستغفرا لهم وجعل وأمته أمة مرحومة

(قوله وأنا قيم) والقيم الجامع الكامل، قال ابن الأثير ومنه الحديث أتانى ملك فقال أنت قيم وخلقك قيم) أي مستقيم حسن (قوله ونبى الملحمة) هي موضع القتال (*)

[٢٢٣]

ووصفها بالرحمة وأمرها صلى الله عليه وسلم بالتراحم وأثنى عليه فقال إن الله يحب من عباده الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء وأما رواية نبى الملحمة فأشارة إلى ما بعث به من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة وروى حذيفة مثل حديث أبى موسى وفيه ونبى الرحمة ونبى التوبة ونبى الملاحم وروى الحربى في حديثه صلى الله عليه وسلم أنه قال أتانى ملك فقال لى أنت قثم أي مجتمع قال والفتوم الجامع للخير وهذا اسم هو فى أهل بيته صلى الله عليه وسلم معلوم وقد جاءت من ألقابه صلى الله عليه وسلم وسماته فى القرآن عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والخاتم النبيين والرؤف الرحيم والأمين وقدم الصدق ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم والنبى الأمي وداعي الله فى أوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منها فى كتب الله المتقدمة وكتب أنبيائه وأحاديث رسوله وإطلاق الأمة جملة شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وأبى القاسم والحبيب ورسول رب العالمين والشفيع المشفع والمتقى والمصلح والظاهر والمهيمن والصادق والمصدق والهادي وسيد ولد آدم وسيد المرسلين وإمام المتقين وفائد الغر المحجلين وحبيب الله و خليل الرحمن وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة

[٢٢٤]

وصاحب التاج والمعراج واللواء والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب وصاحب الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبراهان وصاحب الهراوة

والنعلين، ومن أسمائه في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة
والمقدس وروح القدس وروح الحق وهو معنى (البار قليط في
الإنجيل) وقال ثعلب البار قليط الذى يفرق بين الحق والباطل ومن
أسمائه في الكتب السالفة ما ذ ما ذ ومعناه طيب وطيب وجمطابا
والخاتم والحاتم. حكاه كعب الأحبار وقال ثعلب فالخاتم الذى ختم
الأنبياء والحاتم أحسن الأنبياء خلقا وخلقا. ويسمى بالسريانية
مشقح والمنحمن واسمه أيضا في التوراة أحيدي روى ذلك عن ابن
سيرين

(قوله وصاحب الهراوة) بكسر الهاء أي العصا قال ابن الأثير لأنه كان يمسك بيده
القضيب كثيرا وكان يمشى بالعصا بين يديه وتغرز له فيصلى إليها (قوله البار قليط)
بالموحدة والألف والراء المكسورة والقاف الساكنة واللام المكسورة والمثناة التحتية
الساكنة بعدها طاء مهملة قيل معناه الحامد وقيل الحماد وقيل الحمد وأكثر النصارى
على أن معناه المخلص (قوله ما ذ ما ذ) بميم فألف غير مهموزة فذال معجمة، وفي
طرة بعض النسخ إنه بميم مضمومة وإشمام الهمزة ضمة بين الواو والألف (قوله قال
جمطابا) بجيم مفتوحة وميم مشددة مفتوحة وطاء مهملة بعدها ألف فمثناة تحتية
فألف قال أبو عمرو سألت بعض من أسلم من اليهود عنه فقال معناه يحمى الحرم
ويمنع من الحرام ويوطئ الحلال (قوله والخاتم والحاتم) الأول بالخاء المعجمة، والثاني
بالمهملة (قوله مشقح) ضبط هذا الاسم بضم الميم وفتح الشين المعجمة والقاف
المشددة، وفي آخره مهملة (قوله والمنحمن) ضبط بضم الميم وسكون النون وفتح
الهاء المهملة وكسر الميم وبعدها نون مشددة مفتوحة وألف قال أبو الفتح اليعمرى
في سيرته هو محمد صلى الله عليه وسلم وكذا قال ابن إسحاق هو بالسريانية
محمد صلى الله عليه وسلم (قوله أحيدي) ضبط بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة
وفتح المثناة التحتية وكسرها وفي آخره دال مهملة (*)

[٢٣٥]

ومعنى صاحب القضيب أي السيف وقع ذلك مفسرا في الإنجيل قال
معه قضيب من حديد يقاتل به وأمثه كذلك وقد يحمل على أنه
القضيب الممشوق الذى كان يمسكه صلى الله عليه وسلم وهو
الآن عند الخلفاء وأما الهراوة التى وصف بها فهى في اللغة العصا
وأراها والله أعلم العصا المذكورة في حديث الحوض أذود الناس عنه
بعضاى لأهل اليمن * وأما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ إلا
للعرب والعمائم تيجان العرب وأوصفاه وألقابه وسماهه في الكتب
كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع إن شاء الله وكانت كنيته المشهورة أبا
القاسم * وروى عن أنس أنه لما ولد له إبراهيم جاءه جبريل فقال له
السلام عليك يا أبا إبراهيم. فصل في تشریف الله تعالى بما سماه
به من أسمائه الحسنی ووصفه به من صفاته العلى قال القاضى أبو
الفضل وفقه الله تعالى ما أحرى هذا الفصل بفصول الباب الأول
لانخراطه في سلك مضمونها وامتراجه بعذب معينها لكن

(قوله وأراها والله أعلم العصا المذكورة في حديث الحوض) قال النووي هذا ضعيف لأن
المراد تعريفه بصفة براها الناس معه يستدلون بها على صدقه وإنه الميشر به المذكور
في الكتب السالفة فلا يصح تفسيره بعضا تكون في الآخرة والصحيح أنه كان يمسك
القضيب بيده كثيرا وقيل لأنه كان يمشى والعصا بين يديه وتغرز له فيصلى إليها (قوله
لأهل اليمن) الذى في صحيح مسلم في المناقب لأهل اليمن وهى الجهة التى عن
يمين الكعبة ومعناه أذود الناس لأجل أهل اليمن حتى يتقدموا (*)

[٢٣٦]

لم يشرح الله الصدر للهداية إلى استنباطه ولا أثار الفكر لاستخراج
جوهره والتقاطه إلا عند الخوض في الفصل الذى قبله فرأينا أن
نضيفه إليه ونجمع به شمله فاعلم أن الله تعالى خص كثيرا من

الأنبياء بكرامة خلعها عليهم من أسمائه كتسمية إسحق وإسماعيل
بعليم وحليم وإبراهيم بحليم، ونوح بشكور، وعيسى ويحيى ببر
وموسى بكريم وقوى ويوسف بحفيظ عليم وأيوب بصابر وإسماعيل
بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم وفضل
نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بأن حلاه منها في كتابه العزيز
وعلى السنة أنبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد إعمال
الفكر وإحضار الذكر إذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من
تفرغ فيها لتأليف فصلين وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين
اسما ولعل الله تعالى كما ألهم إلى ما علم منها وحققه يتم النعمة
بإبانة ما لم يظهره لنا الآن ويفتح غلقه. فمن أسمائه تعالى الحميد
ومعناه المحمود لأنه حمد نفسه وحمده عباده ويكون أيضا بمعنى
الحامد لنفسه ولأعمال الطاعات وسمى النبي صلى الله عليه
وسلم محمدا وأحمد فمحمدا بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في زير
داود وأحمد بمعنى أكبر من حمد وأجل من حمد وقد أشار إلى نحو
هذا حسان بقوله: (قوله وموسى بكريم) في سورة الدخان (وقد
جاءهم رسول كريم) (قوله بأن حلاه) بفتح الحاء المهملة وتشديد
اللام (قوله غلقة) بفتح الغين المعجمة واللام ما ينغلق به (قوله
حسان) هو ابن ثابت الأنصاري عاش هو والثلاثة فوجه من آبائه كل
(*)

[٢٢٧]

وشق له من اسمه ليحمله * فذو العرش محمود وهذا محمد ومن
أسمائه تعالى الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه في كتابه
بذلك فقال (بالمؤمنين رؤف رحيم) ومن أسمائه تعالى الحق المبين
ومعنى الحق الموجود والمتحقق أمره وكذلك المبين أي البين أمره
والهيته بان وأبان بمعنى واحد ويكون بمعنى المبين لعباده أمر دينهم
ومعادهم وسمى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في كتابه فقال
(حتى جاءهم الحق ورسول مبين). وقال (وقل إني أنا النذير المبين)
وقال (قد جاءكم الحق من ربكم) وقال (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم)
قيل محمد وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وأمره
وهو بمعنى الأول والمبين البين أمره ورسالته أو المبين عن الله
تعالى ما بعثه به كما قال تعالى (لتبين للناس ما نزل إليهم). ومن
أسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور أي خالقه أو منور السموات
والأرض بالأنوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه نورا فقال (قد
جاءكم من الله نور وكتاب مبين) قيل محمد وقيل القرآن وقال فيه
(وسراجا منيرا) سمي بذلك لوضوح أمره

واحد مائة وعشرين سنة وعاش حسان ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في
الإسلام وقد شاركه في العيش ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام حكيم بن
حزام ولم يذكر ابن الصلاح غيرهما، وزيد عليه حويطب بن عبد العزى القرشى،
وسعيد بن يربوع القرشى وجمنن - بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وفتح النون
الأولى - بن عوف القرشى أخو عبد الرحمن بن عوف ومخرمة بن نوفل القرشى
الزهرى (قوله وشق له) بفتح الشين المعجمة. (*)

[٢٢٨]

وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به * ومن
أسمائه تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم
القيامة وسماه شهيدا وشاهدا فقال (إنا أرسلناك شاهدا) وقال
(ويكون الرسول عليكم شهيدا) وهو بمعنى الأول * ومن أسمائه
تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو قيل

العلی وفي الحديث المروی في أسمائه تعالی الأكرم وسماه تعالی کریمًا بقوله (إنه لقول رسول کریم) قيل محمد وقيل جبریل وقال صلی الله علیه وسلم (أنا أكرم ولد آدم) ومعانی الاسم صحیحة في حقه صلی الله علیه وسلم * ومن أسمائه تعالی العظیم ومعناه الجلیل الشأن الذی کل شیء دونه وقال في النبي صلی الله علیه وسلم (وإنک لعلی خلق عظیم) ووقع في أول سفر من التوراة عن إسماعیل وسیلد عظیمًا لأمة عظیمة فهو عظیم وعلی خلق عظیم) ومن أسمائه تعالی الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلی العظیم الشأن وقيل المتکبر وسمى النبي صلی الله علیه وسلم في کتاب داود بجبار فقال: تقلد أيها الجبار سيفک فإن ناموسک وشرائعک مقرونة بهیبة یمینک ومعناه في حق النبي صلی الله علیه وسلم إما لإصلاحه الأمة بالهدایة والتعليم أو لقهرة أعداءه أو لعلو منزلته علی البشر وعظیم خطره ونفی عنه تعالی في القرآن جبریة التکبر التي لا تلیق به فقال (وما أنت علیهم بجبار) ومن أسمائه تعالی الخبیر ومعناه المطلع یکنه الشئ العالم بحقیقته وقيل معناه المخبر وقال الله تعالی (الرحمن)

[٢٣٩]

فاسأل به خبیرًا) قال القاضی بکر بن العلاء المأمور بالسؤال غیر النبي صلی الله علیه وسلم والمسؤول الخبیر هو النبي صلی الله علیه وسلم والمسؤول هو الله تعالی فالنبي خبیر بالوجهین المذكورین قيل لأنه عالم علی غاية من العلم بما أعلمه الله من مکنون علمه وعظیم معرفته مخبر لأمته بما أذن له في إعلامهم به ومن أسمائه تعالی الفتح ومعناه الحاکم بین عباده أو فاتح أبواب الرزق والرحمة والمنغلق من أمورهم علیهم أو یفتح قلوبهم وبصائرهم بمعرفة الحق ویكون ایضا بمعنی الناصر کقوله تعالی (إن تستفتحوا فقد جاءکم الفتح) أي إن تستنصروا فقد جاءکم النصر وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر وسمى الله تعالی نبيه محمدا صلی الله علیه وسلم بالفتاح في حديث الإسراء الطویل من رواية الربیع بن أنس عن أبي العالیة و غیره عن أبي هريرة رضی الله عنه وفيه من قوله الله تعالی وجعلتک فاتحًا وخاتمًا وفيه من قول النبي صلی الله علیه وسلم في ثنائه علی ربه وتعدید مراتبه: ورفع لی ذکری وجعلني فاتحًا وخاتمًا، فيكون الفتح هنا بمعنی الحاکم أو الفاتح لأبواب الرحمة علی أمته والفتاح لبصائرهم بمعرفة الحق والإیمان بالله أو الناصر للحق أو المبتدئ بهدایة الأمة أو المبدئ المقدم في الأنبياء والخاتم لهم كما قال صلی الله علیه وسلم (كنت أول الأنبياء في الخلق)

[٢٤٠]

وأخبرهم في البعث. ومن أسمائه تعالی في الحديث الشکور ومعناه المشیب علی العمل القلیل وقيل المثنی علی المطيعین ووصف بذلك نبيه نوحًا علیه السلام فقال (إنه كان عبدا شکورا) وقد وصف النبي صلی الله علیه وسلم نفسه بذلك فقال أفلا أكون عبدا شکورا أي معترفًا بنعم ربي عارفًا بقدر ذلك مثنيًا علیه مجهدًا نفسي في الزيادة من ذلك لقوله (لئن شکرتم لأزيدنکم). ومن أسمائه تعالی العليم والعلام وعالم الغیب والشهادة. ووصف نبيه صلی الله علیه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه فقال (وعلمک ما لم تکن تعلم وكان فضل الله علیک عظیمًا) وقال (ويعلمکم الكتاب والحكمة ويعلمکم ما لم تكونوا تعلمون) ومن أسمائه تعالی الأول والآخِر ومعناه السابق للأشياء قبل وجودها والباقي بعد فناؤها وتحقیقه أنه ليس له أول ولا آخر وقال صلی الله علیه وسلم كنت أول الأنبياء في الخلق وأخبرهم

في البعث وفسر بهذا قوله تعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم وقد أشار إلى نحو منه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومنه قوله (نحن الآخرون السابقون) وقوله (أنا أول من تنشق الأرض عنه وأول من يدخل الجنة أول شافع وأول مشفع، وهو خاتم النبيين وآخر الرسل صلى الله عليه وسلم. ومن أسمائه تعالى القوى وذو القوة المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله تعالى بذلك فقال (ذى قوة عند ذى العرش مكين) قيل محمد وقيل جبريل. ومن أسمائه

[٢٤١]

تعالى الصادق في الحديث المأثور وورد في الحديث أيضا اسمه صلى الله عليه وسلم بالصادق المصدوق * ومن أسمائه تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر وقد قال الله تعالى (إنما وليكم الله ورسوله) وقال صلى الله عليه وسلم (أنا ولي كل مؤمن) وقال الله تعالى (النبي أولى بالمؤمنين) وقال صلى الله عليه وسلم (من كنت مولاه، فعلى مولاه، ومن أسمائه تعالى العفو ومعناه الصفوح وقد وصف الله تعالى بهذا نبيه في القرآن والتوراة وأمره بالعفو فقال (خذ العفو) وقال (فاعف عنهم واصفح) وقال له جبريل وقد سأله عن قوله (خذ العفو) قال أن تعفوا عن ظلمك وقال في التوراة والإنجيل في الحديث المشهور في صفته: ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح. ومن أسمائه تعالى الهادي وهو معنى توفيق الله لمن أراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى (والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) وأصل الجمع من الميل وقيل من التقديم وقيل في تفسير طه إنه يا طاهر يا هادي يعنى النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى له (وانك لتهدى إلى صراط مستقيم) وقال فيه (وداعيا إلى الله بإذنه) فالله تعالى مختص بالمعنى الأول، قال الله تعالى (إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) وبمعنى الدلالة يطلق على غيره تعالى ومن أسمائه تعالى المؤمن المهيم قيل هما بمعنى واحد فمعنى المؤمن في حقه تعالى المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده (١٦ - ١)

[٢٤٢]

المؤمنين ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل المؤمن عباده في الدنيا من ظلمه والمؤمنين في الآخرة من عذابه وقيل المهيم بمعنى الأمين مصغر منه فقلبت الهمزة هاء وقد قيل إن قولهم في الدعاء أمين إنه اسم من أسماء الله تعالى (ومعناه معنى المؤمن وقيل المهيم بمعنى الشاهد والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم أمين ومهيم ومؤمن وقد سماه الله تعالى أمينا فقال (مطاع ثم أمين) وكان صلى الله عليه وسلم يعرف بالأمين وشهر به قبل النبوة وبعدها وسماه العباس في شعره مهيمنا في قوله. ثم احتوى بيتك المهيم من * خندف علياء تحتها النطق قيل المراد يا أيها المهيم، قاله القتيبي والإمام أبو القاسم الفشيري وقال تعالى (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) أي يصدق وقال صلى الله عليه وسلم (أنا أمانة لأصحابي) فهذا بمعنى المؤمن. ومن أسمائه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقائص المطهر عن سمات الحدث وسمى بيت المقدس لأنه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادي المقدس وروح القدس ووقع في كتب الأنبياء في أسمائه صلى الله عليه وسلم المقدس أي

(قوله وقد قيل إن قولهم في الدعاء آمين إنه اسم من أسماء الله تعالى) قال النووي في التهذيب هذا لا يصح لأنه ليس في أسماء الله تعالى اسم مبنى ولا غير معرب وأيضا أسماء الله لا تثبت إلا بالقرآن أو السنة المتواترة وقد عدم الطريقان (قوله من خندق) بكسر الخاء المعجمة وقد تقدم (*)

[٢٤٣]

المطهر من الذنوب كما قال تعالى (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) أو الذي يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال تعالى (ويخرجهم) وقال (ويخرجهم من الظلمات إلى النور) أو يكون مقدسا بمعنى مطهرا من الأخلاق الذميمة والأوصاف الدنيئة. ومن أسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب أو الذي لا نظير له أو المعز لغيره وقال تعالى (ولله العزة ولرسوله) أي الامتناع وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والندارة فقال (يبشروهم ربهم برحمة منه ورضوان) وقال (إن الله يبشرك بيحيى * وبكلمة منه) وسماه الله تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا أي مبشرا لأهل طاعته ونذيرا لأهل معصيته ومن أسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم أيضا أنهما من أسماء محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وشرف وكرم. (فصل) قال القاضي أبو الفضل وفقه الله تعالى وها أنا أذكر نكتة أذيل بها هذا الفصل وأختم بها هذا القسم وأزيج الإشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوى التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو أن يعتقد أن الله تعالى جل اسمه

(قوله أذيل) بضم الهمزة وفتح الذال المعجمة وتشديد المثناة التحتية المكسورة (قوله وأزيج) بضم الهمزة وكسر الزاى وفى آخره جاء مهملة: أي أبعد (*)

[٢٤٤]

في عظمته وكبريائه وملكوته وحسني أسمائه وعلى صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به وأن ما جاء مما أطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي: إذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما أن ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين إذ صفاتهم لا تنفك عن الأعراض والأعراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته وأسمائه وكفى في هذا قوله (ليس كمثله شئ) والله در من قال من العلماء والعارفين المحققين: التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة عن الصفات، وزاد هذه النكتة الواسطي رحمه الله بيانا وهى مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة أن تكون لها صفة حديثة كما استحال أن تكون للذات المحدثه صفة قديمة وهذا كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة رضى الله عنهم وقد فسر الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله قوله هذا ليزيده بيانا فقال: هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد وكيف

(قوله وعلى صفاته) بضم العين المهملة وفتح اللام وفى بعض النسخ يفتح العين المهملة وكسر اللام وتشديد المثناة التحتية (قوله عن الأعراض والأعراض) كلاهما بالضاد المعجمة وأحدهما بالعين المعجمة والآخر بالمهملة (قوله والله در) في الصحاح الدر اللبن يقال في الذم لا در دره أي لا كثر خيره وفى المدح لله دره أي علمه (*)

[٢٤٥]

تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب أنس أو دفع نقص حصل ولا بخواطر وأغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه، وقال آخر من مشايخنا: ما توهمتموه بأوهامكم أو أدركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم، وقال الإمام أبو المعالي الجويني: من اطمأن إلى موجود انتهى إليه فكره فهو مشبه ومن اطمأن إلى النفي المحض فهو معطل وإن قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موجد، وما أحسن قول ذي النون المصري: حقيقة التوحيد أن تعلم أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج وعلّة كل شئ صنعه ولا علّة لصنعه وما تصور في وهمك فالله بخلافه، وهذا كلام عجيب نفيس محقق الفصل الآخر تفسير لقوله (ليس كمثله شئ) والثاني تفسير لقوله (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) والثالث تفسير لقوله (إنما قولنا لشئ إذا أردناه

(قوله ولا بخواطر وأغراض) بالعين المعجمة (قوله وقال أبو المعالي الجويني) هو إمام الحرمين عبد الملك النيسابوري جاور مكة والمدينة أربع سنين فلذا قيل له إمام الحرمين ثم عاد إلى نيسابور، توفى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة (قوله ذي النون المصري) هو الزاهد العارف اسمه يونان بن إبراهيم الإخميمي كان أبوه نونيا توفى سنة خمس وأربعين ومائتين (قوله والفصل الآخر) هو قوله وما يصور في وهمك والثاني قوله وعلّة كل شئ صنعه ولا علّة والثالث قوله أن يعلم أن قدر الله في الأشياء بلا علاج وصنعه بلا مزاج (*)

[٢٤٦]

أن نقول له كن فيكون) ثبتنا الله وإياك على التوحيد والإثبات والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته. الباب الرابع فصيما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات قال القاضي أبو الفضل: حسب المتأمل أن يحقق أن كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج إلى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل المطاعن إليها وتذكر شروط المعجز والتحدى وحده وفساد قول من أبطل نسخ الشرائع ورده، بل ألفناه لأهل ملته الملبين لدعوته المصدقين لنبوته ليكون تأكيدا في محبتهم له ومنمأة لأعمالهم ويزدادوا إيمانا مع إيمانهم، ونبينا أن ثبت في هذا الباب أمهات معجزاته ومشاهير آياته لتدل على عظيم قدره عند ربه وأتينا منها بالمحقق والصحيح الإسناد وأكثره مما بلغ القطع أو كاد وأضفنا إليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الأئمة، وإذا تأمل المتأمل

(قوله حوزتها) بفتح الحاء المهملة وسكون الواو بعدها زاي (قوله والتحدى) يفتح المثناة الفوقية وفتح الحاء وتشديد الدال المهملتين هو طلب المعارضة. (*)

[٢٤٧]

المنصف ما قدمناه من جميل أثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصاب مقله

لم يمتز في صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد في إسلامه والإيمان به فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما بأسانيدهم أن عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لأنظر إليه فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، حدثنا به القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله قال حدثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون عن أبي يعلى البغدادي عن أبي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن أبي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي عن زرارة ابن أوفى عن عبد الله بن سلام الحديث، وعن أبي رمثة التيمي: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعى ابن لى فأريته فلما رأيته قلت هذا نبي الله، وروى مسلم وغيره أن ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا

(قوله ابن أبي جميلة) بالجيم المفتوحة (قوله أبي رمثة) بكسر الراء وسكون الميم بعدها مثلثة، والرمث ضرب من النبات (قوله ضماد) بكسر الصاد المعجمة وتخفيف الميم وفي آخره دال مهملة هو ابن ثعلبة الأزدي أزد شنوءة كان صديقا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة، أسلم أول الإسلام وكان يتطيب ويرقى ويطلب العلم (قوله أن الحمد لله) بفتح الهمزة وكسر النون المخففة لا لبقاء الساكنين. (*)

[٢٤٨]

مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال له أعد على كلماتك هؤلاء فلقد بلغان قاموسي البحر هات يدك أبياعك) وقال جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق فأخبر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شئ تبعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فأخذ بخطامه وسار إلي المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندرى من هو ومعنا طعينة فقالت أنا ضامنة لثمن البعير رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فأصبحنا فجاء رجل بتمر فقال أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر وتكثروا حتى تستوفوا ففعلنا، وفي خبر الجندى ملك عمان لما بلغه أن رسول الله صلى الله

(قوله قاموس البحر) بالقاف والميم قال ابن فرقول عند السجزي قاموس البحر وعند العنزي قاموس البحر وذكره الهمداني قاموس البحر وهو الذي يعرفه أهل اللغة ورواه أبو داود قاموس أو قابوس على الشك في الميم والباء قال والمعول من هذا كله على قاموس أو قاموس وقال أبو عبيدة قاموس البحر وسطه وقال أبو الحسين بن سراج: قاموس البحر الصحيح كأنه من القمص وهو دخول الطهر وتعمقه أي إن كلماتك بلغت عمقه ولجته الداخلة (قوله هات) بكسر المثناة الفوقية (قوله طعينة) أي امرأة وأصله اليهود الذي يكون فيه المرأة ثم سميت به المرأة قيل ولا يقال للمرأة طعينة إلا إذا كانت راكبة (قوله لا يخيس) بالخاء المعجمة مضارع خاس أي غدر، ويقال أيضا يخوس (قوله الجندى) بضم الجيم وفتح اللام وسكون النون بعدها دال مهملة، في الصحاح جندى بضم الجيم مقصورا اسم ملك عمان بضم العين وتخفيف الميم، وفي القاموس وجندى بضم أوله اسم ملك عمان ووهم الجوهري فقصره. (*)

[٢٤٩]

عليه وسلم يدعوهُ إلى الإسلام قال الجندى والله لقد دنى على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول أخذ به ولا ينهى عن شئ إلا كان أول تارك له وأنه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي

بالعهد وينجز الموعد وأشهد أنه نبي وقال نطويه في قوله تعالى (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وإن لم يتل قرأنا كما قال ابن رواحة لو لم تكن فيه آيات مبينة * لكان منظره يبيئك بالخبر وقد آن أن نأخذ في ذكر النبوة والوحى والرسالة وبعده في معجزة القرآن وما فيه من برهان ودلالة. (فصل) اعلم أن الله جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته وأسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء دون واسطة لو شاء كما حكى عن سنته في بعض الأنبياء وذكر بعض أهل التفسير في قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا) وجائز أن يوصل إليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه وتكون تلك الوسطة إما من غرى البشر كالملائكة مع الأنبياء أو من جنسهم كالأنبياء مع الأمم ولا مانع لهذا من دليل العقل وإذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وحب تصديقهم في جميع ما أتوا به لأن المعجز مع التحدي من النبي صلى الله عليه وسلم

[٢٥٠]

قائم مقام قول الله صدق عبدى فأطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن أراد تتبعه وحده مستوفى في مصنفات أئمتنا رحمهم الله فالنبوة في لغة من همز مأخوذة من النبا وهو الخبر وقد لا يهمز على هذا التأويل تسهيلا والمعنى أن الله تعالى أطلعه على غيبه وأسلمه أنه نبيه فيكون نبي منبأ فعيل بمعنى مفعول أو يكون مخبرا عما بعثه الله تعالى به ومنبئا بما أطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمز من النبوة وهو ما ارتفع من الأرض معناه أن له رتبة شريفة ومكانه نبهة عند مولاه منيفة قالو صفان في حقه مؤتلفان وأما الرسول فهو المرسل ولم يأت فعول بمعنى مفعول في اللغة إلا نادرا وإرساله أمر الله له بالإبلاغ إلى من أرسله إليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جاء الناس أرسلالا إذا تبع بعضهم بعضا فكانه أزم تكرير التبليغ أو أزم الأمة اتباعه واختلف العلماء هل النبي والرسول بمعنى أو بمعنىين ف قيل هما سواء وأصله من الأنبياء وهو الإعلام واستدلوا بقوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) فقد أثبت لهما الإرسال معا، قال ولا يكون النبي إلا رسولا ولا الرسول إلا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه إذ قد اجتمعا في النبوة التى هي الإطلاع على الغيب والأعلام بخواص النبوة أو الرفعة لمعرفة ذلك وحوز درجتها واقترا في زيادة الرسالة للرسول وهو الأمر بالإنذار والإعلام

[٢٥١]

كما قلنا وحجتهم من الآية نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما أرسلنا من رسول إلى أمة أو نبي وليس بمرسل إلى أحد وقد ذهب بعضهم إلى أن الرسول من جاء بشرع مبتدئ ومن لم يأت به نبي غير رسول وإن أمر بالإبلاغ والإنذار والصحيح والذي عليه الجماعة الغفير أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا وأول الرسل آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وفى حديث أبى ذر رضى الله عنه أن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي وذكر أن رسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر أولهم آدم عليه السلام، فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل وأما

(قوله الجماء الغفير) في الصحاح قولهم جاؤا جما غفيرا والجماء الغفير وجماء الغفير بالمد في الجماء أي جاؤا بجماعتهم الشريفة والوضع ولم يتخلف أحد منهم وكان فيهم كثرة (قوله الكرامية) نسبة إلى محمد بن كرام يفتح الكاف وتشديد الراء كذا قيده ابن ماكولا والسمعاني وغير واحد وهو الجاري على الألسنة وأنكره محمد بن الهبضم وغيره من الكرامية وحكى فيه ابن الهبضم وجهين أحدهما التخفيف وفتح الكاف وذكر أنه المعروف في السنة مشايخهم وزعم أنه بمعنى كريم أو بمعنى كرامة والثاني التخفيف وكسر الكاف على لفظ جمع كريم وحكى هذا عن أهل سجستان قال ابن الصلاح ولا يعول على الأول وهو ما رواه السمعاني في الأنساب قال وكان والده يحفظ الكرم فقبل له كرام قال الذهبي وفيما قاله السمعاني نظر فإن كلمة كرام علم على والد محد سواء (*)

[٢٥٢]

الوحى فأصله الإسراع فلما كان النبي يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت أنواع الإلهامات وحيا تشبيها بالوحى إلى النبي وسمى الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه ووحى الحاجب واللفظ سرعة إشراتها ومنه قوله تعالى (فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا) أي أوما ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا أي السرعة والسرعة وقيل أصل الوحا السر والإخفاء ومنه سمي الألهام وحيا ومنه قوله تعالى (وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) أي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله (وأوحينا إلى أم موسى) أي ألقى في قلبها وقد قيل ذلك في قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا) أي ما يلقى في قلبه دون واسطة. (فصل) اعلم أن معنى تسميتنا ما جاءت به الأنبياء معجزة هو أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها وهى على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجزهم عنه فعل لله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمنى الموت وتعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن

عمل في الكرم أو لم يعمل، وأقول هذا لا يضر السمعاني لجواز أن يكون صار علما عليه بالغبلة لعمله في الكرم وهو صبي وهجر ما وضع علما عليه بعيد الولادة وكان ابن كرام سجن بنيسابور ثمانية أعوام لأجل بدعته ثم أخرج فسار إلى بيت المقدس ومات بالشام في صفر سنة خمس وخمسين ومائتين (قوله الوحا) يفتح الواو والحاء المهملة في الصحاح والوحا السرعة تمد وتقصر، ويقال الوحا الوحا بمعنى البدار (*)

[٢٥٢]

على رأى بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الإتيان بمثلها كإحياء الموتى وقلب العصا حية وإخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من الأصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن أن يفعله أحد إلا الله فيكون ذلك على يد النبي صلى الله عليه وسلم من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه أن يأتي بمثلها تعجز له. واعلم أن المعجزات التى ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا وهو أكثر الرسل معجزة وأبهرهم آية وأظهرهم برهانا كما سنبينه وهى في كثرتها لا يحيط بها ضبط فإن واحدا منها وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته بألف ولا ألفين ولا أكثر لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه فعجز عنها، قال أهل العلم وأقصر السور (إنا أعطيناك الكوثر) فكل آية أو آيات منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين قسم منها علم قطعا ونقل إلينا متواتر كالقرآن فلا مرية ولا خلاف بمجئ النبي به وظهوره من قبله واستدلالة بحجته وإن أنكر هذا معاند جاحد فهو كإنكاره وجود محمد صلى الله

عليه وسلم في الدنيا وإنما جاء اعتراض الجاحدين في الحجّة به فهو في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه إعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه، قال بعض أئمتنا (*)

[٢٥٤]

ويجرى هذا المجرى على الجملة أنه قد جرى على يديه صلى الله عليه وسلم آيات وخوارق عادات إن لم يبلغا واحد منها معينا القطع فيبلغها جميعها فلا مزية في جريان معانيها على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر أنه جرت على يديه عجائب وإنما خلاف المعاند في كونها من قبل الله وقد قدمنا كونها من قبل الله وأن ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا أيضا من نبينا ضرورة لا نفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنتره وحلم أحنف لإتفاق الأخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وإن كان كل خبر بنفسه لا يجب العلم ولا يقطع بصحته والقسم الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدّثين والرواة ونقله السير والإخبار كنيع الماء من بين الأصابع وتكثير الطعام ونوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهاه غيره لكنه إذا جمع إلى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الإتيان بالمعجز

(قوله حاتم) هو والد عدي بن حاتم هلك عن كفره وقدم ابنه عدي سنة تسع في شعبان وكان نصرانيا فأسلم (قوله عنتره) هو ابن معاوية بن شداد العيسى كان شديد السواد وأما زبيبة كانت أمه سوداء لأبيه، كان من أشهر فرسان العرب وأشدهم بأسا (قوله الأحنف) بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح النون بعدها فاء هو ابن قيس أبو بحر التميمي اسمه الضحك وقيل صخر، أسلم في زمنه عليه السلام ودعا له عليه السلام ولم تتفق له رواية (*)

[٢٥٥]

كما قدمناه قال القاضي أبو الفضل وأنا أقول صدعا بالحق إن كثيرا من هذه الآيات المأثورة عنه صلى الله عليه وسلم معلومة بالقطع أما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه وأخبر عن وجوده ولا يعدل عن ظاهر إلا بدليل وجاء برفع إحتماله صحيح الأخبار من طرق كثيرة ولا يوهن عزمنا خلاف أحرق منحل عرى الدين ولا يلتفت الى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء للمؤمنين بل نرغم بهذا أنفه ونثبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن الجماء الغفير عن العدد الكثير من الصحابة ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عن حدث بها من جملة الصحابة وأخبارهم أن ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك وأمثالها من

(قوله أحرق) بالخاء المعجمة ضد الرفيق (قوله سخافة) بفتح السين المهملة والخاء المعجمة المخففة، يقال سخف الرجال بالضم سخفا وسخافة أي رق عقله (قوله نرغم) بضم أوله يقال أرغم الله أنفه ألصقه بالرغام بفتح الراء وهو التراب (قوله العراء) بفتح العين المهمة وتخفيف الراء والمد هو الفضاء لاستر به (قوله سخفه) بضم السين المهملة (قوله في يوم الخندق) قال ابن اسحاق كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس وقال أبو سعيد في ذي القعدة وقال ابن عتبة سنة أربع (قوله بواط) بظم الموحدة وتخفيف الواو وفي آخره طاء مهملة جبل من جبال جهينة (قوله عمرة الحديبية) كانت في السنة السادسة سن الهجرة خرج لها رسول الله صلى الله عليه

وسلم في ذي القعدة وقال ابن سعد خرج إليها يوم الاثنين بهلال ذي القعدة (قوله وغزوة تبوك) كانت في السنة التاسعة (*)

[٢٥٦]

محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن أحد من الصحابة مخالفة للراوى فيما حكاه ولا إنكار عما ذكر عنهم أنهم رأوه، كما رواه فسكوت الساكت منهم كناطق، الناطق، إذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم لأنكروه كما أنكروا بعضهم على بعض أشياء رواها من السنن والسير وحروف القرآن وخطأ بعضهم بعضا ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه وأيضا فإن أمثال الأخبار التى لا أصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الأزمان وتداول الناس وأهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير من الأخبار الكاذبة والأراجيف الطارئة وأعلام نبينا صلى الله عليه وسلم هذه الواردة من طريق الأحاد لا تزداد مع مرور الزمان إلا ظهورا ومع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف أصلها وإجهاد الملحد على إطفاء نورها إلا قوة وقبولها ولا للطاعن عليها إلا حسرة وغليلا وكذلك إخباره عن الغيوب وإنباؤه بما يكون وكان، معلوم من آياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه وقد قال به من أئمتنا القاضى والأستاذ أبو بكر وغيرهما رحمهم الله وما عندي أوجب قول القائل.

(قوله يلحق) بفتح أوله (قوله وإخباره عن الغيوب) بكسر الهمزة (*)

[٢٥٧]

إن هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد إلا قلة مطالعته للأخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف وإلا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الأحاديث والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذى ذكرناه ولا يبعد أن يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر فإن أكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وأنها مدينة عظيمة ودار الإمامة والخلافة وأحد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من أصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه أن مذهبه إيجاب قراءة أم القرآن في الصلاة للمنفرد والإمام وإجزاء السية في أول ليلة من رمضان عما سواه وأن الشعافعى يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الرأس وأن مذهبهما القصاص في القتل بالمجدد وغيره وإيجاب النية في الوضوء واشتراط الولى في النكاح وأن أبا حنيفة يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى أقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلا عن سواه وعند ذكرنا أحاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بآنا إن شاء الله تعالى.

(قوله بغداد) يجوز في داليه الإعجام والإهمال، قال صاحب القاموس بغداد بمهلتين ومعجمتين وتقديم كل منهما وبغدان وبغدين ومغدان مدينة دار السلام وهى عمرت في زمن أبى جعفر المنصور العباسي أخى السفاح سنة خمس وأربعين ومائة وكانت قبل ذلك ميقلة وسبب تسميتها ببغداد أن كسرى أقطعها لخصى له وكان ذلك الخصى يعبد صنما في الشرق يقال له بعد فسمها ذلك الخصى ببغداد أي عطية ذلك الصنم (*)

فصل في إعجاز القرآن اعلم وفقنا الله وإياك أن كتاب الله العزيز منطوق على وجوه من الإعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أواعها في أربعة وجوه: أولها حسن تأليفه والتتام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته لخارفة عادة العرب وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الأمم وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت إنسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الألباب جعل الله لهم ذلك طبعاً وخلقه وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به إلى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللال فيخدعون الألباب ويذللون الصعاب ويذهبون الإحن ويهجون الدمن ويجرؤون الجبان ويسطون يد الجعد

(قوله ذرابة اللسان) بفتح الذال المعجمة والراء المخففة والباء الموحدة أي حذقه (قوله يقيد) بمثناة تحية مضمومة وقاف مفتوحة بعدها مثناة تحتية مشددة مكسورة (قوله ويدلون) بضم أوله وسكون ثانيه (قوله ويطوقون) بضم أوله وتشديد الواو المكسورة بعدها قاف (قوله من سمط) بكسر السين المهملة، في الصحاح: الخيط مادام فيه الخرف سمط وإلا فهو سلك (قوله الإحن) بكسر الهمزة وفتح المهملة جمع إحنة بكسر الهمزة وسكون المهملة وهى الحقد (قوله ويهجون) بضم أوله وفتح ثانيه وكسر ثالثه مشدد ويجوز فتح أوله وكسر ثانيه وسكون ثالثه يقال هاج الشيء وهاجه غيره وهيئته وهاجه (قوله والدمن) بكسر المهملة وفتح الميم جمع دمنة بكسرها وسكون الميم وهى الحقد (قوله الجعد البنان) الجعد بفتح الجيم وسكون العين (*)

البنان ويصيرون الناقص كاملاً ويتركون النبيه خاملاً منهم البدوى ذو اللفظ الجزل والقول المصل والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوى ومنهم الحصرى ذو البلاغة البارعة والألفاظ الناطعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدر الفالج والمهيع الناهج لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك فيأدهم قد حووا فنونها واستنبتوا عيوبها ودخلوا من كل باب من أبوابها وعلوا صرحاً لبلوغ أسبابها فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا في النظم والنثر

المهملة، في الصحاح يقال الكريم من الرجال جعد، فأما إذا قيل فلان جعد البيدين أو جعد الأنامل فهو البيخيل وربما لم يذكروا معه اليد، والبنان يفتح الموحدة وتخفيف النون أطراف الأصابع جمع بنانة (قوله النبيه) هو خلاف الخامل (قوله الجزل) بفتح الجيم وسكون الزاى خلاف الركيك (قوله والقول الفصل) بالصاد المهملة بمعنى المفصول أي الذى يتبينه من يخاطب به ولا يلتبس عليه أو بمعنى الفاصل أي الذى يفصل بين الحق والباطل والصواب والخطأ (قوله الناصعة) بالنون والصاد والعين المهملتين أي الخالصة (قوله والقدر الفالج) القدر بكسر القاف وسكون الدال بعدها حاء مهملة: السهم قيل أن يراش ويجعل فيه نصل والفالج بالفاء واللام المكسورة والجيم: الفائز - بالزاى (قوله المهيع) بفتح الميم وسكون الخاء وفتح المثناة التحتية: الطريق، والناهج - بالنون: السالك (قوله صرحاً) الصرح القصر وكل بناء عال (قوله في الغث) بفتح الغين المعجمة بعدها مثلثة مشددة أي المهزول (قوله في القل والكثر بضم أول كل منهما (قوله وتساجلوا) بالسين المهملة والجيم أي تفاخروا والمساجلة المفاخرة بأن يصنع مثل صنيعه في جرى أو سقى وأصله من السجل وهو الدلو، ومنه قولهم الحرب سجال، كذا في الصحاح (*)

فما راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أحكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر إيجازه وإعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوث كل البيان جوامعه وبدائعه واعتدل مع إيجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالاً وأشهر في الخطابة رجالاً وأكثر في السجع والشعر سجلاً وأوسع في الغريب واللغة مقالاً بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخاً بهم في كل حين ومقرعاً لهم بعضاً وعشرين عاماً على رأس الملا أجمعين (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين، وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) إلى قوله (ولن تفعلوا) و (قل لئن اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن) الآية و (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) وذلك أن المفترى

(قوله راعهم) أي أفرعهم (قوله وتبارت) بمثابة فوقية فموحدة، في الصحاح فلان يبارى فلان أي يعارضه (قوله في السجع) بالسین المهملة يحتمل أن تكون مصدرًا وهو توافق الألفاظ الواقعة في أواخر الفقر وأن يكون جمع سجة وهي الكلمة الأخيرة من الفقرة باعتبار كونها موافقة للكلمة الأخيرة من الفقرة الأخرى وهي في الأصل هدير الحمام ونحوها (قوله بضعا) بكسر الموحدة وفتحها (قوله المفترى) بفتح الراء والمختلق بفتح اللام (*)

أسهل ووضع الباطل والمختلق على الاختيار أقرب واللفظ إذا تبع المعنى الصحيح كان أصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد وللأول على الثاني فضل وبينهما شأو بعيد فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم أشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم ويشتم نظامهم ويذم آلهتهم وإياهم ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم وهم في كل هذا ناكسون عن معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون أنفسهم بالتشغيب بالتكذيب والإغراء بالافتراء وقولهم: إن هذا إلا قول البشر، إن هذا إلا سحر يؤثر، وسحر مستمر وإفك افتراه، وأساطير الأولين. والمباهنة والرضى بالدينونة كقولهم قلوبنا غلف، وفي أكة مما تدعونا إليه وفي آداننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب: ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون. والإدعاء مع العجز بقولهم (لو نشاء لقلنا مثل هذا) وقد قال لهم الله (ولن تفعلوا) فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عواراة لجميعهم وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم وإلا فلم يخف على أهل الميز منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين وأتوا مذعنين من بين مهتدي وبين مفتون

(قوله محجمون) بسكون المهملة وكسر الجيم أي متأخرون (قوله بالدينونة) بالهمزة وقد تسهل أي الخصلة الخبيثة يقال دنا دنوءا حيث فعله ولؤم قوله (قوله عواره) في الصحاح العوار العيب، يقال سلعة ذات عوار بفتح العين وقد تضم عند أبي زيد. انتهى وعن ديوان الأدب إن الضم أفصح (*)

ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) الآية قال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر، وذكر أبو عبيد أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ (فاصدع بما تؤمر) فسجد وقال سجدت لفصاحته، وسمع آخر رجلا يقرأ (فلما استتبسوا منه خلصوا نجيا فقال أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يوما نائما في المسجد فإذا هو بقائم على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخيره فأعلمه أنه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وأنه سمع رجلا من أسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فإذا قد جمع فيها ما أنزل الله على عيسى

(قوله الوليد بن المغيرة) وكذا رواه البيهقي في الشعب في حديث ابن عباس وذكره ابن اسحاق في السيرة وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب من غير إسناد والغزالي في الإحياء في أدب تلاوة القرآن أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث (قوله لطلاوة) بضم الطاء المهملة وفتحها أي لحسنا وقبولا (قوله وإن أسفله لمغدق) لفظ ابن اسحاق وإن أصله لعذق بفتح العين المهملة وسكون الذال المعجمة، والعذق النخلة يحملها ولفظ ابن هشام: لغدق بفتح الغين المعجمة وكسر الدال المهملة من الغدق وهو الماء الكثير قال السهيلي ورواية ابن اسحاق أفصح لأن بها آخر الكلام يشبه أوله (قوله وذكر أبو عبيد) هو الإمام الحافظ القاسم بن سلام بتشديد اللام البغدادي أخذ عن الشافعي الفقيه كان أبوه سلام عبدا روميا لرجل من أهل هراة روى عنه ابن أبي الدنيا وغيره. توفى سنة أربع وعشرين ومائتين (قوله من بطارقة) بفتح الموحدة جمع بطريق بكسرها قال ابن الجواليقي هو بلغه الروم القائد أي مقدم الجيوش وأميرها (*)

ابن مريم من أحوال الدنيا والآخرة وهى قوله (ومن يطع الله ورسوله ويحس الله ويتقاه) الآية، وحكى الأصمعي أنه سمع كلام جارية فقام لها: قاتلك الله ما أفصحك؟ فقالت أو يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) الآية فجمع في الآية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا نوع من إعجازه منفرد بذاته غير مضاف إلى غيره على التحقيق والصحيح من القولين وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وأنه أتى به معلوم ضرورة وكونه صلى الله عليه وسلم متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الإتيان به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجه البلاغة وسبيل من ليس من أهلها علم ذلك بعجز المنكرين من أهلها عن معارضته واعتراف المقرين بإعجاز بلاغته وأنت إذا تأملت قوله تعالى (ولكم في القصص حياة) وقوله (ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب) وقوله (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) وقوله: (وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي) الآية، وقوله (فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) الآية وأشباهاها من الآي بل أكثر القرآن حققت ما بينته من إعجاز

(قوله وحكى الأصمعي) هو عبد الملك بن قريب - بضم القاف وفتح الراء - ابن أصمعي ولد سنة ثلاث وعشرين ومائة وتوفى سنة ست وعشرة ومائتين (*)

ألفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها وأن تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جملة وعلوما زواجر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال وأخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لتأمله من ربط الكلام ببعضه ببعض والتتام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها ثم إذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسى في البيان صاحبها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معادة لمعادها. (فصل) الوجه الثاني من إعجازه صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع آية وانتهت فواصل كلمات إليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع أحد مماثلة شئ منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهمت دونه أحلامهم ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرا عليه القرآن رق فجاهه أبو جهل منكرا عليه قال والله ما منكم أحد أعلم بالأشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، وفي خبره الآخر حين جمع قريشا عند حضور

(قوله وتدلهمت) يفتح الدال المهملة واللام المشددة من التدلى، وهو ذهاب العقل من الهوى (*)

[٣٦٥]

الموسم وقال إن وفود العرب ترد فأجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفته ولا عقده قالوا: فما نقول قال ما أنتم بغائلين من هذا شيئا إلا وأنا أعرف أنه باطل وإن أقرب القول أنه ساحر فإنه سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء وأخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فأنزل الله تعالى في الوليد (ذرنى ومن خلقت وحيدا) الآيات وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن: يا قوم قد علمتم أنى لم أترك شيئا إلا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، وقال النضر بن الحارث نحوه وفي حديث إسلام أبي ذر

(قوله ما هو بزمزمته) الزمزمة صوت خفى لا يكاد يفهم (قوله ولا بخنقه) في الصحاح الخنق بكسر النون مصدر خنقه يخنقه وفي مطالع ابن قرقول أنه يفتح النون وإسكانها (قوله ولا نفته ولا عقده) كان الساحر يعقد خيطا ثم ينفث عليه (قوله ولا بالكهانة) الكاهن الذي يخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعى معرفه الأسرار ويزعم أن له تابعا من الجن وراميا يلقي إليه الأخبار وأما من يزعم أنه يعرف الأمور بأسباب يستدل بها من كلم من سأله أو فعله أو حاله مثل أن يدعى معرفة الشئ المسروق ومكان الصالة فهذا يخصونه باسم العراف (*)

[٣٦٦]

ووصف أخاه أنيسا فقال والله ما سمعت بأشعر من أخى أنيس لقد ناقض اثنى عشر شاعرا في الجاهلية أنا أحدهم وأنه انطلق إلى مكة وجاء إلى أبي ذر يخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على أقرء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان أحد بعدى أنه شعر وإنه لصادق وإنهم لكاذبون، والأخبار في هذا صحيحة كثيرة والإعجاز بكل واحد من النوعين الإعجاز والبلاغة بذاتها والأسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع إعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الإتيان بواحد منهما إذ كل واحد خارج عن قدرتها مابين لفصاحتها وكلامها، وإلى هذا ذهب غير واحد من أئمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم إلى أن الإعجاز في مجموع البلاغة والأسلوب وأتى على ذلك بقول تمجده الأسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تغنن في علوم البلاغة وأرهف خاطره ولسانه أدب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلنا وقد اختلف أئمة أهل السنة في وجه عجزهم عنه فأكثرهم يقول إنه مما جمع في قوة جزالته ونصاعة ألفاظه وحسن نظمه وإيجازه وبيدع تأليفهم وأسلوبه لا يصح أن يكون في

(قوله ناقض) بالصاد المعجمة على وزن فاعل من نقض البناء أي هدمه (قوله أقرء الشعر) بفتح الهمزة وسكون القاف والمد أي طرقه وأنواعه قاله الهروي (قوله وأرهف) أي رفق (*)

[٣٦٧]

مقدور البشر وأنه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق عليها كإحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصى وذهب الشيخ أبو الحسن إلى أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من أصحابه وعلى الطريقتين فعجز العرب عنه ثابت وإقامة الحجة عليهم بما يصح أن يكون في مقدور البشر وتحديةهم بأن أتوا بمثله قاطع وهو أبلغ في التعجيز وأحرى بالتنقيح والاحتاج بمجئ بشر مثلهم بشئ ليس من قدرة البشر لازم وهو أبهر آية وأقنع دلالة وعلى كل حال فما أتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كأسات الصغار والذل وكانوا من شموخ الأنف وإباءة الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه إلا اضطرارا وإلا فالمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل بها أهون عليهم وأسرع بالنجح وقطع العذر وإفحام الخصم لديهم وهم ممن لهم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به لجميع الأنام وما منهم إلا من جهد جهده واستنفذ ما عنده في إخفاء ظهوره وإطفاء نوره فما جلا في ذلك خبيثة من بنات شفاهم ولا أتوا بنطقة من معين مياهمم * (هامش) قوله على الجلاء) بفتح الجيم والمد: أي الخروج من البلد (قوله الأنف) بهمزة ونون مضمومتين جمع أنف بفتح الهمزة وسكون النون (قوله من قدرهم) بضم القاف وفتح الدال جمع قدرة (قوله بنطقة) بالطاء المهملة والفاء أي بشئ يسير (*)

[٣٦٨]

مع طول الأمد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ألبسوا فما نيسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان النوعان من إعجازه. (فصل) الوجه الثالث من الإعجاز ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذي أخبر كقوله تعالى (لتدخلن المسجد

الحرام إن شاء الله آمين) وقوله تعالى (وهم من بعد غلبهم سيغلبون) وقوله (ليظهره عليه الدين كله) وقوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض) الآية وقوله (إذا جاء نصر الله والفتح) إلى آخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين، ودخل الناس في الإسلام أفواجا فما مات صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الإسلام واستخلف الله المؤمنين في الأرض ومكن فيها دينهم ومملكهم إياها من أقصى المشار إلى أقصى المغرب كما قال صلى الله عليه وسلم ذويت لى الأرض فأريت مشارفها ومغاربها وسيلغ ملك أمتى ما روى لى منها وقوله (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) لكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعتلة لا سيما القرامطة فأجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا

(قوله نيسوا) بنون وموحدة مخففة ومشددة مفتوحتين وسين مهملة في الصحاح يا نيس بكلمة أي ما تكلم (قوله زويت) بالزاي المضمومة أي جمعت (قوله لقرامطة) هم أتباع حمدان القرمطي (قوله نيفا) النيف بفتح النون وسكون المثناة التحتية أو كسرها وتشديدها: الزيادة*)

[٢٦٩]

على خمسمائة عام فما قدروا على إطفاء شئ من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيبك المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله منه قوله (سيهزم الجمع، يولون الدين) وقوله (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) الآية وقوله (هو الذي أرسل رسوله بالهدى) الآية وقوله (لن يضروكم إلا أذى إن يقاتلوكم) الآية فكان كل ذلك وما فيه من كشف أسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله (ويقولون في أنفسهم لولا يعذبا الله مما نقول) وقوله (يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك) الآية وقوله (من الذين هادوا سماعون للكذب) الآية، وقوله (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه - إلى قوله - في الدين) وقد قال مبديا ما قدره الله واعتقده المؤمنون يوم بدر (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) ومنه قوله تعالى (إنا كفيناك المستهزئين) ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أصحابه بأن الله كفاه إياهم وكان المستهزؤون نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا، وقوله (والله يعصمك من الناس) فكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله والأخبار بذلك معروفة صحيحة. (فصل) الوجه الرابع ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الغد

(قوله إلا الغد) بفتح الفاء وتشديد الذال المعجمة. أي الفرد*)

[٢٧٠]

من أختيار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتى به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وأن مثله لم ينله بتعليم وقد علموا أنه صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة ولم يغيب عنهم ولا جهل حاله أحد منهم وقد كان أهل الكتاب كثيرا ما يسألونه صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو

عليهم منه ذكرا كقصص الأنبياء مع قومهم وخير موسى والخضر ويوسف وإخوته

(قوله ولا مثافنة) بالمثلثة والفاء والنون في الصحاح ثافتت فلانا جالسته ويقال اشتقاقه من الثفنة، واحدة ثفنت البعير وهو ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استنخ وعلط كالركبتين كأنك ألصقت ثفنة ركبتك بثفنة ركبتك (قوله الخضر) يفتح أوله وكسر ثانيه ويجوز كسر أوله وسكون ثانيه سمي خضرا لأنه جلس على فروة فإذا هي تهتز خلفه خضراء والفروة الحشيش اليابس وقيل لأنه إذا جلس اخضر ما حوله، واختلف هل كان وليا أو نبيا والقاتلون بأنه نبى اختلفوا هل كان رسولا أم لا قال الثعلبي نبى على جميع الأقوال معمر محجب عن الأبناء، قال ابن الصلاح وهو حى عند جماهير العلماء والصالحين والعامية وقال البخاري وطائفة منهم القاضي أبو بكر بن العربي إنه مات قبل انقضاء المائة لقوله صلى الله عليه وسلم أرايتكم ليلتكم هذه فإنه على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد والجواب أن هذا الحديث عام فيمن يشاهده الناس ويخالطونه لا فيمن ليس كذلك كالخضر بدليل أن الدجال خارج عن هذا الحديث لما روى مسلم من حديث الجساسة الدالة على وجود الدجال في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بقائه إلى زمن ظهوره مع أن مسلما روى عن ابن عمر أن المراد بقوله صلى الله عليه وسلم على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد انخرام ذلك القرن (*)

[٢٧١]

وأصحاب الكهف وذى القرنين ولقمان وابنه وأشباه ذلك من الأنبياء وبدء الخلق وما في التوراة والإنجيل والزيور وصحف إبراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل أذعنوا لذلك فمن موفق آمن بما سبق له من خير ومن شقى معاند حاسد ومع هذا لم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريرهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له صلى الله عليه وسلم وتعنيهم إياه عن أخبار أنبيائهم وأسرار علومهم ومستودعات سيرهم وإعلامه لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذى القرنين وأصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم إسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الأنعام ومن طبيبات كانت أحلت لهم فحرمت عليهم بغيرهم وقوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل وغير ذلك من أمورهم التى نزل فيها القرآن

(قوله وذى القرنين) روى الحاكم في المستدرک أنه عليه السلام سأل عن ذى القرنين فقال لا أدري هو نبى أم لا وقيل في قوله تعالى (وأتيناه من كل شئ سبيا) أي علما ينفعه في قوله تعالى (فأتبع سبيا) أي طريقة موصلة وقال ابن هشام في غير السيرة السبب حبل من نور كان ملك يمشى به بين يديه فيتبعه، وروى عن أبى الطفيل عامر بن وائلة) قال سأل ابن الكوا على بن أبى طالب فقال أرايت ذا القرنين أنبيا كان أم ملكا فقال: لأنبياء كان ولا ملكا ولكن كان عمدا صالحا دعا قومه إلى عبادة الله فضربوه على قرنى رأسه ضربتين وفيكم مثله يعنى نفسه انتهى وقيل كانت له ضفيران من شعر العرب فسمى الضفيرة من الشعر قرنا (*)

[٢٧٢]

فأجابهم وعرفهم بما أوحى إليه من ذلك أنه أنكر ذلك أو كذبه بل أكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف بعباده وحسده إياه كأهل بحران وابن سوريا وابنى أخطب وغيرهم ومن باهت في ذلك بعض المباهتة وادعى أن فيما عندهم من ذلك لما حكاها مخالفة دعى إلى إقامة حجته وكشف دعوته فقيل له (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) إلى قوله (الظالمون) ففرغ وونخ ودعا إلى إحظار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جرده ومتوافق يلقي على

فضيحتة من كتابه يده ولم يؤثر أن واحدا منهم أظهر خلاف قوله من كتبه ولا أبدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير) الآيتين. (فصل) هذه الوجوه الأربعة من إعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة في إعجازه من غير هذه الوجوه آى وردت بتعجيز قوم في قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود (قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة) الآية قال أبو إسحاق الزجاج في هذه الآية أعظم حجة وأظهر دلالة على صحة الرسالة لأنه قال لهم فتمنوا الموت وأعلمهم أنهم لن يتمنوه أبدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم

[٢٧٢]

والذى نفسي بيده لا يقولها رجل منهم إلا غص بريقه يعنى يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله وصحة ما أوحى إليه إذ لم يتمنه أحد منهم وكانوا على تكذيبه أحرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبيانت حجته: قال أبو محمد الأصيلي من أعجب أمرهم أنه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم أمر الله بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجب إليه وهذا موجود مشاهد لمن أراد أن يمتحنه منهم، وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه أساقفه نجران وأبوا الإسلام فأنزل الله تعالى عليه آية المباهلة بقوله (فمن حاجك فيه) الآية فامتنعوا منها ورضوا بأداء الجزية وذلك أن العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتهم أنه نبي وأنه مالا عن قوما نبي قط فيقى كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) إلى قوله (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا) فأخبرهم أنهم لا يفعلون كما كان وهذه الآية أدخل في باب الإخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التى قبلها. (فصل) ومنها الروعة التى تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه والهيبة التى تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وإنامة خطره وهى

(قوله إلا غص) بالغين المعجمة والصاد المهملة (قوله أساقفة نجران) الأساقفة جمع أسقف بضم الهمزة وتشديد الفاء وهو رئيس دين النصارى وقاضيه (قوله ونجران) بفتح النون وسكون الجيم منزل للنصارى بين مكة واليمن على سبع مراحل من مكة (١٨ - ١) (*)

[٢٧٤]

على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكرهتهم له ولهذا قال صلى الله عليه وسلم إن القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيئته إياه مع تلاوته تولىه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه وتصديقه به قال الله تعالى (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) وقال (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل) الآية ويدل على أن هذا شئ خص به أنه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روى عن نصراني أنه مر بقارئ فوقف بيكى فقيل له مم بكيك قال للشجا والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الإسلام وبعده فمنهم من أسلم لها لأول وهلة وأمن به ومنهم من كفر، فحكى في الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية (أم خلقوا من

غير شئ أم هم الخالقون) إلي قوله (المصيطرون) كاد قلبي أن يطير للإسلام، وفي رواية وذلك أول ما وقر الإسلام في قلبي، وعن عتبة بن ربيعة أنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليهم (حم) فصلت إلى قوله (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فأمسك عتبة بيده على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده

(قوله هشاشة) في الصحاح هي الارتياح والخفة للمعروف (قوله للشجا) يقال شجاه يشجوه إذا أحزنه، وفي المجمل شجاني أطر بنى (*)

[٢٧٥]

الرحم أن يكف وفي رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى انتهى إلى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدري بمراجعته ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمتني بكلام والله ما سمعت أذناني بمثله قط فما دريت ما أقول له، وقد حكى عن غير واحد ممن رام معارضته أنه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكى أن ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ (وقيل يا أرض ابلعي ماءك) فرجع فمحي ما عمل وقال أشهد أن هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان من أفصح أهل وقته وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ الأندلس في زمنه فحكى أنه رام شيئا من هذا فنظر في سورة الإخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني منه خشية ورفة حملتني على التوبة والإنابة. (فصل) ومن وجوه إعجازه المعدودة كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وقال (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) الآية وسائر معجزات الأنبياء انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق إلا

(قوله ابن المقفع) ضبطه ابن ماكولا بضم الميم وفتح القاف وتشديد الفاء بعدها مهملة ولم يتعرض لحركة الفاء (قوله الغزال) يفتح العين المعجمة والزاي مخففة (قوله الأندلس) المشهور فيه فتح الهمزة والبدال ويقال أيضا بضمها (*)

[٢٧٦]

خبرها والقرآن العزيز الباهرة آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة لأول نزوله إلى وقتنا هذا حجته القاهرة ومعارضته ممتنعة الأعصار كلها طافحة بأهل البيان وحملة علم اللسان وأئمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي للشرح عتيد فما منهم من أتى بشئ يوتر في معارضته ولا ألف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك إلا بزند شحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك إلقاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه (فصل) وقد عد جماعة من الأئمة ومقلدي الأمة في إعجازه وجوها كثيرة منها أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الإكباب على تلاوته يزيد حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع التريديد ويعادي إذا أعيد وكتابتنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته في

الأزمات وسواء من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى أحدث أصحابها لها
لحونا وطرقا

(قوله إلا بزند) بفتح الزاي وسكون النون، في الصحاح وهو موصل طرف الذراع في الكف وهما زندان الكوع والكرسوع، والزند أيضا العود الذي يقدح به النار وهو الأعلى والزندة السفلى فيها ثقب وهي الأنتى انتهى (قوله في الأزمات) الأزمة بفتح الهمزة وسكون الزاي: الشدة (*)

[٢٧٧]

يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفني عجائبه، هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا (إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشيد) ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقلية والرد على فرق الأمم ببراهين قوية وأدلة بينة سهلة الألفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدرُوا عليها كقوله تعالى (أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم؟ بلى) و (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة) و (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) إلى ما حواه من علوم السير وأنباء الأمم والمواعظ والحكم وأخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم قال الله جل اسمه (ما فرطنا في الكتاب من شيء) (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء)، (ولقد

(قوله لا يخلق) بفتح أوله وضم ثالثة أو بضم أوله وكسر ثالثة، في الصحاح خلق الثوب بالضم خلوقه أي بلى وأخلق الثوب مثله وأخلقته أنا يتعدى ولا يتعدى (قوله المتحذلقون) بالحاء المهملة يقال حذلق الرجل وتحذلق إذا أظهر الحذلق وادعى أكثر مما عنده. (*)

[٢٧٨]

ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) وقال صلى الله عليه وسلم: إن الله أنزل هذا القرآن أمرا وراجرا وسنة خالية ومثلا مضروية فيه نبؤكم وخبر ما كان قبلكم ونبا ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه، هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به أقسط ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدى إلى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله، هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه، لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعيب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد، ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان، فيه نبا الأولين والآخرين، وفي الحديث قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم (إني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها أعينا عميا وأذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب)

(قوله فلج) بفتح الفاء واللام وبعدهما جيم، في الصحاح الفلج الظفر والفوز (قوله أقسط) أي عدل وأما قسط فمعناه جار وحكى يعقوب في كتاب الأضداد أنه يأتي أيضا بمعنى عدل (قوله وحيل الله المتين) من المتانة وهي القوة وقال ابن الأثير حيل الله نور هداه وقيل عهده وأمانه الذي يؤمن من العذاب والحيل العهد والميثاق انتهى (قوله ولا يتشأن) بتشين معجمة وفي آخره نون مخفف من التشأن بفتح النون وإسكانها مهموز وهو البغض: شأنه أبغضه، قال الهروي وابن الأثير وفي حديث ابن مسعود في صفة القرآن ولا يتشأن معناه لا مخلق على كثرة الرد، مأخوذ من الشن (*)

[٢٧٩]

وعن كعب (عليكم بالقرآن فإنه فهم العقول ونور الحكمة) وقال تعالى (إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون) وقال (هذا بيان للناس وهدى) الآية، فجمع فيه مع وجازة ألفاظه وجوامع كلمه أضعاف ما في الكتب قبله التي ألفاظها علي الضعف منه مرات * ومنها جمعه فيه بين الدليل ومدلوله وذلك أنه احتج بنظم القرآن وحسن وصفه وإيجازه وبلاغته وأثناء هذه البلاغة أمره ونهيه ووعدته ووعيده فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة * ومنها أن جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المتنور لأن المنظوم أسهل على النفوس وأوعى للقلوب وأسمع في الأذان وأحلى على الأفهام فالتالي إليه أمل والأهواء إليه أسرع * ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر) وسائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجماء على مرور السنين عليهم والقرآن ميسر حفظه للغلمان في أقرب مدة * ومنها مشاكلة بعض أجزائه بعضا وحسن ائتلاف أنواعها والتهيأ أقسامها وحسن التخلص من قصة إلى أخرى والخروج من باب إلى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة إلى أمر ونهى وخبر واستخبار ووعد ووعيد وإثبات نبوة وتوحيد وتفريد وترغيب وترهيب إلى غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فسوله، والكلام الفصيح إذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته

[٢٨٠]

ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقت ألفاظه: فتأمل أول (ص) وما جمع فيها من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم بإهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتعجبهم مما أتى به والخير، عن اجتماع ملئهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة وتكذيب الأمم قبلهم وإهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على أذاهم وتسلية بكل ما تقدم ذكره ثم أخذ في ذكر داود وقصص الأنبياء، كل هذا في أوجز كلام وأحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا أنه ذكر في أعجاز القرآن إلى وجوه كثيرة ذكرها الأئمة لم نذكرها إذ أكثرها داخل في باب بلاغته فلا. نحب أن يعد فنا منفردا في إعجازه إلا في باب تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله لا في إعجازه، وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي والله ولي التوفيق فصل انشقاق القمر وحبس الشمس قال الله تعالى (أفترت الساعة وانشق القمر، وإن يروا آية يعرضوا

[٢٨١]

ويقولوا سحر مستمر) أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي وإعراض الكفرة عن آياته وأجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه: أخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه حدثنا القاضي سراج بن عبد الله حدثنا الأصيلي حدثنا المرزوق حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود رضى الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا، وفى رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وفى بعض طرق الأعمش بمنى ورواه أيضا عن ابن مسعود الأسود وقال حتى رأيت الجبل بين فرجتى القمر ورواه عنه مسروق أنه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن أبى كبشة فقال رجل منهم إن محمدا إن كان سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا فأتوا فسألوهم

(قوله مسدد) قال ابن الجوزى هو ابن مسرهد بن مسرهل بن مغربل بن مرعبل بن أرندل ابن سرندل بن عزندل بن ماسك بن المستورة الأسدي (قوله عن أبى معمر) بفتح الميم وسكون العين المهملة عبد الله بن سخرية بفتح السين المهملة وسكون الخاء المعجمة (قوله فرجتى القمر) يقال بينهما فرجة بضم الفاء أي انفراج وأما بفتح الفاء فالتفصى عن الهم (قوله عن ابن أبى كبشة) قيل أبو كبشة رجل تاله فديما وفارق دين الجاهلية وعبد الشعري فنشبهت المشركون النبي صلى الله عليه وسلم به وقيل كانت له عليه السلام أخت من الرضاعة تسمى كبشة وكان أبوه من الرضاعة يكنى بها وقيل كان (*)

[٢٨٢]

فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك وحكى السمرقندى عن الضحاك نحوه وقال فقال أبو جهل هذا سحر فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى تنظروا رأوا ذلك أم لا فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقا فقالوا يعنى الكافر هذا سحر مستمر ورواه أيضا عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء الأربعة عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم أنس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلى وجبير بن مطعم فقال على من رواية أبى حذيفة الأرحبى انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم * وعن أنس سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين حتى رأوا حراء بينهما، وراه عن أنس فتادة * وفى رواية معمر وغيره عن فتادة عنه أراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت (اقتربت الساعة وانشق القمر) ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة أبو عبد

في أجداده لأنه من يكنى بذلك (قوله الأرحبى) بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الحاء المهملة بعدها باء موحدة وباء للنسبة إلى قبيلة من همدان، وقيل إلى مكان (قوله حراء) بكسر المهملة تمد وتقص وتذكر وتأنث جبل على ثلاثة أميال من مكة (قوله مرتين) قال ابن قيم الجوزية في كتابه إغاثة اللهفان أن المرات مراد بها الأفعال تارة والأعيان أخرى وأكثر ما يستعمل في الأفعال، وأما الأعيان فكما جاء في الحديث انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين أي فلقنتين ولما خفى هذا على من لم يحط به علما زعم أن الانشقاق وقع مرة بعد مرة في زمانين ولم يقع (*)

[٢٨٣]

الرحمن السلمى ومسلم بن أبى عمران الأزدي وأكثر طرق هذه الأحاديث صحيحة والآية مصرحة ولا يلتفت إلى اعتراض مخذول بأنه لو كان هذا لم يخف على أهل الأرض إذ هو شئ ظاهر لجميعهم إذ لم ينقل لنا عن أهل الأرض رصده تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل إلينا عن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة إذ ليس القمر في حد واحد لجميع أهل الأرض فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على الآخرين وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابلهم من أقطار الأرض أو يحول بين قوم وبينه سحاب أو جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفى بعضها جزئية وفى بعضها كلية وفى بعضها لا يعرفها إلا المدعون لعلمها، ذلك تقدير العزيز العليم، وآية القمر كانت ليلا والعادة من الناس بالليل الهدو والسكون وإيجاف الأبواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من أمور السماء شيئا إلا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد وأكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من أنوار ونجوم طوالع عظام تظهر في الأحيان بالليل في السماء ولا علم عند أحد منها * وخرج الطحاوي في

الانشقاق إلا مرة واحدة (قوله وإيجاف) بكسر الهمزة وسكون المثناة التحتية وتخفيف الجيم مصدر أوجف أو أعلق (قوله واهتبل) بمثناة فوقية مفتوحة (*)

[٢٨٤]

مشكل الحديث عن أسماء بنت عميس من طريقين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى إليه ورأسه في حجر على فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصليت يا على قال لا فقال اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والأرض وذلك بالصهباء في خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان ورواهما ثقات * وحكى الطحاوي أن أحمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء لأنه من علامات النبوة * وروى يونس بن بكير في زيادة المغازى روايته عن ابن إسحق لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجئ قال يوم الأربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرفت

بعدها موحدة مفتوحة أي تخيل (قوله عن أسماء بنت عميس) بضم العين المهملة وفى آخره سين مهملة قال ابن الجوزي في الموضوعات حديث رد الشمس في قصة على موضوع بلا شك (قوله بالصهباء) ممدودة موضع على مرحلة من خير (قوله في العير) بكسر العين المهملة هي القافلة من الإبل والدواب تحمل الطعام وغيره من التجارات ولا يسمى عيرا إلا إذا كانت كذلك (قوله يوم الأربعاء) بتثنية الموحدة والأجود كسرهما كذا في المحكم وقد حبست الشمس ليوشع وللنبي صلى الله عليه وسلم في صبيحة ليلة الإسراء وفى يوم من أيام الخندق كما ذكره المصنف في غير الشفاء وفى قصة على في حديث أسماء وحبست لداود كما ذكره الخطيب في كتاب النجوم، وضعف رواية ثقله عنه مغلطى في سيرته وحبست لسلمان كما ذكره البغوي في سورة ص (*)

[٢٨٥]

قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وفحبست عليه الشمس.

فصل في نبع الماء من بين أصابعه وتكثير بركته أما الأحاديث في هذا فكثيرة جدا روى حديث نبع الماء من أصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه حدثنا القاضي عيسى بن سهل حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد حدثنا أبو عمر ابن الفخار حدثنا أبو عيسى حدثنا يحيى حدثنا مالك عن إسحاق بن عبد الله ابن أبي طلحة عن أنس بن مالك رضى الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الإناء يده وأمر الناس أن يتوضؤا منه قال فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا من عند آخرهم، ورواه أيضا عن أنس فتادة وقال بإناء فيه ماء يغمر أصابعه أو لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلاثمائة وفى رواية عنه وهم بالزوراء

(قوله ثنا أبو عيسى ثنا يحيى) الصواب حدثنا أبو عيسى ثنا أبو عبيد الله بن يحيى عن أبيه يحيى لأن أبا عيسى إنما يروى عن عبيد الله بن يحيى عن أبيه (قوله بوضوء) بفتح الواو وقد تضم (قوله ينبع) بتثنية الموحدة (قوله زهاء) بضم الزاي والمد أي قدر (قوله بالزوراء) بالفتح والمد مكان قريب من المسجد قال الداودى مرتفع كالمنار (*)

[٢٨٦]

عند السوق ورواه أيضا حميد وثابت والحسن عن أنس وفى رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين رجلا ونحوه عن ثابت عنه وعنه أيضا وهم نحو من سبعين رجلا * وأما ابن مسعود ففى الصحيح من رواية علقمة عنه بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس. معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلبوا من معه فضل ماء فأتى بماء فصبه في إناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفى الصحيح عن سالم بن أبي الجعد عن جابر رضى الله عنه عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء إلا ما في ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفر من بين أصابعه كأمثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا: كنا خمس عشرة مائة، وروى مثله عن أنس عن جابر وفيه أنه كان بالحديبية * وفى رواية الوليد بن عباد بن الصامت عنه فى حديث مسلم الطويل فى ذكر غزوة بواط قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وأنه لم يجد إلا قطرة فى عزلاء شجب

(قوله فى عزلاء شجب) العزلاء بفتح العين المهملة وسكون الزاي والمد فم المزايدة الأسفل والجمع عزاي بكسر اللام وفتحها، والشجب بفتح الشين المعجمة وسكون الجيم وفى آخره موحدة: ما قدم من القرب مثل الشن (*)

[٢٨٧]

فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشئ لا أدري ما هو وقال ناد بجفنة الركب فأتيت فوضعتها بين يديه وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده فى الجفنة وفرق أصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله قال فرأيت الماء يفر من بين أصابعه ثم فازته

الجفنة واستدارت حتى امتلأت وأمر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رويوا فقلت هل بقي أحد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهى مملوءة * وعن الشعبي أتى النبي صلى الله عليه وسلم في أسفاره بإداوة ماء وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها فسكبها في ركوة ووضع إصبعه وسطها وغمسها في الماء وجعل الناس يجيئون ويتوضؤون ثم يقومون، قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا في هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة إلى المحدث به لأنهم كانوا أسرع شئ إلى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولأنهم كانوا ممن لا يسكت على باطل، فهؤلاء قد رويوا هذا وأشاعوه ونسبوا حضور الجماء الغفير له ولم ينكر أحد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم أنهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له (فصل) ومما يشبه هذا من معجزاته تفجير الماء ببركته وابتعائه بمسه ودعوته * فيما روى مالك في الموطأ عن معاذ بن جبل في قصة غزوة

(قوله ثم فارت الجفنة واستدارت) في صحيح مسلم ثم قارب الجفنة ودارت (قوله بإداوة) بكسر الهمزة وتخفيف الدال المهملة أي مطهرة (*)

[٢٨٨]

تبوك وأنهم وردوا العين وهى تبض بشئ من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع في شئ ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه وأعادها فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال في حديث ابن اسحاق فانخرق من الماء ماله حس كحس الصواعق ثم قال: يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هنا قد ملئ جنانا * وفي حديث البراء وسلمة بن الأكوع وحديثه أتم في قصة الحديبية وهم أربع عشرة مائة وبئرها لا تروى خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها فطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها قال البراء وأتى بدلوا منا فبصق فدعا وقال سلمة فإما دعا وإما بصق فيها فجاشت فأرووا أنفسهم وركابهم وفي غير هاتين الروايتين في هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية فأخرج سهما من كنانته فوضعه في قعر قليب ليس فيه ماء فروى الناس حتى ضربوا بعطن * وعن أبى قتادة وذكر أن الناس شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه

(قوله تبض) من البصيص بالصاد المهملة وهو البريق واللمعان وبالضاد المعجمة القطر والسيلان القليل (قوله خمسين شاة) قال المزى المعروف عند أهل الحديث خمسين أشاة والأشاة النخلة الصغيرة (قوله على جباها) بفتح الجيم وتخفيف الموحدة والقصر أي ما حول فمها (قوله فجاشت) بالجيم والشين المعجمة أي فارت وارتفعت (قوله حتى ضربوا بعطن) أي رويوا ورويت إبلهم حتى بركت لأن عطن الأبل مباركها وذلك حول الماء حتى تعاد إلى الشرب (*)

[٢٨٩]

وسلم العطش في بعض أسفاره فدعا بالمياضة فجعلها في ضبته ثم التقم فمها فالله أعلم نعت فيها أمر لا فشرب الناس حتى رويوا وملوا كل إناء معهم فخيّل إلى أنها كما أخذها منى وكانوا اثنين وسبعين رجلا، وروي مثله عمران بن حصين وذكر الطبري حديث أبى قتادة على غير ما ذكره أهل الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم ممدا لأهل مؤتة عند ما بلغه قتل الأمراء وذكر حديثا طويلا فيه معجزات وآيات للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه إعلامهم أنهم

يفقدون الماء في غد وذكر حديث الميضأة قال والقوم زهاء ثلثمائة وفى كتاب مسلم أنه قال لأبى قتادة احفظ على ميضأتك فإنه سيكون لها نيا وذكر نحوه ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين أصاب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عطش في بعض أسفارهم فوجه رجلين من أصحابه وأعلمها أنهما يجدان امرأة بمكان كذا معها بغير عليه مزادتان الحديث فوجداهما وأتياها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في إناء من مزادتيها

(قوله بالميضأة) بكسر الميم وسكون المثناة التحتية وفتح الضاد المعجمة وهمزة: هي آلة الوضوء (قوله ضينه) بكسر الضاد المعجمة وسكون الموحدة بعدها نون فهاء للضمير، والضمين ما بين الكشع إلى الإبط قاله الخطابي في غريب الحديث (قوله نفث) أي نفخ لا ريق معه (قوله لأهل مؤتة) بضم الميم وسكون الهمزة وقد تبدل واو (قوله والقوم زهاء) قال المزى: الوجه نصب زهاء ولكن أهل الحديث يرفعونه (قوله وجه رجلين) هما عمير بن حصين وعلى بن أبى طالب (قوله مزادتان) المزادة بفتح الميم وتخفيف الزاى أكبر من القرية قال ابن قرقول وقيل ما زيد فيه جلد ثالث بين جلدتين لتبيح (١٩ - ١) (*)

[٢٩٠]

وقال فيه ما شاء الله أن يقول ثم أعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما وأمر الناس فملؤا أسفيتهم حتى لم يدعوا شيئا إلا ملؤه قال عمران ويخيل إلى أنهما لم تزداد إلا امتلاء ثم أمر فجمع للمرأة من الأزواد حتى ملأ ثوبها وقال الذهبي فإننا لم نأخذ من مائت شيئا ولكن الله سقايا - الحديث بطوله - وعن سلمة بن الأكوع: قال نبى الله صلى الله عليه وسلم هل من وضوء فجاؤ رجل بإداؤ فيها نطفة فأفرغها في قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقه أربع عشرة مائة وفى حديث عمر في جيش العسرة وذكر ما أصابهم من العطش حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب أبو بكر رضى الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملؤا ما معهم من أنية ولم تجاوز العسكر وعن عمرو بن شعيب أن أباً طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذى المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الأرض فخرج الماء فقال اشرب والحديث في هذا الباب الكثير ومنه الإجابة بدعاء الاستسقاء وما جالسه.

(قوله فيها نطفة) أي شئ يسير (قوله ندغفقه) من الدغفقة بالدال المهملة فالغين المعجمة والفاء فالقاف وهى الصب الشديد (قوله في جيش العسرة) يعنى غزوة تبوك (قوله بذى المجاز) بالميم المفتوحة والجيم المخففة والزاي سوق عند عرفة من أسواق الجاهلية (*)

[٢٩١]

فصل ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه حدثنا القاضى الشهيد أبو على رحمه الله حدثنا العزري حدثنا الرازي حدثنا الجلودى حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا سلمة ابن شبيب حدثنا الحسن بن أعين حدثنا معقل عن أبى الزبير عن جابر أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير فما زال يأكل منه وامرأته وضيغه حتى كاله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال لو لم تكله لأكلتم منه ولقام بكم * ومن ذلك حديث أبى طلحة المشهور وإطعامه صلى الله عليه

وسلم ثمانين أو سبعين رجلا من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت يده أي إبطه فأمر بها فقتت وقال فيها ما شاء الله أن يقول، وحديث جابر في إطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق وقال جابر فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي وإن عجينا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك، رواه عن جابر سعيد بن ميناء وأيمن وعن ثابت مثله عن رجل من الأنصار وامرأته ولم يسمهما قال وحيئ بمثل الكف فجعل

(قوله ابن مينا) بكسر الميم والمد أو القصر (قوله وأيمن) هو أيمن الحبشى المكي والد عبد الواحد بن أمين مولى ابن أبي عمرة المخزومي وفي كتاب ابن حبان إنه أيمن بن أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد بان أيمن بن أم أيمن قتل في حنين (*)

[٢٩٢]

رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسطها في الإناء ويقول ما شاء الله فأكل منه من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلأ ممن قدم معه صلى الله عليه وسلم لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل ما كان في الإناء، وحديث أبي أيوب أنه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من أشرف الأنصار فدعاهم فأكلوا حتى تركوا ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فأكلوا حتى تركوه وما خرج منهم أحد حتى أسلم وباع قال أبو أيوب فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلا، وعن سمرة بن جندب أتى النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون، ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر في الحديث أنه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوى سواد بطنها قال وأيم الله ما من الثلاثين ومائة إلا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فأكلنا أجمعون وفضل في القصعتين

(قوله بقصعة) يفتح القاف (قوله سواد بطنها) هو الكبد وقيل حشوا البطن كله (قوله حزة) بضم الحاء المهملة وتشديد الزاي: القطعة المحزورة ويفتح الحاء المرة من الحز (قوله وفضل) قال الصنمري فضل يفضل بفتح العين في المعاضى وضما في المستقبل من الفضل وهو السؤدد وبالكسر في الماضي والفتح في المستقبل من الفضلة وهي بقية الشئ وفي الصحاح فضل منه شئ مثل دخل يدخل وفيه لغة أخرى فضل يفضل مثل حذر يحذر (*)

[٢٩٣]

فحملته على البعير، ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري عن أبيه ومثله لسلمة بن الأكوع وأبي هريرة وعمر بن الخطاب رضى الله عنه فذكروا مخمصة أصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازبه فدعا ببقية الأزواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك وأعلامهم الذى أتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع قال سلمة فحزرتة كريمة العنز ثم دعا الناس بأوعيتهم فما بقى في الجيش وعاء إلا ملؤوه وبقي منه قدر ما جعل وأكثر ولو وردة أهل الأرض لكفاهم وعن أبي هريرة أمرنى النبي صلى الله عليه وسلم أن أدعوا له أهل الصفة فتنبعثهم حتى جمعتهم فوضعت بين أيدينا صحفة فأكلنا ما شئنا وفرغنا وهى مثلها

حين وضعت إلا أنا فيها أثر الأصابع، وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب وكانوا أربعين منهم قوم يأكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا

(قوله مخمصة) أي مجاعة (قوله بالحنثية) بفتح الحاء المهملة من حنى يحنا (قوله على نطع) يجوز فيه فتح النون وكسرها مع سكون الطاء وفتحها فهذه أربع لمات أفصحها كسر النون وفتح الطاء (قوله كرىضة) بفتح الراء وسكون الموحدة قال ابن دريد بكسر الراء يقال رضت الغنم ترض بالكسر وربوا وهو من البقر والعم والفرس والكلب مثل البروك من الإبل والجنوم من الطير (قوله أهل الصفة) في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة لقد رأيت سبعين من أهل الصفة وعد أبوهم في الحليلة منهم مائة وثيغاً وفي عوارف المعارف السهروردي إنهم كانوا نحو أربعمائة (*)

[٢٩٤]

بعض فشربوا حتى رووا وبقي كأنه لم يشرب منه وقال أنس إن النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزيب أمره أن يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة وقدم إليهم تورا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلاث أصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون وبقي التور نحو مما كان وكان القوم أحدا أو اثنين وسبعين وفي رواية أخرى في هذه القصة أو مثلها إن القوم كانوا زهاء ثلثمائة وإنهم أكلوا حتى شبعوا وقال لى أرفع فلا أدري حين وضعت كانت أكثر أم حين رفعت وفي حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن علي رضى الله عنه أن فاطمة طبخت قدرا لغدائهما ووجهت عليا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى معهما فأمرها فغرفت منها لجميع نسائه صحيفة صحيفة ثم له صلى الله عليه وسلم ولعلي ثم لها ثم رفعت القدر وإنها لتفيض قالت فأكلنا منها ما شاء الله * وأمر عمر بن الخطاب

(قوله بعس) يضم العين وتشديد السين المهملتين هو قدح ضخم (قوله ابتنى) ترتيب المعروف إن ذلك لما ابتنى بصفية وفي شرح مسلم للمصنف إن الراوى أدخل قصة في قصة (قوله تور) بالمتناة الفوقية وهو إناء شبه قدح من حجارة (قوله حيسا) بفتح المهملة وسكون المثناة التحتية بعدها سين مهملة هو تمر وسمن وأقط وقال ابن الصلاح هو التمر ينزع نواه ويخلط بالسويق (قوله يتغدون) من الغداء بفتح الغين المعجمة والذال المهملة والمد هو الطعام نفسه خلاف العشاء لما في صحيح مسلم فدعا بعد ارتفاع النهار وأما الغداء بكسر الغين وبالذال المعجمتين والمد هو ما يتغذى به من الطعام والشراب (*)

[٢٩٥]

أن يزود أربعمائة راكب من أحمس فقال يا رسول الله ما هي إلا أصوع قال أذهب فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية دكين الأحمسي ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان بن مقرن الخبر بعينه إلا أنه قال أربعمائة راكب من مزينة ومن ذلك حديث حابر في دين أبيه بعد موته وقد كان بذل لغرماء أبيه أصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنتين كفاف دينهم فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أمره بحدوها وجعلها بيادر في أصولها فمشى فيها ودعا فأوفى منه جابر غرماء أبيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما أعطاهم قال وكان الغرماء يهود ففعلوا من ذلك وقال أبو هريرة رضى الله عنه أصاب الناس مخمصة فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شئ قلت نعم شئ من التمر في المزود قال فأنني به فأدخل يده.

فأخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فأكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا قال خذ ما جئت به وأدخل

(قوله أصوع) بضم الواو جمع صاع وفي الصحاح وإن شئت أبدلت من الواو المضمومة همزة (قوله دكين) بضم الدال المهملة وفتح الكاف هو ابن سعيد بفتح السين ويقال بضمها ويقال ابن سعد له صحبة وحديث في أبي داود في الأدب (قوله يجدها) بالجيم والدال المهملة أي قطعها ومنه ثوب جديد بمعنى محدود كأنه حين جده الجائد أي قطعه (قوله في المزود) بكسر الميم وسكون الزاي ما يجعل فيه الزاد (قوله بقبضة) بفتح القاف: المرة، وبضمها: الشئ المقبوض (*)

[٢٩٦]

يدك واقبض منه ولا تكيه فقبضت على أكثر مما جئت به فأكلت منه وأطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر إلى أن قتل عثمان فانتهب منى فذهب وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وأن التمر كان بضع عشرة تمره ومنه أيضا حديث أبي هريرة حين أصابه الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لنا في قدح قد أهدى إليه وأمره أن يدعو أهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت أحق أن أصيب منه شربة أتقوى بها فدعوتهم وذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم له أن يسقيهم فجعلت أعطى الرجل فيشرب حتى يروى ثم يأخذه الآخر حتى روى جميعهم قال فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت أنا وانت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب وما زال يقولها واشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا فأخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة وفي حديث خالد بن عبد العزى أنه أجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا

(قوله إلى أن قتل عثمان) كان في سنة خمس وثلاثين (قوله أجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاة) بفتح الهمزة وسكون الجيم وفتح الزاي بعدها راء قال ابن السكيت يقال أجزرت القوم إذا أعطيتهم شاة يذبحونها نعجة أو كبشا أو عنزا قال ولا يكون الجزوة إلا من الغنم ولا يقال أجزرتهم ناقة لأنها قد تصلح لغير الذبح (*)

[٢٩٧]

يذبح الشاة فلا تيد عياله عظما وإن النبي صلى الله عليه وسلم أكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فأكلوا وأفضلوا ذكر خبره الدولابي وفي حديث الأجرى في إنكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بلالا بقصعة من أربعة أمداد أو خمسة ويذبح جوزرا لوليبتها قال فأتيته بذلك فطعن في رأسها ثم أدخل الناس رفقة رفقة يأكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وأمر بحملها إلى أزواجه وقال كلن وأطعمن من غشيك وفي حديث أنس رضي الله عنه تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصنعت أمي أم سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت فضعه وأدع لى فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم أدع أحدا لقيته إلا دعوته وذكر أنهم كانوا زهاء ثلثمائة حتى ملؤوا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه وقال ما شاء الله أن يقول فأكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لى ارفع فما

أدرى حين وضعت كانت أكثر أم حين رفعت وأكثر أحاديث هذه
الفصول الثلاثة في الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا
الفضل بضعة عشر من الصحابة رواه

(قوله تبد) بضم المثناة الفوقية وكسر الموحدة، في الصحاح والتبدة بالكسر النصيب
يقول منه أتيدهم العطاء أي أعطى كل واحد منهم تبده أي نصيبه (*)

[٢٩٨]

عنهم أضعافهم من التابعين ثم من لا ينعده بعدهم وأكثرها في قصص
مشهورة ومجامع مشهودة ولا يسكت الحاضر لها على ما أنكر منها
فصل (في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته) قال
حدثنا أحمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما أجازنيه عن أبي
عمرو الطلمنكي عن أبي بكر بن المهندس عن أبي القاسم البغوي
حدثنا أحمد بن عمران الأخلمي حدثنا أبو حيان التيمي وكان صدوقا
عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سفر فدنا منه أعرابي فقال يا أعرابي أين تريد قال إلى أهلي
قال هل لك إلى خير قال وما هو قال تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول
قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي فأقبلت تخذ الأرض
حتى قامت بين يديه فاستشهدها

(قوله فيما أجازنيه) هذه لغة حكاها ابن فارس والمعروف أجازره لى (قوله عن أبي
القاسم البغوي) هو الحافظ الكبي المسند، البغوي الأصل مولده سنة أربع عشرة
وعاش مائة وثلاث سنين (قوله أبو حيان) بفتح الحاء المهملة بعدها مثناة تحتية
مشددة وعن البزى إنه سقط بين أحمد بن عمران الأحنسي وبين أبي حيان التيمي
رجل ولعله يكون محمد بن فضيل ثم قال بل هو محمد بن فضيل فإنه يرويه عنه وأما
الأحنسي فلم يدرك أبا حيان (قوله السمرة) بضم الميم شجرة من شجر الطلح (قوله
تخذ) بضم الخاء المعجمة أي تشق (*)

[٢٩٩]

ثلاثا فشهدت أنه كما قال ثم رجعت إلى مكانها، وعن بريدة سألت
أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم فقال له قل لتلك الشجرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك قال فمالت الشجرة عن
يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخذ
الأرض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الأعرابي مرها
فلترجع إلى منبتها فرجعت فدلّت عروقها فاستوت فقال الأعرابي
أذن لى أسجد لك قال لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن
تسجد لزوجها قال فأذن لى أن أقبل يدك ورجلك فأذن له، وفى
الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقضى حاجته فلم ير شيئا يستتر به فإذا بشجرتين
بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
إحدهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادى على بإذن الله
فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده وذكر أنه فعل
بالأخرى مثل ذلك حتى إذا كان بالمنصف بينهما قال التثما على بإذن
الله فالتأمتا وفى رواية أخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك
رسول الله

(قوله المخشوش) بقاء وشينين معجمات هو البعير يجعل في أنفه الخشاش بكسر الخاء المعجمة وهو عود يربط عليه حبل ويدخل في عظم أنف البعير لينقاد (قوله بالمنصف في الصحاح والمنصف بالفتح نصف الطريق والمنصف بالكسر: الخادم، هذا قول الأصمعي. (*))

[٢٠٠]

صلى الله عليه وسلم الحقى بصاحبك حتى اجلس خلفكما فزحفت حتى لحقت بصاحبها فجلس خلفها فخرجت أحضر وجلست أحدث نفسي فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفه فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا وروى أسامة بن زيد نحوه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل يعنى مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إن الوادي ما فيه مواضع بالناس فقال هل ترى من نخل أو حجارة قلت أرى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركن أن تأتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فو الذى بعته بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لى قل لهن يفترقن فو الذى نفسي بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن حتى عدن إلى مواضعتهن * وقال يعلى بن سبابة كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوه من هذين الحديثين وذكر فأمر

(قوله أحضر) هو بضم الهمزة وكسر الصاد مضارع أحضر بفتحها إذا عدى قال في الصحاح يقال أحضر الفرس والغلام إحضارا واحتضر أى عدوا واستحضرت أى أعديته (قوله يعلى بن سبابة) بفتح السين المهملة وتخفيف التحتية وهو ابن مرة أبو المرازم وسبابة أمه ولهم أيضا يعلى بن أمية التيمى وهو يعلى بن منية ومنية أمه وهو أيضا صحابي (*))

[٢٠١]

وديتين فانضمنا وفى رواية أشياءتين وعن غيلان بن سلمة الثقفى مثله في شجرتين وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سبابة أيضا وذكر أشياء رآها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أن طلحة أو سمرة جاءت فأطافت به ثم رجعت إلى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها استأذنت أن تسلم على، وفى حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث أن الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة تعالى يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث الأول أو نحوه قال القاضى أبو الفضل فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة وأسامة بن زيد وأنس بن مالك ويعلى بن أبى طالب وابن عباس وغيرهم قد اتفقوا على هذه القصة نفسها أو معناها ورواها عنهم من التابعين أضافهم فصارت في انتشارها من القوة حيث هي، وذكر ابن فورك أنه صلى الله عليه وسلم سار

(قوله وديتين) الودية بفتح الواو وسكون الدال المهملة وفتح المثناة التحتية تننية ودية وهى الصغيرة من الفسيل وهو صغار النخل (قوله أشياءتين) تننية أشياءة بفتح الهمزة وفتح الشين المعجمة والمد وهى النخلة الصغيرة (قوله غيلان) بفتح المعجمة، توفى آخر خلافة عمر بن الخطاب قال المزى ليس في الرواة غيلان بالمهملة إنما هو

بالمعجزة ولا يقال بالمهملة إلا في نسب مضر بن عيلان (قوله أن طلحه) هي واحدة الطلح وهو شجر عظم من شجر العضاء (قوله قعاقع) بقافين وعينين مهملتين حكاية صوت الصلاح (*)

[٢٠٢]

في غزوة الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته سدره فانفجرت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت علي ساقين إلي وقتنا هي هناك معروفة معظمة * ومن ذلك حديث أنس رضى الله عنه أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ورأه حزينا أتعب أن أريك آية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشى حتى قامت بين يديه قال مرها فلترجع فعادت إلى مكانها، وعن علي نحو هذا ولم يذكر فيها جبريل قال اللهم أرني آية لا أبالي من كذبي بعدها فدعا شجرة مثله وذكر، وحزنه صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الآية لهم لا له وذكر ابن اسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم أرى ركابة مثل هذه الآية في شجرة دعاها فأنت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن أنه صلى الله عليه وسلم شكى إلى ربه من قومه وأنهم يخوفونه وسأله آية يعلم بها أن لا مخافة عليه فأوحى إليه أن أتت وادى كذا فيه شجرة فداع غصنا

(قوله في غزوة الطائف) كانت في السنة الثامنة بعد الفتح وبعد حنين (قوله وسن) بفتح الواو وكسر السين المهملة أي نعلان (قوله وحزنه صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه) فان قلت قد سبق في حديث هند بن أبي هالة أن ابن القيم قال إنه صلى الله عليه وسلم لا يجوز أن يكون حزنه على الكفار لأن الله تعالى قد نهاه عنه قلت لعل الحزن الذي في الحديث المفسر هنا قبل النهي عن حزنه على الكفار على أن حزنه لتكذيب قومه لا يلزم أن يكون حزنا عليهم لجواز أن يكون لما نسبوه إليه مما هو معصوم منه وهو الكذب (*)

[٢٠٣]

منها يأتك ففعل فجاء يخط الأرض خطا حتى انتصب بين يديه فحيسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب علمت أن لا مخافة علي * ونحو منه عن عمر وقال فيه أرني آية لا أبالي من كذبي بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال لأعرابي رأيت إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أنى رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقر حتى أتاه فقال ارجع فعاد إلى مكانه وخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح. فصل في قصة حنين الجذع وبعض هذه الأخبار حديث أنين الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر والخبر به متواتر قد خرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم أبي بن كعب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وأبو سعيد الخدرى وبريدة وأم سلمة والمطلب بن أبي وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي وحديث أنس صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا

(قوله العذق) بكسر العين المهملة بعدها ذال معجمة: الكناسة وهو التمر بمنزلة العنقود من العنب كذا في الصحاح (قوله ينقر) بالقاف المضمومة والزاي أي يثبت صدأ (*)

خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار. وفي رواية أنس حتى ارتج المسجد بخواره وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوا به. وفي رواية المطلب وأبى حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت، زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب وسهل ابن سعد وإسحاق عن أنس وفي بعض الروايات عن سهل فدفنت تحت منبره أو جعلت في السقف. وفي حديث أبي فكان إذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى إليه فلما هدم المسجد أخذه أبي فكان عنده إلى أن أكلته الأرض وعاد رفاتا. وذكر الاسفرائني أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه إلى نفسه فجاءه يخرق الأرض فالتزمه ثم أمره فعاد إلى مكانه. وفي حديث بريدة فقال يعنى النبي صلى الله عليه وسلم إن شئت اردك إلى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقتك ويكمل خلقك

(قوله العشار) بكسر العين المهملة وتخفيف الشين المعجمة هي النوق الحوامل واحدها عشار بضم العين وفتح الشين والمد، وقال ابن دريد هي التي أتى لحملها عشرة أشهر (قوله بخواره) هو بضم المعجمة وتخفيف الواو. الصوت للشاء والظى والبقر وبضم الجيم وفتح الهمزة صوت البقر والناس (*)

ويجدد لك خوص وثمره وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك، ثم اصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال: بل تغرسني في الجنة فيأكل منى أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن إذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشية تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا إليه لمكانه فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه، رواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبد الله بن حفص وأيمن وأبو نضرة وابن المسيب وسعيد بن أبي كرب وكريب وأبو صالح ورواه عن أنس بن مالك الحسن وثابت وإسحاق بن أبي طلحة ورواه عن ابن عمر نافع وأبو حية ورواه أبو نضرة وأبو الوداك عن أبي سعيد وعمار بن أبي عمار عن ابن عباس وأبو حازم وعباس بن سهل عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن أبيه والطفيل بن أبي عن أبيه قال القاضي أبو الفضل وفقه الله فهذا

(قوله وأيمن) هو أيمن الحبشي مولى ابن أبي عمرة المخزومي (قوله وأبو نضرة) بالنون والضاد المعجمة: اسمه المنذر بن مالك ولا تعلم أبو نضرة - بالموحدة والمهملة - إلا جميل الغفاري الصحابي وليس له شئ عن جابر (قوله وأبو حية) بفتح الحاء المهملة بعدها مثناة تحتية: الكلبى الكوفى (قوله وأبو حازم) بالحاء المهملة والزاي هو سلمة بن دينار الأعرج المدينى أحد الأعلام (قوله وعباس) بالموحدة والسين المهملة (قوله وكثير) بفتح الكاف وكسر المثناة (قوله وعبد الله بن بريدة) هو قاضى مرو وعاملها (قوله والطفيل) بضم الطاء المهملة وفتح الفاء المخففة (٢٠ - ١) (*)

[٢٠٦]

حديث كما تراه خرج أهله الصحة من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم إلى من لم نذكره وبدون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب. فصل ومثل هذا في سائر الجمادات حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التيمي حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن المرباط حدثنا المهلب حدثنا أبو القاسم حدثنا أبو الحسن القابسي حدثنا المروزي حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا محمد بن المثنى حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا إسرائيل عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل، وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود كنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه، وقال أنس أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعت التسبيح ثم صبهن في يد أبي بكر رضى الله عنه فسبحن ثم في أيدينا فما سبحن * وروى مثله أبو ذر وذكر أنه سبى في كعب بن عمرو وعثمان رضى الله عنهما وقال على كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إلى بعض نواحيها فما استقبله

(قوله أبو أحمد الزبيري) بضم الزاي وفتح الموحدة وهو محمد بن عبد الله بن الزبير نسب إلى جده (قوله إسرائيل) هو ابن يونس بن أبي إسحاق السبيعي الكوفي (*)

[٢٠٧]

شجرة ولا جبل إلا قال له السلام عليك يا رسول الله * وعن جابر بن سمرة عنه صلى الله عليه وسلم إنى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على، قيل إنه الحجر الأسود * وعن عائشة رضى الله عنها لما استقبلني جبريل عليه السلام بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله. وعن جابر بن عبد الله لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له. وفي حديث العباس إذا اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره إياهم بملاءته فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت أمين أمين. وعن جعفر بن محمد عن أبيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه النبي صلى الله عليه وسلم فسبح. وعن أنس سعد النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان أحدا فرجف بهم فقال أثبت أحد فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان ومثله عن أبي هريرة في حراء وزاد معه وعلى وطلحة والزبير وقال فإنما عليك نبى أو صديق أو شهيد والخبر في حراء أيضا عن عثمان قال ومعه عشرة من أصحابه أنا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا قال ونسيت الاثنين. وفي حديث سعيد ابن زيد أيضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه

(قوله قيل إنه الحجر الأسود) قال السهيلي روى في بعض المسند أن الحجر الأسود (قوله بملاءة) بضم الميم والمد: الملحفة والجمع ملا (قوله أسكفة الباب) أي عنيته ويقال أسكوفة أيضا (*)

[٢٠٨]

وقد روى أنه حين طلبته قريش قال له ثير اهبط يا رسول الله فإنى أخاف أن يقتلوك على ظهري فيعذبين الله فمال حراء إلى يا رسول الله. وروى ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر (وما قدروا الله حق قدره) ثم قال يمجّد الجبار نفسه يقول أنا الجبار أنا الجبار أنا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس كان حول البيت ستون وثلاثمائة ضم مئبة الأرجل بالرصاص في الحجارة فأما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده إليها ولا يمسه ويقول (جاء الحق وزهق الباطل) الآية فما أشار إلى وجه صنم إلا وقع لقفاه ولا لقفاه إلى وقع لوجهه حتى ما بقى منها صنم، ومثله في حديث ابن مسعود وقال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما بيدى الباطل وما يعيد، ومن ذلك حديثه مع الراهب في ابتداء أمره إذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج إلى أحد فخرج وجعل

(قوله ثير) بمتلثة مفتوحة فموحدة مكسورة: جبل المزدلفة وللعرب جبال أربعة أخرى حجازية كل منها يسمى ثيرا (قوله يطعنها) بضم العين المهملة وقد تفتح (قوله مع الراهب) هو بحيري بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة والقصر قال الذهبي رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم قبل المبعث وأمن به ذكره ابن منده وأبو نعيم في الصحابة وقال السهلي وقع في سيرة الزهري إنه كان حيرا من يهود تيمنا وفى المسعودي إنه كان من عبد القيس واسمه جرجس إذ خرج تاجرا مع عمه، قيل لم يخرج عليه السلام في هذه المرة تاجرا وإنما خرج تاجرا بعد ذلك مع ميسرة غلام خديجة وفى هذه الخرجة لقي نسطور الراهب، ويمكن الجواب بأن (تاجرا) حال من عمه لا من الضمير المستتر في خرج (*)

[٣٠٩]

بتخللهم حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش ما علمك فقال إنه لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا له ولا يسجد إلا لنبى وذكر القصة ثم قال وأقبل صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه إلى فئ الشجرة فلما جلس مال الفئ إليه فصل في الآيات في ضروب الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك أبو الحسين الحافظ حدثنا أبى حدثنا القاضى أبو يونس حدثنا أبو الفضل الصقلى حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن أبيه وجده قال حدثنا أبو العلاء أحمد بن عمران حدثنا محمد ابن فضيل حدثنا يونس بن عمرو حدثنا مجاهد عن عائشة رضى الله عنها قالت كان عندنا داجن فإذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يحى ولم يذهب وإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب، وروى عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي قد صاد ضيا فقال من هذا قالوا نبى الله فقال واللات والعزى لا أمنت بك أو يؤمن بك هذا الضب وطرحه بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم

(قوله داجن) بالذال المهملة والجيم المكسورة: ما يألف البيت من الحيوان، يقال دجن فيه بيته إذا ألزمه (قوله في محفل) بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر الفاء، أي مجتمع (*)

[٣١٠]

له ياضب، فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة، قال من تعبد؟ قال الذى فى السماء عرشه وفى الأرض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عقابه: قال فمن أنا؟ قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك. فأسلم الأعرابي* ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن أبي سعيد الخدرى: بينا راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة منها فأخذها منه فأفعى الذئب وقال للراعي ألا تتقى الله حلت بينى وبين رزقي قال الراعى العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس، فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ رسول الله بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق، فأنتى الراعى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم له قم فحدثهم، ثم قال صدق، والحديث فيه قصة وفى بعضه طول وروى حديث الذئب عن أبى هريرة وفى بعض الطرق عن أبى هريرة رضى الله عنه فقال الذئب أنت أعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط أعظم منه عنده قدرا قد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه إلا هذا الشعب فتصير في جنود الله، قال الراعى من لى بغنمي؟ قال الذئب أنا أرهاها حتى ترجع فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى وذكر

(قوله بين الحرتين) تننة حرة يفتح المهملة، وهى أرض ذات حجارة سود (قوله الشعب) بكسر الشين المعجمة ما يفرج بين الجبلين (*)

[٣١١]

قصته وإسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد إلى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح لذئب شاة منها، وعن أهيبان بن أوس وأنه كان صاحب القصة والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الأكوع وأنه كان صاحب هذه القصة أيضا وسبب إسلامه بمثل حديث أبى سعيد وقد روى ابن وهب مثل هذا أنه جرى لأبى سفيان بن حرب وصفوان بن أمية مع ذئب وجداه أخذ ظيبا فدخل الظبي الحرم فأنصرف الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونى إلى النار فقال أبو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوقا، وقد روى مثل هذا الخبر وأنه جرى لأبى جهل وأصحابه وعن عباس بن مرداس لما تعجب من كلام ضمارة صنمه وإنشاده الشعر الذى ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم فإذا طائر سقط فقال يا عباس أنتعجب من كلام ضمارة ولا تعجب من نفسك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام وأنت جالس فكان سبب إسلامه، وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن رجل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأمن به وهو على بعض حصون خيبر وكان فى غنم

(قوله خلوقا) بضم الخاء المعجمة واللام. من قولهم حى خلوف إذا غاب رجالهم وبقي نساؤهم أو من خلوف الفم تغيره (قوله ضمارة) بكسر الضاد المعجمة وتخفيف الميم وفى آخره راء (*)

[٣١٢]

برعاها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم قال أحصب وجوهها فإن الله سيؤدى عنك أمانتك ويردها إلى أهلها ففعل فسارت كل شاة

حتى دخلت إلى أهلها، وعن أنس رضى الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائط أنصاري وأبو بكر وعمر ورجل من الأنصار رضى الله عنهم وفى الحائط غنم فسجدت له فقال أبو بكر نحن أحق بالسجود لك منها - الحديث - وعن أبى هريرة رضى الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر مثله، ومثله في الجمل عن ثعلبة ابن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان لا يدخل أحد الحائط إلا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشغره على الأرض وترك بين يديه فخطمه وقال ما بين السماء والأرض شئ إلا يعلم أنى رسول الله إلا عاصي الجن والإنس ومثله عن عبد الله بن أبى أوفى وفى خبر آخر في حديث الجمل أن النبي صلى الله عليه وسلم سألهم عن شأنه فأخبروه أنهم أرادوا ذبحه وفى رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم إنه شكى كثرة العمل وقلة العلف، وفى رواية أنه شكى إلى أنكم

(قوله عن ثعلبة) قال المزى هو ثعلبة بن مالك القرظى لا تعرف في الصحابة من إسمه ثعلبة بن مالك غيره، قدم من اليمن على دين اليهود فنزل في بنى قريظة فنسب إليهم ولم يكن منهم (قوله مشغره) بكسر الميم وسكون الشين المعجمة، في الصحاح المشغر من البعير كالجحفة، من الفرس والجحفة للحافر كالشفة للإنسان (*)

[٢١٣]

أردتم ذبحه بعد أن استعملتموه في شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد روى في قصة العضباء وكلامها للنبي صلى الله عليه وسلم وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب إليها في الرعى وتجنب الوحوش عنها وندائهم لها إنك لمحمد وأنها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت، ذكره الإسفرائنى، وروى ابن وهب أن حمام مكة أظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروى عن أنس وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أمر الله ليلة الغار شجرة فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وأمر حمامتين فوقفتا بغم الغار، وفى حديث آخر وأن العنكبوت نسجت على بابه فلما أتى الطالبون له ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه أحد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم فأنصرفوا، وعن عبد الله بن قرط قرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم بدنان خمس أو ست أو سبع لينحرها يوم

(قوله وقد روى في قصة العضباء) قيل العضباء والقصوى والجذعا ثلاثة أسماء والمسمى واحد وقيل إنهن ثلاث، وقيل الجذعا والقصوى واحد والعضباء أخرى (قوله أمر الله شجرة) قال قاسم بن ثابت هي الراء، وقال أبو حنيفة رحمه الله الراء من أعلا الشجر ويكون مثل قامة الإنسان ولها خيطان وهو أبيض يحشى منه المخاد ويكون كالريش لخفته ولينه لأنه كالقطن (قوله عبد الله بن قرط) بضم القاف قال ابن عبد البر كان اسم عبد الله في الجاهلية شيطانا فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله (*)

[٢١٤]

عيد فاردلفن إليه بايهن يبدأ وعن أم سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته طيبة يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني هذا الأعرابي ولى خشفان في ذلك الجبل فأطلبني حتى أذهب فارضعهما وأرجع قال: أو تفعلين؟ قالت: نعم فأطلقها

فذهبت ورجعت فأوثقها فانتبه الأعرابي وقال يا رسول الله ألك حاجة ؟ قال تطلق هذه الطيبة، فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، ومن هذا الباب ما روى من تسخير الأسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ وجهه إلى معاذ باليمن فلقى الأسد فعرفه أنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنجى عن الطريق وذكر في منصرفه مثل ذلك وفى رواية أخرى عنه أن سفينة تكسرت به فخرج إلى جزيرة فإذا الأسد فقلت أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامنى على الطريق وأخذ عليه السلام بأذن شاة لقوم من عبد القيس بين إصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما ويقى ذلك الأثر فيها وفى نسلها بعد وما روى عن إبراهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار الذى أصابه بخبير وقال له اسمى يزيد بن شهاب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وأنه كان يوجهه إلى دور اصحابه فيضرب

(قوله فإزدلفن) بالزاي والفاء: أي تقربن (قوله من كلام الحمار) في سيرة معلطاي كان له صلى الله عليه وسلم من الحمير يعفر وعفير ويقال هما واحد وآخر أعطاه سعد بن عبادة (*)

[٣١٥]

عليهم الباب برأسه ويستدعيهم وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات، وحديث الناقة التى شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها أنه ما سرقها وأنها ملكه، وفى حديث العنز التى أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره وقد أصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلثمائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأروى الجند ثم قال لرافع أملكها وما أراك فربطها فوجدتها قد انطلقت، رواه ابن قانع وغيره، وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الذى جاء بها هو الذى ذهب بها وقال لفرسه عليه السلام وقد قام إلى الصلاة في بعض أسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته فما حرك عضوا حتى صلى صلى الله عليه وسلم، ويلتحق بهذا ما رواه الواقدي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله إلى الملوك فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد فأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم، والحديث في هذا الباب كثير وقد جننا منه بالمشهور وما وقع في كتب الأئمة.

(قوله لفرسه) الخيل المتفق عليها لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال الحافظ الدماطي سبعة وقد نظمهما القاضى بدر الدين بن جماعة في بيت فقال والخيل سكب لجيف سبحة طرب لزاز مرتجن ورد لها اسرار (*)

[٣١٦]

فصل في إحياء الموتى وكلامهم (وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة صلى الله عليه وسلم) حدثنا أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضى أبو الوليد محمد بن رشد والقاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سمعا وإذنا قالوا حدثنا أبو على الحافظ حدثنا أبو عمر الحافظ حدثنا أبو زيد عبد الرحمن بن يحيى حدثنا أحمد بن سعيد حدثنا ابن الأعرابي حدثنا أبو داود حدثنا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمر

وعن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه أن يهودية أهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخير شاة مصلية سمتها فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأكل القوم فقال ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت ؟ قالت: إن كنت نبيا لم بضرك الذى صنعت وإن كنت ملكا أرحت الناس منك قال فأمر بها فقتلت. وقد روى هذا الحديث أنس وفيه قالت أردت قتلك فقال (ما كان الله ليسطك على ذلك) فقالوا: تقتلها قال (لا) وكذلك

(قوله عن أبي سلمة عن أبي هريرة) قال المزى في الأطراف هكذا وقع هذا الحديث في رواية أبي سعيد ابن الأعرابي عن أبي داود وعندنا في الرواة عن أبي سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليس فيه عن أبي هريرة (قوله مصلية) بفتح الميم وسكون الصاد المهملة أي مشوية (قوله بشر) بكسر الموحدة وسكون المعجمة هو ابن البراء ابن معرور. بفتح الميم وسكون العين المهملة (*)

[٢١٧]

روى عن أبي هريرة من رواية غير وهب قال فما عرض لها، ورواه أيضا جابر بن عبد الله وفيه أخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها وفي رواية الحسن أن فخذها تكلمني أنها مسمومة، وفي رواية أبي سلمة ابن عبد الرحمن قالت إنى مسمومة، وكذلك ذكر الخبر ابن اسحاق وقال فيه فتجاوز عنها، وفي الحديث الآخر عن أنس قال فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذى مات فيه (ما زالت أكلة خبير تعادنى فالآن أوان قطع أبهري) وحكى ابن اسحاق إن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله به من النبوة، وقال ابن سحنون أجمع أهل الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التى سمتها، وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن أبي هريرة وأنس وجابر وفي رواية ابن عباس رضى الله عنهم

(قوله في لهوات) بثلاث فتحات جمع لهاة وهى في الأصل اسم اللحم في أفضى الفم (قوله أكلة خبير) بضم الهمزة (قوله تعادنى) بضم أوله ورائعه وتشديده أي يراجعني ويعاودني ألم سمها قال الداودي: الألم الذى حصل له صلى الله عليه وسلم من الأكلة هو نقص لذة ذوقه، قال ابن الأثير وليس مبين لأن نقص الذوق ليس بالم (قوله أبهري) بفتح الهمزة وسكون الموحدة عرق يكشف الصلب والقلب إذا انقطع مات صاحبه، فإن قيل ما الجمع بين قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) وبين هذا الحديث المقتضى لعدم العصمة لأن موته عليه السلام بالسلم لصادر من اليهودية والجواب أن الآية نزلت عام تبوك والسلم كان بخير قبل ذلك (*)

[٢١٨]

أنه دفعها لأولياء بشر بن البراء فقتلوها، وكذلك قد اختلف في قتله للذى سحره، قال الواقدي وعفوه عنه أثبت عندنا وقد روى عنه أنه قتله وروى الحديث البزار عن أبي سعيد فذكر مثله إلا أنه قال في آخره فبسط يده وقال كلوا بسم الله فأكلنا وذكر اسم الله فلم تضر منا أحدا قال القاضى أبو الفضل وقد خرج حديث الشاة المسمومة أهل الصحيح وخرجه الأئمة وهو حديث مشهور واختلف أئمة أهل النظر في هذا الباب فمن فائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى في الشاة الميتة أو الحجر أو الشجر وحروف وأصوات يحدثها الله فيها ويسمعها منها دون تغيير أشكالها ونقلها عن هبئتها وهو مذهب الشيخ أبي الحسن والقاضى أبي بكر رحمهما الله وآخرون ذهبوا

إلى إيجاد الحياة بها أولا ثم الكلام بعده، وحكى هذا أيضا عن شيخنا
أبى الحسن وكل محتمل والله

(قوله عن شيخنا أبى الحسن) أبى الأشعري وهو على بن اسمعيل ابن أبى بشر بن
سالم بن اسمعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبى بردة بن أبى موسى عبد
الله بن قيس الأشعري، أخذ فقه الشافعي عن أبى إسحاق المروزي، كذا في طبقات
السيكي، وبه رد على من قال أنه مالكي وكان في أول أمره بمعتزليا تلميذا للجبائي
وكان صاحب نظر وإقدام على الخصوم وكان الجبائي صاحب تصنيف فكان الجبائي إذا
عرضت له مناظرة يقول للأشعري نب عنى، وأقام الأشعري على الاعتزال أربعين
سنة ثم إنه غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يوما ثم خرج إلى الجامع وصعد
المنبر وقال أيها الناس إنما تغيبت عنكم هذه المدة لأنى نظرت فتكافأت عندي الأدلة
ولم يترجح عندي شئ على شئ فاستهديت الله تعالى فهديني إلى اعتقاد ما
أودعته في كتبي هذه وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا،
وانخلع من ثوب كان عليه ودفع الكتب التى ألفها على مذهب أهل السنة للناس، ولد
سنة ستين ومائتين وتوفى سنة ست وثلاثين وقبل سنة أربع وعشرين وثلاثمائة (*)

[٣١٩]

أعلم إذ لم يجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والأصوات إذ لا
يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجرد ما إذا كانت عبارة عن
الكلام النفسي فلا بد من شرط الحياة لها إذ لا يوجد كلام النفس إلا
من حى خلافا للجبائي من بين سائر متكلمي الفرق في إحالة
وجود الكلام اللفظي والحروف والأصوات إلا من حى مركب على
تركيب من يصح منه النطق بالحروف والأصوات والتزم ذلك في الخصاص
والجذع والذراع وقال إن الله خلق فيها حياة وخرق لها فما ولسانه
وألة أمكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به أكد من
التهمم بنقل تسبيحه أو حنينه ولم ينقل أحد من أهل السير والرواية
شيئا من ذلك فدل على سقوط دعواه مع أنه لا ضرورة إليه في
النظر والموفق الله، وروى وكيع رفعه عن فهد بن عطية أن النبي
صلى الله عليه وسلم أتى بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من أنا
فقال رسول الله، وروى عن معمر بن معيقب رأيت من النبي صلى
الله عليه وسلم عجا جئ بصبي يوم ولد فذكر مثله، وهو حديث
مبارك الإمامة ويعرف

(قوله للجبائي) هو أبو على محمد بن عبد الوهاب رئيس المعتزلة في عصره بالبصرة،
قال الذهبي وابن خلكان: وجبى: مدينة ورستاق عريض مشتبك العماير والنخيل
وقصب السكر وغيرها، مات سنة ثلاث وثلاثمائة (*)

[٣٢٠]

بحديث شاصوته اسم راويه وفيه فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم (صدقت بارك الله فيك) ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى
شب فكان يسمى مبارك الإمامة، وكانت هذه القصة بمكة في حجة
الوداع، وعن الحسن أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له
أنه طرح بنية له في وادى كذا فانطلق معه إلى الوادي، ونادها
باسمها يا فلانة أجيبني ياذن الله فخرجت وهي تقول ليبيك وسعديك
فقال لها إن أبويك قد أسلما فإن أحببت أن أردك عليهما قالت لا
حاجة لى فيهما وجدت الله خيرا لى منهما، وعن أنس أن شابا من
الأنصار توفى وله أم عجوز عمياء فسجيناها وعزيناها فقالت مات ابني
قلنا نعم قالت اللهم أن كنت تعلم أتى هاجرت إليك وإلى رسولك
رجاء أن تعينني على كل شدة فلا تحملن على هذه المصيبة فما
برحنا أن كئشفت الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وروى عن عبد الله بن

عبيد الله الأنصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان
قتل باليمامة فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول: محمد رسول الله،
أبو بكر الصديق، عمر الشهيد، عثمان البر الرحيم فنظرنا فإذا هو
ميت، وذكر عن النعمان بن بشير أن زيد بن خزيمة خر ميتا في بعض
أزقة المدينة فرجع وسجى إذ سمعوه

(قوله أن زيد بن خزيمة) بن زيد بن أبي زهير، قال أبو نعيم الأصبهاني خزيمة بن زيد
تكلم بعد الموت ثم قال الصحيح أن الذي تكلم بعد الموت زيد بن خزيمة، كذا قال أبو
عمرو قال الذهبي زيد بن خزيمة المتكلم بعد الموت أبوه، وذلك وهم لأنه قتل يوم أحد
(*)

[٢٢١]

بين العشاءين والنساء يصرخن حوله يقول أنصتوا أنصتوا فحسر عن
وجهه فقال محمد رسول الله النبي الأمي وخاتم النبيين كان ذلك
في الكتاب الأول ثم قال صدق صدق، وذكر أبا بكر وعمر وعثمان ثم
قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما
كان فصل في إبراء المرضى وذوى العاهات أخبرنا أبو الحسن علي
بن مشرف فيما أجازنيه وقرأته على غيره قال حدثنا أبو إسحاق
الجبالي حدثنا أبو محمد بن النحاس حدثنا أبو الورد عن البرقي عن
ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد بن إسحاق حدثنا ابن شهاب
وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقضية أحد بطولها قال
وقالوا قال سعد بن أبي وقاص إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت وأصيب يومئذ

(قوله عن هشام) هو محمد بن عبد الملك بن هشام بن أيوب أصله من البصرة
وتوفى بمصر سنة ثلاث عشرة ومائتين (قوله عن زياد البكائي) يفتح الموحدة وتشديد
الكاف (قوله ابن هشام) هو محمد بن مسلم بن عبدة بن عبد الله الزهري ممن
يروى عنه ابن إسحاق وفي بعض النسخ ابن هشام وليس بصحيح (قوله لا نصل له)
بالنون المفتوحة والصاد المهملة الساكنة (قوله وقد رمى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يومئذ بقوسه) كان له عليه السلام قسي الروحاء والصفراء - من نبع وهو بنون
فموحدة فمهملة شجر من شجر الجبال تتخذ منه القسي ومن أعصانه السهام -
والبيضاء وشوحت أصابها من بنى قينقاع والزوراء والكتوم - لا تخفاض من صوتها إذا
رمى عليها - قيل والسداد قال صاحب الهدى والتي انكسرت في إحدى الغزوات
الكتوم (٢١ - ١) (*)

[٢٢٢]

عين قتاده يعنى ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه وروى قصة قتاده
عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن عمر بن قتاده ورواها أبو
سعيد الخدرى عن قتادة وبصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة
في يوم ذي قرد قال فما ضرب على ولا فاح، وروى النسائي عن
عثمان بن حنيف أن أعمى قال يا رسول الله ادع الله أن يكشف لى
عن بصري قال فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم إني
أسألك وأتوجه إليك بنبي محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك
إلى ربك أن يكشف عن بصري اللهم شفعه في قال فرجع وقد
كشف الله عن بصره، وروى أن ابن ملاعب الأسنه أصابه استسقاء
فبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ بيده حثوة من الأرض
فتفل عليها ثم أعطاها رسوله فأخذها متعجبا يرى أن قد هزئ به
فأتاه بها وهو على الشفا فشربها فشفاه الله،

(قوله في يوم ذي قرد) بفتح القاف والراء ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر، قال ابن سعد كان يوم ذي قرد في ربيع الأول سنة ست وفي البخاري كان قبل خيبر بثلاثة أيام (قوله فاج) بالقاف والحاء المهملة يقال فاج الجرح وقيح إذا حصل فيه المدة التي لا يخالطها دم (قوله وروى النسائي) هو الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب صاحب السنن توفي سنة عشرين وثلاثمائة ولم يتأخر بعد الثلاثمائة من أصحاب الكتب الستة إلا هو (قوله عثمان بن حنيف) بضم الحاء المهملة وفتح النون شهد أحدا وما بعدها وتولى مسح سواد العراق لعمر (قوله على شفا) بفتح الشين المعجمة والقصر يقال أشفى المريض على الموت وما بقى منه إلا شفا أي قليل (*)

[٢٢٣]

وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال فريك أن أباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئاً فنفت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فأبصر فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين، ورمي كلثوم بن الحصين يوم أحد في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرا وتفل على شجة عبد الله بن أنيس فلم تمد، وتفل في عيني على يوم خيبر وكان رمداً فأصبح بارئاً ونفت على ضربة بساق سلمة ابن الأكوع يوم خيبر فبرئت وفي رجل زيد بن معاذ حين أصابها السيف، إلى الكعب حين قتل ابن الأشرف فبرئت وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق إذ انكسرت فبرئت مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى علي بن أبي طالب فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه أو عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد

(قوله وذكر العقيلي) بضم العين المهملة هو الإمام الحافظ أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد المكي صاحب كتاب الضعفاء (قوله كلثوم بن الحصين) بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين (قوله فبرا) يقال براً من المرض يفتح الراء ويرى من الدين بكسرهما (قوله فلم تمد) بضم أوله وكسر ثانيه من أمد الجرح صار فيه مدة (قوله وفي رجل زيد بن معاذ) قيل لم يحضر هذه الواقعة أحد يسمى زيد بن معاذ بل ولا في الصحابة أحد يسمى زيد بن معاذ إلا أن يكون نسب إلى جد له أو إلى خلاف الظاهر والذي خرج في رجله أو في رأسه على الشك من الراوي في قتل كعب بن الأشرف إنما هو الحرث بن أوس بن معاذ بن النعمان وقيل الحرث ابن أوس بن النعمان وقيل هما واحد نسب في أحدهما إلى جده (*)

[٢٢٤]

وقطع أبو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وألصقها فلصقت، رواه ابن وهب * ومن روايته أيضاً أن خبيب بن يساف أصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفت عليه حتى صح، وأتته امرأة من خنعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فأتى بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم أعطاه إياه وأمرها بسقيه ومسه به فبرأ الغلام وعقل عقلاً بفضل عقول الناس * وعن ابن عباس جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود فسعى، وانكفأت القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرأ لحيته وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلمة تمنعه القبض على السيف وعنان

(قوله وقطع أبو جهل) قيل المعروف أن عكرمة بن أبي جهل فعل ذلك بمعاذ ابن عمرو بن الجموع حين ضرب أباه (قوله معوذ) بكسر الواو المشددة وفتحها. صحابي معروف

قتل يوم بدر (قوله خبيب بن إساف) خبيب بضم الخاء المعجمة وفتح الموحدة المخففة وإساف بكسر الهمزة ويقال يساف بالمثلثة التحتية شهد بدرا وأحدا وما بعدهما كان نازلا بالمدينة فتأخر إسلامه حتى سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا فلحقه في الطريق فأسلم وشهد بدرا فضربه رجل على عاتقه يومئذ فمال شقه فتقل صلى الله عليه وسلم على شقه ولا يمه ورده فانطلق فقتل الذي ضربه ثم تزوج ابنه بعبد ذلك فكانت تقول لا عدمت رجلا وشحك هذا الوشاح فيقول لا عدمت رجلا عجل أبك إلى النار (قوله فتع) بالمثلثة والعين المهملة المشددة أي قاء (قوله مثل الجرو) هو بتثنية الجيم ولد الكلب والسبع (قوله ابن حاطب) بالحاء والطاء المهملتين (قوله سلعة) بكسر السين المهملة زيادة تحدث في الجسد كالغدة تكون من قدر الحمصة إلى قدر البطيخة (*)

[٢٢٥]

الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها أثر وسألته جارية طعاما وهو يأكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت إنما أريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه، ولم يكن يسأل شيئا فيمنعه فلما استقر في جوفها ألقى عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها. فصل في إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم (وهذا باب واسع جدا) وإجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة * وقد جاء في حديث حذيفة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولده وولد ولده * حدثنا أبو محمد العتابي بقراءة علي عليه حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن القابسي حدثنا أبو زيد المروري حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا عبد الله بن أبي الأسود حدثنا حرمي حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس رضى الله عنه قال قالت أمي يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له قال اللهم أكثر ما له وولده وبارك له فيما آتيته، ومن رواية عكرمة قال أنس فو الله إن مالي لكثير وإن ولدي

(قوله يطحنها) بفتح الحاء المهملة مضارع طحن بفتحها أيضا (قوله العتابي) بفتح المهملة وتشديد الفوقية (قوله ومن رواية عكرمة) هو ابن حمار الحنفي اليماني يروي عن الهرماس وعن طاوس وطائفة، والهرماس له صحة (*)

[٢٢٦]

وولد ولدي ليعادون اليوم على نحو المائة، وفي رواية فما أعلم أحدا أصاب من رخاء العيش ما أصبت ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا أقول سقطا ولا ولد ولد * ومنه دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت أن أصيب تحته ذهباً وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤس حتى مجلت فيه الأيدي وأخذت كل زوجة ثمانين ألفا وكن أربعا وقيل مائة ألف وقيل بل صولحت إحداهن لأنه طلقها في مرضه على نيف وثمانين ألفا وأوصي بخمسين ألفا بعد صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة أعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل

(قوله ليعادون) بضم المثناة التحتية وتخفيف العين وتشديد الدال المهملتين (قوله سقط) بتثنية السين المهملة والقاف الجنين الذي يسقط قبل تمامه (قوله ما به) في صحيح البخاري قال أنس وحدثني ابنتي أمينة أنه دفن لصلبي مقدم الحاجج البصرة عشرون ومائة انتهى، وكان مقدم الحاجج البصرة سنة خمس وسبعين وكانت وفاة أنس سنة ثلاث وتسعين وقد ولد له بعد مقدم الحاجج أولاد كثيرة ومن كثرة الأولاد ما قال ابن قتيبة وقع إلى الأرض من صلب المهلب بن أبي صفرة ثلاثمائة ولد

وقال بن خلكان في ترجمة تميم بن المعز بن باديس إنه خلف مائة ذكر وستين أنثى (قوله بالفؤوس) بهمزة مضمومة بعد الفاء جمع فأس يسكون الهمزة كراس ورؤس وكأس وكؤس (قوله مجلت) بكسر الجيم وفتحها أي نفلت من العمل وحصل بين الجلد واللحم ماء (قوله وتصدق مرة بغير) بكسر العين المهملة روي الترمذي أن عبد الرحمن بن عوف أوصى لأمهات المؤمنين بحديقة بيعت بأربعمائة ألف وقال عروة بن الزبير أوصى عبد الرحمن بن عوف بخمسين ألف دينار في سبيل الله وقال الزهري أوصى عبد الرحمن لمن بقي من أهل بدر لكل رجل بأربعمائة دينار وكانوا مائة فأخذوها وأخذها عثمان فيمن أخذ وأوصى بألف فرس في سبيل الله (*)

[٢٢٧]

من كل شئ فتصدق بها وبما عليها وبأقنابها وأحلاسها ودعا لمعاوية بالتمكين فنال الخلافة، ولسعد بن أبي وقاص رضى الله عنه أن يجيب الله دعوته فما دعا على أحد إلا استجيب له، ودعا لعز الإسلام بعمر رضى الله عنه أو بأبي جهل فاستجيب له في عمر، وقال ابن مسعود رضى الله عنه ما زلنا أعتزة منذ أسلم عمر، وأصاب الناس في بعض مغازيه عطش فسأله عمر الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم أقلعت ودعا في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا إليه المطر فدعا فصحوا وقال لأبى قتادة أفلح وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة سنة، وقال للنايعة لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفى رواية فكان أحسن الناس ثغرا إذا سقطت له سن نبتت له أخرى وعاش عشرين ومائة وقيل أكثر من هذا، ودعا لابن عباس اللهم فقهِه في الدين وعلمه التأويل فسمى بعد الخبر. وترجمان القرآن، ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئا إلا ربح فيه، ودعا للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر من المال ودعا بمثله لعروة بن أبى الجعد فقال فلقد كنت أقوم بالكناسة

(قوله وقال النايعة) هو الجعدى واسمه قيس بن عبد الله وقيل بالعكس، قال الشعر ثم بقى ثلاثين سنة لا يقوله ثم نبغ فيه فسمى النايعة (قوله الخبر) بكسر الحاء المهملة وفتحها أي العالم (قوله ترجمان) بفتح المثناة الفوقية وضمها وضم الجيم وحكى الجوهري فتح التاء مع فتح الجيم وهو المعبر عن لغة ثانية (قوله فلقد كنت أقوم بالكناسة) بضم الكاف وتخفيف النون مكان بالكوفة وأيضاً الكناسة القمامة الحاصلة من الكنس (*)

[٢٢٨]

فما أرجع حتى أربح أربعين ألفا، وقال البخاري في حديثه فكان لو اشترى التراب ربح فيه، وروى مثل هذا لغرقدة أيضا وندت له ناقة فدعا فجاءه بها إعصار ربح حتى ردها عليه، ودعا لأبى هريرة فأسلمت، ودعا لعلى أن يكفى الحر والقر فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفى الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد، ودعا الله لفاطمة ابنته أن لا يجيعها قالت فما جعت بعد وسأله الطفيل بن عمرو آية لقومه فقال اللهم نور له فسطح له نور بين عينيه فقال يا رب أخاف أن يقولوا مثلة فتحول إلى طرف سوطه فكان يضىء في الليلة المظلمة فسمى ذا النور، ودعا على مضر فأقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا، ودعا على كسرى حين مزق كتابه أن يمزق الله ملكه فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رئاسة في أقطار الدنيا ودعا على صبي قطع عليه الصلاة أن يقطع الله أثره فأقعد، وقال لرجل رآه يأكل بشماله كل بيمينك

(قوله لغرفة) بفتح الغين المعجمة وسكون الراء وفتح القاف والداد المهملة (قوله وندت) بفتح النون والداد المشددة المهملة أي نفرت (قوله ودعا لأبي هريرة) قال ابن الأثير وتبعه الذهبي اسمها ميمنة وقيل ميمونة (قوله والقر) بالقاف المضمومة والراء المشددة البرد (قوله الطفيل) بضم الطاء المهملة وفتح الفاء هو ابن عمرو الدوسي يلقب ذا النور قتل يوم اليمامة، وأصحاب النور أسيد بضم الهمزة بن حضير بضم الحاء المهملة وعباد بن بشر وحمزة بن عمر الأسلمي وقتادة بن النعمان والطفيل بن عمر الدوسي (قوله ودعا على كسرى) هو أبرويز بن هرمز، كذا ذكره السهيلي وغيره (قوله وقال لرجل وأه يأكل بشماله) هو عبد الله بن بسر بضم الموحدة وسكون السين المهملة (*)

[٢٣٩]

فقال: لا استطيع فقال: لا استطعت فلم يرفعها إلي فيه، وقال لعتبة ابن أبي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الأسد، وقال لامرأة أكلت الأسد فأكلها، وحديثه المشهور من رواية عبد الله بن مسعود رضى الله عنه في دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبتهم وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم وقال فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر، ودعا على الحكم بن أبي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم أي لا. فراه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج إلى أن مات، ودعا على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الأرض ثم وورى فلفظته مرات فألقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة - الصد جانب الوادي

(قوله وقال لعتبة) المشهور أن عتبة بن أبي لهب أسلم يوم الفتح وأخوه معتب ولم يهاجرا من مكة وأن عتيبة بن أبي لهب تصغير عتبة هو الذى دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يسلم الله عليه فأكله الأسد وبعضهم قال إن عتيبة هو الذى أسلم وعتيبة هو الذى دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا بنى القاضى كلامه (قوله السلا) يفتح المهملة والقصر هو في الهائم كالمثيمة لبنى آدم وهى الجلدة الرقيقة التى يكون فيها الولد من المواشى إن شقت عن وجه الفضيل ساعة ولادته يفتح وإلا قتلته وكذلك إذا انقطع السلا في البطن فإذا خرج السلا سلمت الناقد وسلم الولد وإن انقطع في بطنها هلكت وهلك الولد (قوله فلقد رأيتهم) أي معظمهم لأن عتبة بن أبي معيط لم يقتل ببدر وإنما حمل منها أسيرا ثم قتل وعمارة بن الوليد هلك على كفره بأرض الحبشة زمن عمر (قوله محلم بن جثامة) محلم بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد اللام المكسورة وجثامة بفتح الجيم وتشديد المثناة قال السهيلي مات في حمص أيام ابن الزبير (قوله بين صدين) بضم الصاد المهملة وفتحها وتشديد الدال المهملة أي جبلين (*)

[٢٣٠]

وجحده رجل بيع فرس وهى التى شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم فرد الفرس بعد النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم إن كان كاذبا فلا تبارك له فيها فأصبحت شاصية برجلها - أي رافعة - وهذا الباب أكثر من أن يحاط به. فصل في كرامته وبركاته وانقلاب الأعيان له فيما لمسه أو باشره صلى الله عليه وسلم أخبرنا أحمد بن محمد حدثنا أبو ذر الهروي إجازة وحدثنا القاضى أبو على سماعا والقاضى أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا حدثنا أبو الوليد القاضى حدثنا أبو ذر الهروي حدثنا أبو محمد وأبو إسحاق وأبو الهيثم قالوا حدثنا الفريرى حدثنا البخاري حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنسي بن مالك رضى الله عنه أن أهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لأبى طلحة كان يقطف أو به قطاف وقال غيره يبطا فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا فكان بعدلا يجارى

(قوله شاصية) بالشين المعجمة والصاد المهملة أي رافعة (قوله حدثنا البخاري حدثنا يزيد بن زريع) كذا في كثير من النسخ وقد سقط واحد بين البخاري ويزيد لأن يزيد شيخ شيخ البخاري والسياق هو عبد الأعلى بن حماد كذا ساقه البخاري في كتاب الجهاد ووقع في بعض النسخ (قوله يقطف) بسكون القاف وضم الطاء المهملة أي ينطو في السير وأما يقطف العنب وغيره فيكسر الطاء قاله الزمخشري في مقدمته (قوله يبطاً) بضم (*)

[٢٣١]

ونخس جمل جابر وكان قد أعيا فنشط حتى كان ما يملك زمامه وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الأشجعي خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك رأسها نشاطاً وباع من بطنها بأثنى عشر ألفاً وركب حماراً قطوفاً لسعد بن عبادة فرده هملاً لا يساير وكانت شعرات من شعره في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالاً إلا رزق النصر وفي الصحيح عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنها أخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها وحدثنا القاضي أبو علي عن شيخه أبي القاسم بن المأمون قال كانت عندنا قصة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون بها وأخذ جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمان رضي الله عنه ليكسره على ركبتيه فصاح الناس به فأخذته فيها الأكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب من فضل وضوئه في بئر قباء فما نزلت بعد ويزق في بئر كانت في دار أنس فلم يكن بالمدينة أعذب

أوله وتشديد الطاء المهملة المفتوحة بعدها همزة (قوله فنشط) بكسر الشين المعجمة في الماضي وفتحها في المستقبل (قوله لجعيل) بضم الجيم وفتح العين المهملة قوله بمخفقة) بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الفاء بعدها قاف هي الدرّة التي يضرب بها (قوله هملاً) بكسر الهاء وسكون الميم وفي آخره جيم، في الصحاح الهملاج من البراذين ومشيها الهملجة فارسي معرب (قوله حبة طيالسة) قال النووي هو بإضافة حبة إلى طيالسة جمع طيلسان يفتح اللام على الشهور (قوله جهجاه) بجيمين أولاهما مفتوحة قال الطبري: المحدثون يزيدون في آخره هاء والصواب جهجا بدون هاء في آخره (*)

[٢٣٢]

منها ومر ماء فسأل عنه فقيل له اسمه بيسان وماءه ملح فقال بل هو نعمان وماءه طيب فطاب وأتى بدلو من ماء زمزم فمخ فيه فصار أطيب من المسك وأعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه وكانا بيكيان عطشا فسكتا وكان لأم مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمننا فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن لا نعصرها ثم دفعها إليها فإذا هي مملوءة سمننا فبأثنيها بنوها يسألونها الأدم وليس عندهم شيء فتعمد إليها فتجد فيها سمننا فكانت تقسيم إدمها حتى عصرتها وكان يتفل في أفواه الصبيان المراضع فيجزههم ريقة إلى الليل ومن ذلك بركة يده فيما لمسها وغرسه لسلمان رضي الله عنه حين كاتبه مواليه على ثلثمائة ودية يغرستها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى أربعين أو قية من ذهب فقام صلى الله عليه وسلم وغرسها له بيده إلا واحدة غرسها غيره فأخذت كلها إلا تلك الواحدة فقلعها النبي صلى الله عليه وسلم وردها فأخذت وفي كتاب اليزار فأطعم النخل من عامه إلا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فاطمعت من عامها وأعطاه مثل بيضة الدجاجة

(قوله يتغل) بكسر الفاء وضمها (قوله أبو قبة) بضم الهمزة على المشهور وبحذفها لغة وهى أربعون درهما والنش بفتح النون وسكون المعجمة عشرون درهما (قوله غرسها عمر) روى أبو عمر ابن عبد البر قصة سلمان وأن الذى غرس الواحدة عمر وروى البخاري في غير صحيحه أن الذى غرسها سلمان فإن قيل ما الجمع بين رواية ابن عبد البر ورواية البخاري ؟ أجب بأن عمر وسلمان اشتراكا في غرس واحدة فأضاف الراوى مرة غرسها لعمر ومرة لسلمان (*)

[٢٢٣]

من ذهب بعد أن أدراها على لسانه فوزن منها لمواليه أربعين أوقية وبقي عنده مثل ما أعطاهم وفى حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سوق شرب أولها وشربت آخرها فما برحت أحد شبعها إذا جعت وربها إذا عطشت وبردها إذا ظمئت وأعطى قتادة بن النعمان وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فإنه سيضئ لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فإذا دخلت بيتك فسترى سوادا فأضربه حتى يخرج فإنه الشيطان فانطلق فأضاه له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة جذل حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صار ما طويل القامة أبيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به الموافق إلى أن استشهد في قتال أهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون ودفعه لعبد الله بن جحش يوم أحد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا ومنه بركته في دور الشياه الحوائل باللبن الكثير كقصة شاة أم معبد وأعنز معاوية ابن ثور وشاة أنس وغنم حليمة مرضعته وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود

(قوله حنش) بحاء مهملة ونون مفتوحتين بعدهما شين معجمة (قوله عرجونا) هو أصل العزق الذى يقطع منه الشماريخ فيمقى على النخل يابسا (قوله لعكاشة) بتشديد الكاف وتخفيفها (قوله وشارفها) الشارف بالشين المعجمة والفاء المسنة من النوق وقيل من الإبل (*)

[٢٢٤]

وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد ومن ذلك تزیده أصحابه سقاء ماء بعد أن أوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه فإذا به لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد بن سلمة ومسح على رأس عمير بن سعد وبرك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب وروى مثل هذه القصص. عن غير واحد منهم السائب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بديه على بطنه وظهرة وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح على رأس قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك وهو ابن مائة سنة ورأسه أبيض وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره أسود فكان يدعى الأغر وروى مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهى ومسح وجه آخر فما زال على وجهه نور ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرأة ووضع يده على رأس حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم ونضح في وجه زينب بنت أم سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امرأة من الجمال ما بها ومسح على رأس

(قوله لم ينز) يقال في الحافر والظلف والسباع نزا ينزو نزوا ونزوانا (قوله أوكاه) بألف بعد الكاف يقال أوكى يوكى كما يقال أعطى يعطى (*)

[٢٣٥]

صبي به عاهة فبراً واستوى شعره ومثله روى في خبر المهلب بن قباله وعلى غير واحد من الصبيان والمرضى والمجانين فبراً، وأناه رجل به أدرة فأمره أن ينضحها بماء من عين مج فيه ففعل فبراً * وعن طاوس لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم بأحد به مس فصك في صدره إلا ذهب المس الجنون، ومج في دلو من بئر ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك، وأخذا قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار وقال شأهت الوجوه فانصرفوا يمسحون الغدى عن أعينهم، وشكا إليه أبو هريرة رضى الله عنه النسيان فأمره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم أمره بضمه ففعل فما نسى شيئاً بعد، وما يروى في هذا كثير وضرب صدر جرير بن عبد الله ودعا له وكان ذكر له أنه لا يثبت على الخيل فصار من أفرس العرب وأثبتهم، ومسح رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميماً ودعا له بالبركة ففرغ الرجال طولاً وتاماً فصل (ومن ذلك ما أطلع عليه من الغيوب وما يكون) والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه

(قوله أدرة) بضم الهمزة وسكون الدال المهملة هي نفخة في الخصية يقال رجل أدر يفتح الهمزة والدال (قوله فصك في صدره) أي ضرب (قوله قبضة) بضم القاف تراب مقبوض (قوله القذا) يفتح القاف والذال المعجمة والقصر هو ما يسقط في العين (قوله دميماً) بالدال المهملة أي قبيحاً (قوله ففرغ) بالفاء والراء والعين المهملة أي طال (*)

[٢٣٦]

المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة روايتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب * حدثنا الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الفهري إجازة وقرأته على غيره قال أبو بكر حدثنا أبو علي التستري حدثنا أبو عمر الهاشمي حدثنا اللؤلؤي حدثنا أبو داود حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشئ فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه ثم قال حذيفة ما أدرى أنسى أصحابي أم تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من فائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته وقال أبو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علماً وقد خرج أهل الصحيح والأئمة ما أعلم به أصحابه صلى الله عليه وسلم عليه مما وعدهم به من الظهور على أعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الأمن حتى تظعن المرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله

(قوله جرير) يفتح الجيم وكسر الراء (قوله من الحيرة) بكسر الحاء المهملة مدينة معروفة عند الكوفة وأخرى عند نيسابور (*)

وأن المدينة ستغزى وتفتح خبير على يدى على في غد يومه وما يفتح الله على أمته من الدنيا ومؤمنون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتون والاختلاف والأهواء وسلوك سبيل من قبلهم افتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها فرقة واحدة وأنها ستكون لهم أنماط ويغدو أحدهم في حلة ويروح في أخرى وتوضع بين يديه صفحة وترفع أخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال آخر الحديث وأنتم اليوم خير منكم يومئذ وأنهم إذا مشوا المطيطاء وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله بأسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده وذكر أن الروم ذات القرون إلى آخر الدهر وبذهاب الأمثل فالأمثل من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن والهرج، وقال (ويل للعرب من شر قد اقترب) وأنه زويت له الأرض فأرى مشارفها ومغاربها وسبيلغ * (هامش) (قوله وإن المدينة ستغزى) بالغين المعجمة والزاي، قال المزى إن الرواية في الحديث بضم الفوقية وبالعين المهملة والراء (قوله أنماط) بفتح الهمزة وسكون النون جمع نمط بفتح النون والميم وهو ضرب من البسط (قوله المطيطاء) بضم الميم وفتح الطاء المهملة وبعدها مثناة تحتية ساكنة وطاء مهملة قال ابن الأثير يمد ويقصر: مشية فيها تبخر ومد البيدين (قوله والخزر) بفتح الخاء المعجمة والزاي وبعدها راء: جنس من الناس (قوله والهرج) بفتح الهاء وسكون الراء بعدها جيم: القتل (قوله زويت) أي ضمت وجمعت (٢٢ - ١) (*)

ملك أمته ما زوى له منها ولذلك كان امتدت في المشارق والمغرب ما بين أرض الهند أقصى المشرق إلى نحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه أمة من الأمم ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك (وقوله) لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن المدينى إلى أنهم العرب لأنهم المختصون بالسقى بالغرب وهى الدلو وغيره يذهب إلى أنهم أهل المغرب وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه * وفى حديث آخر من رواية أبى أمامة (لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قيل يا رسول الله وأين هم؟ قال بيت المقدس) وأخبر بملك بنى أمية وولاية معاوية ووصاه، واتخاذ بنى أمية مال الله دولا، وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم أضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما ينال أهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل على وأن أشقاها الذى يخضب هذه من هذه أي لحيته من رأسه وأنه قسيم النار يدخل أو لياؤه * (هامش) (قوله طنجة) بفتح الطاء المهملة وسكون النون بعدها جيم (قوله ابن المدينى) قال ابن الأثير: المدينى نسبة إلى المدينة المشرفة وأصله منها ثم انتقل إلى البصرة وقال إن الأكثر فيما ينسب إلى المدينة مدنى، وفى الصحاح المدنى نسبة إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم والمدينى نسبة إلى المدينة التى بناها المنصور (قولا دولا) بضم الدال المهملة وفتح الواو جمع دولة بضم الدال وسكون الواو ما يتدال من المال (قوله وأن أشقاها) هو ابن ملجم - بضم الميم وسكون اللام وكسر الجيم - كذا ضبطه النووي في التهذيب (*)

الجنة وأعداؤه النار فكان فيمن عاداه الخوارج والناصية وطائفة ممن ينسب إليه من الروافض كفره وقال يقتل عثمان وهو يقرأ المصحف وأن الله عسى أن يلبسه قميصا وأنهم يريدون خلعه وأنه سيقطر دمه على قوله تعالى (فسيكفيكمهم الله) وأن الفتن لا تظهر مادام عمر حيا وبمحرارية الزبير لعلى وبنجاح كلاب الجواب على بعض أزواجه وأنه يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعد ما كادت فبجحت على عائشة عند خروجها إلى البصرة وأن عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله أصحاب معاوية وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك من الناس وقال في قزمان وقد أبلى مع المسلمين أنه من أهل النار فقتل نفسه، وقال في جماعة فيهم أبو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتا في النار فكان بعضهم يسأل عن بعض فكان سمرة آخرهم موتا هرم وخرف فاصطفى بالنار فاحترق فيها، وقال في حنظلة الغسيل (سلوا زوجته عنه فابى رأيت الملائكة تغسله) فسألوها فقالت إنه خرج جنبا وأعجله الحال عن الغسل قال أبو سعيد رضى الله عنه ووجدنا رأسه يقطر ماء، وقال (الخلافة في قريش ولن يزال هذا الأمر

(قوله والناصية) بالنون والصاد المهملة بعدها موحدة: طائفة يتعبدون ببغض على رضى الله عنه (قوله وبنجاح) بضم النون صوت الكلب (قوله الجواب) بفتح الحاء المهملة وسكون الواو بعدها همزة مفتوحة فموحدة قال ابن الأثير منزل بين البصرة ومكة، وفي الصحاح ماء من مياه العرب على طريق البصرة (قوله قزمان) بالقاف المضمومة والزاي الساكنة: هو الذى قاتل في وقعة أحد قتالا شديدا ثم قتل نفسه (*)

[٢٤٠]

في قريش ما أقاموا الدين (وقال) يكون في ثقيف كذاب ومبير فراوهما الحجاج والمختار، وأن مسيلمة يعقره الله، وأن فاطمة أول أهله لحوقا به، وأنذر بالردة وبأن الخلافة بعده ثلاثون سنة ثم تكون ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن بن على (وقال إن هذا لأمر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوا ثم يكون عتوا وجبروتا وفسادا في الأمة) وأخبر بشأن أويس القرنى وأمرأه يؤخرون الصلاة عن وقتها وسيكون في أمته ثلاثون كذابا فيهم أربع نسوة، وفي حديث آخر ثلاثون دجالا كذابا أحدهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله، وقال (يوشك

(قوله كذاب ومبير) بضم الميم وكسر الموحدة وفى آخره راء: من أبار أي أهلك وفى جامع الترمذي ويقال الكذاب المختار بن أبى عبيد والمبير الحجاج ابن يوسف ثم أسند إلى هاشم بن حسان قال أحصوا من قتل الحجاج صبورا فبلغ مائة ألف وعشرين ألف قتيل، وشرح مسلم اتفاق العلماء على المراد بالكذاب المختار بن أبى عبيد وبالمبير الحجاج بن يوسف انتهى، وكان المختار واليا على الكوفة وكان يلقب بكسيان وإليه نسب الكيسانية وكان خارجيا ثم صار زيدا ثم صار شيعيا وكان يدعو إلى محمد بن الحنفية ومحمد بيرا منه وكان أرسل ابن الأشتر بعسكر إلى ابن زياد وقاتل الحسين وقتله وقتل كل من كان في قتل الحسين ممن قدر عليه ولما ولى مصعب بن الزبير على البصرة من جهة عبد الله بن الزبير قاتل المختار بن عبيد وقتله (قوله ملكا عضوا) الملك بضم الميم والعضوا بفتح العين المهملة وبالضاد المعجمة قال ابن الأثير أي يصيب الرعية منه عسف وظلم حتى كأنهم يعضون منه عضا (قوله عتوا) بضم العين المهملة وتشديد الواو (قوله جبروتا) بفتح الجيم والموحدة (*)

[٢٤١]

أن يكثر فيكم العجم يأكلون فينكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل من فحطان (وقال) خيركم قرنى ثم

الذين يلونهم ثم الذي يلونهم ثم يأتي بعد ذلك قوم يشهون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن (وقال) لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه (وقال) هلاك أمتي على يدي أغيلمة من قريش وقال أبو هريرة راويه لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان وأخبر بظهور القدرية والرافضة وسب آخر هذه الأمة أولها وقلة الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل أمرهم يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة، وأنهم سيلقون بعده أثره، وأخبر بشأن الخوارج وصفتهم والمخدج الذي فيهم وأن سيماهم التحليق وترى

(قوله يأكلون) بمنناة تحتية فهمزة ساكنة (قوله فينكم) بفاء مفتوحة فمناة تحتية ساكنة فهمزة مفتوحة (قوله حتى يسوق الناس بعصاه رجل من فحطان) قال القرطبي في التذكرة لعلة الجهجاه (قوله يشهدون) قيل معناه يشهدون الزور وقيل يحلفون، واليمين تسمى شهادة، ومنه قوله تعالى (فشهادة أحدهم) (قوله لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه) قيل للحسن ما بال زمان عمر بن عبد العزيز بعد زمان الحجاج: فقال لا بد للناس من تنفيس يعني أن الله تعالى ينفس عن عباده وقتا ما ويكشف العلاء فيه عنهم (قوله لو شئت سميتهم) قال القرطبي: منهم والله أعلم يزيد بن معاوية وعبيد الله ابن زياد ومن جرى مجراهم من أحداث ملوك بني أمية (قوله أثره) بضم الهمزة وإسكان المثناة ويفتحهما، قال اليعمرى في سيرته كانت هذه الأثرة زمن معاوية (قوله والمخدج) بضم الميم وسكون الخاء المعجمة بعدها دال مهملة وجيم أي الناقص وكان ناقص اليد (*)

[٢٤٢]

رعاة الغنم رؤس الناس والعراة الحفاء يتبارون في البنيان وأن تلد الأمة ربتها وأن قريشا والأحزاب لا يغزونه أبدا وأنه هو يغزوهم، وأخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد من سكنى البصرة وأنهم يغزون في البحر كالمملوك على الأسرة وأن الدين لو كان منوطا بالثريا لنا له رجال من أبناء فارس وهاجت ريح في غزاته فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا إلى المدينة وجدوا ذلك، وقال لقوم من جلسائه ضرس أحدكم في النار أعظم من أحد قال أبو هريرة فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت أنا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة، وأعلم بالذي غل خرزا من خرز يهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة وحيث هي وناقته حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشأن كتاب حاطب إلى أهل مكة ويقضية عمير مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء عمير النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله وأطلعه

(قوله وأن تلد الأمة ربتها) أي سبتها، أراد به كثرة السراى واتساع الأحوال، فإن ولد الأمة من سيدها كسيدها وقيل العقوق وأن الولد يغلظ على أمه ويستطيل كالسيد (قوله بالموتان) قال ابن الأثير هو على وزن بطلان، الموت الكثير: وقال المصنف ضم الميم لغة تميم وفتحها لغة غيرها (قوله البصرة) يجوز فيه تثنية الموحدة وفي النسب لا يجوز ضمها (قوله وبالذي غل الشملة) هو كركرة قال النووي يقال بفتح الكافين ويكسرهما (قوله وبشأن كتاب حاطب) قيل كان فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم بالله لو صار إليكم وحده لنصره الله عليكم فإنه منجز له ما وعده وقيل كان فيه إن محمدا قد نصر إما إليكم وإما إلى غيركم فعليكم الحذر، ذكرهما السهيلي (*)

[٢٤٣]

رسول الله صلى الله عليه وسلم علي الأمر والسر أسلم: وأخبر بالمال الذي تركه عمه العباس رضى الله عنه عند أم الفضل بعد أن كتبه فقال ما علمه غيري وغيرهما فأسلم، وأعلمه بأنه سيقتل

بأبي بن خلف وفى عتبة بن أبى لهب أنه يأكله كلب الله وعن مصارع أهل بدر فكان كما قال، وقال في الحسن (إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين) ولسعده لعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون) وأخبر بقتل أهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر أو أزيد وبموت النجاشي يوم مات وهو بارضه، وأخبر فيروز إذ ورد عليه رسولاً من كسرى يموت كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة أسلم وأخبر أبا ذر رضى الله عنه بتطير يده كما كان ووجهه في المسجد نائماً فقال له كيف بك إذا أخرجت منه قال أسكن المسجد الحرام قال فإذا أخرجت منه - الحديث - ويعيشه وحده وموته وحده وأخبر أن أسرع أزواجه به لحوقاً أطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة وأخبر بقتل الحسين بالطف، وأخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه، وقال في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه إلى الجنة ففقطعت يده في الجهاد، وقال في الذين كانوا معه على حراء: اثبت

(قوله عند أم الفضل) هي لبابة بنت الحرث زوج العباس أول امرأة أسلمت بعد خديجة وقيل بل أول امرأة أسلمت بعد خديجة فاطمة بنت الخطاب (قوله وبموت النجاشي) وذلك في السنة التاسعة (قوله فكانت زينب بنت جحش) توفيت سنة عشرين أو إحدى وعشرين (قوله بالطف) بتفتح الطاء المهملة وتشديد الفاء موضع بناحية الكوفة (قوله ابن صوحان) بصاد مضمومة وحاء مهملتين (*)

[٢٤٤]

فإنما عليك نبى وصديق وشهيد) فقتل على وعمر وعثمان وطلحة والزبير وطعن سعد رضى الله عنهم، وقال للسراقة كيف بك إذا لبيست سوارى كسرى فلما أتى بهما عمر ألبسهما إياه وقال الحمد لله الذى سلبهما كسرى وألبسهما سراقة وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة تجبى إليها خزائن الأرض يخسف بها يعنى بغداد، وقال سيكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الأمة من فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان دعاوهما واحدة وقال لعمر في سهيل بن عمرو عسى أن يقوم مقاما يسرك يا عمر) فكان كذلك قام بمكة مقام أبى بكر يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم، وقال لخالد حين وجهه لأكيدر (إنك تجده يصيد البقر فوجدت هذه الأمور كلها في حياته وبعد

(قوله قال لسراقة) بضم السين المهملة ابن مالك بن جعشم بضم الجيم والشين المعجمة وهو في الأصل اسم للرجل القصير الغليظ مع شدة (قوله سوارى كسرى) السوار بضم السين المهملة وكسرها (قوله دجلة ودجيل وقطربل والصراة) دجلة بكسر الدال نهر بالعراق ودجيل بضم الدال وفتح الجيم نهر بالأهواز حفره أردشير بن بابك أول ملوك ساسان وهم ملوك الفرس بالمداين وقطربل بضم القاف وسكون الطاء المهملة وضم الراء والباء الموحدة المشددة موضع بالعراق، والصراة بفتح الصاد المهملة نهر بالعراق، وفى بعض الأصول: والهرارة وهى بلدة معروفة (قوله لأكيدر) بضم الهمزة وفتح الكاف، قال الخطيب كان نصرانيا ثم أسلم وقيل بل مات نصرانياً، وقال ابن منده وأبو نعيم في كتابهما في معرفة الصحابة إن أكيدر هذا أسلم وأهدى للنبي صلى الله عليه وسلم حية سيرا فوهبا لعمر قال ابن الأثير: الهدية والمصالحة (*)

[٢٤٥]

موته كما قال صلى الله عليه وسلم إلى ما أحبر به جلساءه من أسرارهم وبواطنهم وأطلع عليه من أسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفى المؤمنين حتى إن كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبر لأخبرته حجارة البطحاء، وإعلامه بصفة

السحر الذى سحره به لبيد بن الأعصم وكونه في مشط ومشافاة في جف طلع نحلة ذكر وأنه ألقى في بئر ذروان فكان كما قال ووجد على تلك الصفة وإعلامه قريشا بأكل الأرضة ما في صحيفتهم التى تظاهروا بها على بنى هاشم وقطعوا بها رحمهم وأنها أبقّت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الإسراء ونعته إياه نعت من عرفه وإعلامهم بغيرهم التى مر عليها في طريقه وإنذارهم بوقت وصولها فكان كله كما قال الى ما أخبر به من الحوادث التى تكون ولم

صحيحان أما الإسلام فغلطا فيه فإنه لم يسلم بلا خلاف بين أهل السير ولما صالحه عليه السلام عاد إلى حصنه وبقي فيه، ثم إن خالدا حاصره زمن أبى بكر فقتله مشركا لنقضه العهد (قوله في مشط) بضم الميم وكسرهما وسكون الشين المعجمة (قوله ومشاقاة) بالفاء عند أبى زيد وهى ما يمشط من الكتان، وبالطاء المهملة عند غيره وهى ما يسقط من الشعر عند التسريح بالمشط، ويقوى هذا أن السحر يكون في شئ من أثر المسحور وذلك هنا ظاهر في المشاطة دون المشاقاة وما أخرجه الدارقطني في السنن أن النبي (ص) كان عنده صبى يهودى يخدمه وأن لبيد بن الأعصم توصل به إلى شئ من أسنان مشط النبي صلى الله عليه وسلم ومشاطة شعره وسحر في ذلك (قوله في جف) بضم الجيم وتشديد: الفاء وعاء الطلع، ويروى في جب بالموحدة أي في داخل (قوله الأرضة) لفتح الهمزة ذبابة تأكل الخشب (*)

[٢٤٦]

تأت بعد منها مظهرت مقدماتها كقوله (عمران بيت المدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية) ومن أشرط الساعة وآيات حلولها وذكر النشرب والحشر وأخبار الأبرار والفجار والجنة والنار وعرضات القيامة. وبحسب هذا الفصل أن يكون ديوانا مفردا يشتمل على أجزاء وحده وفيما أشرنا إليه من نكت الأحاديث التى ذكرناها كفاية وأكثرها في الصحيح وعند الأئمة، فصل في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من آذاه قال الله تعالى (والله يعصمك من الناس) وقال تعالى (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) وقال (أليس الله بكاف عبده) قيل بكاف محمدا صلى الله عليه وسلم أعداءه المشركين وقيل غير هذا وقال (إنا كفييناك المستهزئين) وقال (وإذ يمكر بك الذين كفروا) الآية * أخبرنا القاضى الشهيد أبو على الصدقى بقراءة عليه والفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله المعافرى قال حدثنا أبو الحسين الصيرفى قال حدثنا أبو يعلى البغدادي حدثنا أبو على السنجى حدثنا أبو العباس المروزى حدثنا

(قوله القسطنطينية) قال ابن قرقول هي بضم الطاء الأولى كذا قيدناه عن أهل هذا الشأن (قوله وبحسب هذا) باسكان السين المهملة (قوله المعافرى) بفتح الميم وتخفيف العين المهملة وكسر الفاء حى من اليمن، قاله المصنف (قوله حدثنا أبو الحسين) تصغير حسن وهو المبارك بن عبد الجبار (*)

[٢٤٧]

أبو عيسى الحافظ حدثنا عبد بن حميد حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا الحارث ابن عبيد عن سعيد الجريرى عن عبد الله بن شقيق عن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يجرس حتى نزلت هذه الآية (والله يعصمك من الناس) فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم (يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل) وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة يقبل تحتها فأناه

أعرابي فاحترب سيفه ثم قال من يمنعك مني ؟ فقال: الله عز وجل، فرعدت يد الأعرابي وسقط سيفه وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الآية، وقد رويت هذه القصة في الصحيح وأن غورث بن الحارث صاحب هذه القصة وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عفا عنه فرجع إلى قومه وقال جنكم من عند خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية أنها جرت له يوم بدر وقد انفرد من أصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله وقد روى أنه وقع لها مثلها في غزوة غطفان بذى أمر مع رجل اسمه دعثور

(قوله الجريري) بضم الجيم وفتح الراء نسبة إلى جرير بن عباد (قوله فرعدت) بضم الراء وكسر العين المهملة مبنى للمفعول لم يسمع إلا كذلك وفى بعض النسخ فأرعدت (قوله بذى أمر) بفتح الهمزة والميم بعدها راء موضع من ديار غطفان خرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لجمع محارب قاله ابن الأثير (قوله اسمه دعثور) قال اليعمرى في سيرته وقد تقدم في غزوة ذى أمر خير لرجل يقال له دعثور بن الحارث من بنى محارب نسبة هذا الخبر إلى أن قال والظاهر أن الخبرين واحد انتهى وقال الذهبي في تجريد الصحابة دعثور بن الحارث الغطفانى في حديث عجيب الإسناد، والأشبه أن غورث (*)

[٢٤٨]

ابن الحارث وأن الرجل أسلم فلما رجع إلى قومه الذى أغروه وكان سيدهم وأشجعهم قالوا له أين ما كنت تقول وقد أمكنك فقال إنى نظرت إلى رجل أبيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط السيف فعرفت أنه ملك وأسلمت، قيل وفيه نزلت (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم) الآية * وفى رواية الخطابى أن غورث بن الحارث المحاربي أراد أن يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به إلا وهو قائم على رأسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه من زلحة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده (والزلخة) وجع الظهر وقيل في قصته غير هذا، وذكر أن فيه نزلت (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم) الآية وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الآية استلقى ثم قال من شاء فليخذلني * وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العصاه وهى جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنما

(قوله أن غورث) المشهور أنه بالمعجمة المفتوحة غير مصغر ورواه الخطابى بالتصغير والشك في إجماع الغين وإهمالها (قوله أراد أن يفتك) بالفاء وضم المثناة الفوقية وكسرها أي يأخذ على غرة (قوله منتضيا) بالصاد المعجمة من نض سيفه وأنضاه أي سله (قوله من زلخة) بضم الزاى وتشديد اللام المفتوحة بعدها حاء معجمة قال الخطابى وجع يأخذ في الظهر حتى لا يتحرك معه الإنسان، وقال السهيلي وجع يأخذ الصلب (قوله زلخها) بضم الزاى وكسر اللام مبنى للمفعول (قوله العصاة) بكسر العين المهملة كل شجر يعظم وله شوكة (*)

[٢٤٩]

يطؤها كثيبا أهيل، وذكر ابن إسحاق عنها أنها لما بلغها نزول (تبت يدا أبى لهب) وذكرهما بما ذكرها الله مع زوجها من اللم أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه أبو بكر وفى يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر إلا أبا بكر وأخذ الله تعالى ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت يا أبا بكر أين صاحبك فقد بلغني أنه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، وعن الحكم ابن أبى العاصى قال تواعدنا على النبي صلى الله عليه

وسلم حتى إذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا أنه بقي بتهمة أحد فوقنا مغشياً علينا فما أفقنا حتى قضى صلاته ورجع إلى أهله ثم تواعدنا ليلة أخرى فجننا حتى إذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه، وعن عمر رضى الله عنه تواعدت أنا وأبو جهم ابن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجننا منزلة فسمعنا له فافتتح وقرأ (الحاقة ما الحاقة) إلى (فهل ترى لهم من باقية) فضرب أبو جهم على عضد عمر وقال انج وفرا هاربين فكانت من مقدمات إسلام عمر رضى الله عنه، ومنه العترة المشهورة والكفاية التامة عند ما أخافته قريش وأجمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤسهم وقد ضرب الله تعالى على أبصارهم وذر التراب على رؤسهم وخلص

(قوله أهيل) أي سائلا يقال أهيل الرمل وإنهال إذا سال (قوله فهر) بكسر الفاء هو الحجر ملء الكف وقيل الحجر مطلقا (*)

[٢٥٠]

منهم وحمائته عن رؤيتهم في الغار بما هيا الله له من الآيات ومن العنكبوت الذي نسج عليه حتى قال أمية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما أريكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما أرى أنه قبل أن يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه أحد لما كانت هناك الحمام، وقصته مع سراققة بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي أبي بكر الجعائل فأنذر به فركب فرسه واتبعه حتى إذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائمه فرسه فخر عنها واستقسم بالأزلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر رضى الله عنه يلتفت وقال للنبي صلى الله عليه وسلم أتينا فقال لا تحزن إن الله معنا فساخت ثانية إلى ركبته وخر عنها فزجرها فنهضت ولقواءمها مثل الدخان فناداهم بالأمام فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم أمانا كتبه ابن فهيرة وقيل أبو بكر وأحبرهم بالأخبار

(قوله ما أريكم فيه) أي ما حاجتكم (قوله فركب فرسه) كان اسم هذا الفرس العود قيل وكانت أنثى لقوله في بعض طرق الصحيح فرفعتها تقرب بي (قوله فساخت) بالسین المهلمة والخاء المعجمة أي غاصت في الأرض (قوله بالأزلام) جمع زلم يفتح الزاي واللام ويضم الزاي وفتح اللام وهى القداح بكسر القاف جمع قده بكسرها أيضا وهو عود السهم قبل أن يراش ويركب نصله فإذا فعل ذلك فهو سهم، كانوا يكتبون على زلم افعل وعلى آخر لا تفعل فما خرج لهم عملوا به (قوله ابن فهيرة) بضم الفاء وفتح الهاء وسكون المثناة التحتية قيل كتابه صلى الله عليه وسلم نيف وأربعون = = وأكثرهم ملازمة له زيد بن ثابت ومعاوية بن أبى سفيان بعد الفتح وقيل أبو بكر، وجمع بين القولين بأن ابن فهيرة كتب أولا وكتب الصديق آخر (*)

[٢٥١]

وأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يترك أحدا يلحق بهم فأنصرف يقول للناس كفيتم ماهاها وقيل بل قال لهما أراكما دعوتما على فادعوا لى فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفي خبر آخر أن راعيا عرف خبرهما فخرج يشند يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدرى ما يصنع وأنسى ما خرج له حتى رجع إلى موضعه وجاء، فيما ذكر ابن إسحاق وغيره أبو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده

ويبيسته يده إلى عنقه وأقبل يرجع القهقري إلى خلفه ثم سأله أن يدعو له ففعل فانطلقت يده وكان قد توأعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن شأنه فذكر أنه عرض لي دونه فحل ما رأيت مثله قط هم بي أن يأكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل لو دنا لأخذه، وذكر السمرقندي أن رجلا من بنى المغيرة أتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله علي بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله فرجع إلى أصحابه فلم يبرهم حتى نادوه وذكر أن في هاتين الفضتين نزلت (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا) الآيتين، ومن ذلك ما ذكره ابن إسحاق في قصته إذ خرج لي بنى قريظة

(قوله يشند) أي يدعو (قوله القهقري) هو الرجوع إلى خلف (قوله إذ خرج إلى بنى قريظة) الذي ذكره ابن إسحاق وابن عقيبة وابن سعد وغيرهم من أهل السير أن ذلك كان في بنى النضير وهو سبب غزوهم وأما غزوة بنى قريظة فسببها غزوة الخندق (*)

[٢٥٢]

في أصحابه فجلس إلى جدار بعض أطامهم فانبعث عمرو بن جحاش أحدهم ليطرح عليه وحى فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف إلى المدينة وأعلمهم بقصتهم وقد قيل إن قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم) في هذه القصة نزلت، وحكى السمرقندي أنه خرج إلى بنى النضير يستعين في عقل الكلابيين اللذين قتلها عمرو بن أمية فقال له حبي بن أخطب اجلس يا أبا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وتوأم حبي معهم على قتله فأعلم جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كأنه يريد حاجته حتى دخل المدينة وذكر أهل التفسير معنى الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا يصلى لييطان رقبته فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم أعلموه فأقبل فلما قرب منه ولي هاربا ناكضا على عقبه متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه أشرفت على خندق مملوء نارا كدت أهوى فيه وأبصرت هولا عظما وخفق أجنحة قد ملأت الأرض فقال صلى الله عليه وسلم

(قوله ابن جحاش) بجيم مفتوحة وحاء مهملة مشددة وفي آخره شين معجمة قتل كافرا (قوله حبي) بحاء مضمومة مهملة فمثمناة تحتية مفتوحة فأخرى مشددة (*)

[٢٥٣]

تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم (كلا إن الإنسان ليطغى) إلى آخر السورة، ويروى أن شيبه بن عثمان الحنبي أدركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل أباه وعمه فقال اليوم أدرك ثارى من محمد فلما اختلط الناس أتاه من خلفه ورفع سيفه ليضيه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع إلى شواطئ من نار أسرع من البرق فوليت هاربا وأحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو أبغض الخلق إلى فما رفعها إلا وهو أحب الخلق إلى وقال لي ادن فقاتل فتقدمت أمامه أضرب بسيفي وأقيه بنفسى ولو لقيته أبى تلك الساعة لأوقعت به دونه، وعن فضالة بن عمرو قال أردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح هو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال: أفضالة

؟ قلت نعم، قال (ما كنت تحدث به نفسك ؟) قلت: لا شئ، فضحك واستغفر لى ووضع يده على صدرى فسكن قلبى، فو الله ما رفعها حتى ما خلق الله شئنا أحب إلى منه، ومن مشهور ذلك خير عامر بن الطفيل وأريد بن قيس حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له أنا أشغل عنك وجه محمد فاضربه أنت فلم يره فعل

(قوله الحجى) بفتح الحاء المهملة والجيم بعدها موحدة وباء النسبة إلى حجب الكعبة ويقع في بعض النسخ جمحى وهو غلط (قوله ثارى) أصله بالهمزة وخفف (قوله وأريد) بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الموحدة بعدها دال مهملة، هو أخو لبيد بن ربيعة لأمه، بعث الله عليه صاعقة فأحرقته كافرا، وليد صحابي (٢٣ - ١) (*)

[٢٥٤]

شئنا فلما كله في ذلك قال له والله ما هممت أن أضربه إلا وجدتك بينى وبينه أفأضربك ؟ ومن عصمته له تعالى أن كثيرا من اليهود والكهنة أنذروا به وعينوه لقريش وأخبروهم بسوطته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه أمره، ومن ذلك نصره بالرعب أمامه مسيرة شهر كما قال صلى الله عليه وسلم فصل ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته بأمور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عبادته ومصالح أمته وما كان في الأمم قبله وقصص الأنبياء والرسول والجبابرة والقرون الماضية من لدن آدم إلى زمنه وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعى سيرهم وسرد أنبائهم وأيام الله فيهم وصفات أعيانهم واختلاف آرائهم والمعرفة بمدددهم وأعمارهم وحكم حكماهم ومحااجة كل أمة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم وإعلامهم بأسرار ومخبات علومها وإخبارهم بما كتموه من ذلك وغيره إلى الاحتواء على لغات العرب وغريب ألفاظ فرقتها والإحاطة بضروب فصاحتها والحفظ لأيامها وأمثالها وحكمها ومعانى أشعارها والتخصيص بجوامع كلمها إلى المعرفة بضرب الأمثال الصحيحة والحكم البينة

(قوله بمدددهم) بضم الميم: جمع مدة (*)

[٢٥٥]

لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل إلى تمهيد قواعد الشرع الذى لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعتة على محاسن الأخلاق محامد الآداب وكل شئ مستحسن مفصل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شئنا إلا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به إذا سمع ما يدعو إلى صوبه واستحسنه دون طلب إقامة برهان عليه ثم ما أحل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان به أنفسهم وأعراضهم وأموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والنخوف بالنار أجلا مما لا يعلم علمه ولا يقوم به ولا بعبضه إلا من مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثاقفة بغض هذا إلى الاحتواء على ضروب العلم وفنون المعارف كالطب والعبارة والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك من العلوم مما اتخذ أهل هذه المعارف كلامه صلى الله عليه وسلم فيها قدوة وأصولا في علمهم كقوله صلى الله عليه وسلم (الرؤيا لأول عابر وهى على رجل طائر) وقوله

(الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه ورؤيا تخزين من الشيطان) وقوله (إذا تقارب الزمان لم تكذ رؤيا)

(قوله والعبارة) بكسر العين هي تعبير الرؤيا (قوله وهي على رجل طائر رجل بكسر الراء وسكون الجيم، قال الهروي أي علاي قدر جار وقضاء ماض من خير أو شر وقال ابن الأثير هو من قولهم اقتسموا دارا فطار سهم فلان إلى ناحية كذا يعني أن الرؤيا وهي التي يعبرها المعبر الأول فكانها سقطت ووقعت حيث عبرت كما يسقط الذي يكون على رجل الطائر بأدنى حركة وقال ابن قتيبة أراد أنها غير مستقرة يقال للشئ إذا لم يستقر هو على رجل طائر وبين مخالط طائر وعلى قرن ظبي (قوله إذا تقارب الزمان) قيل هو اقتراب الساعة وقيل تقارب الليل والنهار من الاعتدال (*)

[٢٥٦]

المؤمن تكذب) وقوله (أصل كل داء البردة) وما روى عنه في حديث أبي هريرة رضى الله عنه من قوله (المعدة حوض البدن والعروق إليها واردة) وإن كان هذا حديثا لا نصحه لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه الدارقطني، وقوله (خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشى وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين وفي العود الهندي سبعة أشفية منها ذات الجنب) وقوله (ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن - إلى قوله - فإن كان لا بد فثلت للطعام وثلت للشرب وثلت للنفس) وقوله وقد سئل عن سبأ أرجل هو أم امرأة أم أرض ؟ فقال (رجل ولد عشرة نيا من منهم ستة وثشام أربعة) الحديث بطوله، وكذلك جوابه في نسب قضاة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب إلى سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك، وقوله

(قوله البردة) بفتح الموحدة والراء وبالذال المهملة وهي التخمة وثقل الطعام على المعدة لأن ذلك يبرد المعدة (قوله السموط) بفتح السين المهملة ما يجعل في الأنف من الأدوية (قوله واللدود) بفتح اللام وبدالين مهملتين بينهما واو هو الدواء الذي يصب في أحد جانبي الفم، قاله الجوهرى (قوله والمشى) بفتح الميم وكسر الشين المعجمة بعدها ياء مشددة هو الدواء المسهل لأنه يحمل شاربته على المشى والتردد إلى الخلاء، قاله ابن الأثير (قوله وفي العود الهندي) قيل هو القسط البحري وقيل العود الذي يتبخر به، قاله ابن الأثير (قوله حمير) بكسر المهملة وسكون الميم وفتح المثناة التحتية (*)

[٢٥٧]

(حمير رأس العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها والأرد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربيها وذروتها) وقوله (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض) وقوله (في الحوض زواياه سواء) وقوله في حديث الذكر (وإن الحسننة بعشر أمثالها، فتلك مائة وخمسون على اللسان وألف وخمسمائة في الميزان) وقوله وهو بموضع (نعم موضع الحمام هذا) وقوله (ما بين المشرق والمغرب قبلة) وقوله لعبيبة أو الأقرع أنا أفرس بالخيل منك) وقوله لكاتبه (ضع القلم على أذنك فإنه أذكر للممل) هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم لا يكتب ولكنه أوتى علم كل شئ حتى قد وردت آثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها كقوله (لا تمدوا باسم الله الرحمن الرحيم) رواه أن شعبان من طريق ابن عباس، وقوله في الحديث الآخر الذي يروى عن معاوية أنه كان يكتب بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال له

(قوله مذحج) بسكون الذاك المعجمة وكسر الحاء المهملة، في الصحاح مذحج على وزن مسجد أبو قبيلة من اليمن وهو مذحج بن يحاص بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، قال سيبويه: الميم من نفس الكلمة، وفي القاموس كمجلس: أمه، ولدت مالكا وطيبا أم هما عندها فسموا مذحجا (قوله وغلصمتها) الغلصمة بفتح العين المعجمة وسكون اللام رأس الحلقوم وهو الموضع الثاني في الحلق (قوله كاهلها) الكاهل من الإنسان ما بين كتفيه (قوله وهمدان) بسكون الميم (قوله غاربها) الغارب ما بين السنام والعنق (قوله وذروتها) يضم الذاك المعجمة وكسرها. أي أعلاه (*)

[٢٥٨]

(ألق الذوأة وحرف القلم وأقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم) وهذا وإن لم تصح الرواية أنه صلى الله عليه وسلم كتب فلا يبعد أن يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة * وأما علمه صلى الله عليه وسلم بلغات العرب وحفظه معاني أشعارها فأمر مشهور قد نبهنا على بعضه أول الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات الأمم كقوله في الحديث (سنه سنه) وهى حسنة بالحيشية، وقوله (ويكثر الهرج) وهو القتل بها، وقوله في حديث أبي هريرة (أشكنب درد) أي وجع البطن بالفارسية إلى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه إلا من مارس الدرس والعكوف على الكتاب ومثاقفة أهلها عمرة وهو رجل كما قال الله تعالى أمي لم يكتب ولم يقرأ ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه الأمور ولا عرف هو قبل بشيء منها قال الله تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك)

(قوله ألق الذوأة) بفتح الهمزة وكسر اللام، أي: أصلح مدادها (قوله ولا تعور الميم) يضم المثناة الفوقية، وفتح العين المهملة وتشديد الواو المكسورة (قوله سنه سنه) قال ابن الأثير: وفي رواية سنا سنا بتخفيف نونهما وتشديدهما، وفي أخرى سناه سناه بالتشديد والتخفيف فيهما (قوله الهرج) بفتح الهاء وسكون الراء بعدها جيم (قوله أشكنب درد) بفتح الهمزة وسكون المعجمة وفتح الكاف بعدها نون ساكنة فموحدة كذلك فداين مهملتين أولهما مفتوحة وبينهما راء وأشكنب معناه بالفارسية: البطن، ودرد: الوجع (قوله مثاقفة بمثلثة وفاء ونون تقدم تفسيره *)

[٢٥٩]

الآية: إنما كانت غاية معارف العر بالنسب وأخبار أوائلها والشعر والبيان وإنما حصل ذلك لهم بعد التفرق لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة أهله عنه، وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل إلى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما نصناه إلا قولهم (أساطير الأولين) (وإنما يعلمه بشر) فرد الله قولهم بقوله (لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) ثم ما قالوه مكابرة العيان فإن الذي نسبوا تعليمه إليه إما سلمان أو العبد الرومي وسلمان إما عرفة بعد الهجرة ونزول الكثير من القرآن وظهور ما لا ينعد من الآيات، وأما الرومي فكان أسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم، واختلف في اسمه وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة وكلاهما أعجمي اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة ما أتى به والإتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تأليفه ونظمه فكيف بأعجمي الكن؟ نعم وقد كان سلمان أو بلعام الرومي أو يعيش أو جبر ويسار على اختلافهم في اسمه بين أظهرهم يكلمونهم مدى أعمارهم فهل حكى عن واحد منهم شيء من مثل ما كان يجئ به محمد صلى الله عليه وسلم؟ وهل عرف

(قوله اللد) جمع ألد وهو الشديد الخصومة (قوله اللسن) بضم اللام وإسكان السين المهملة جمع لسن بفتح اللام وكسر المهملة (قوله ألكن) الكنة العجمة في اللسان والعى في الكلام (*)

[٣٦٠]

واحد منهم بمعرفة شئ من ذلك وما منع العدو حينئذ علي كثرة عدده دؤوب طلبه وقوة حسده أن يجلس إلى هذا فيأخذ عنه أيضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان يمزق به من أخبار كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته إلى بلاد أهل الكتاب فيقال إنه استمد منهم بل لم يزل بين أظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة أنبيائهم ثم لم يخرج عن بلادهم إلا في سفرة أو سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير؟ بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقه وعشيرته لم يرغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم واختلاف إلى حبر أو قس أو كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجئ ما أتى به في معجز القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل حجة ومجليا لكل أمر فصل ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم وكراماته وباهر آياته إنباؤه

(قوله كفعل النضر بن الحارث) قتل كافرا صبورا في توجيهه عليه السلام بعد بدر إلى المدينة (قوله يمزق) بضم أوله وفتح ثانيه وسكون الخاء المعجمة بعدها راء مكسورة وقاف في الصحاح أما المخرفة فكلمة مولدة (قوله بين أظهرهم) أي بينهم (قوله إلى حبر) بفتح الحاء المهملة وكسرها (قوله أو قس) بفتح القاف وكسرها وتشديد السين، في الصحاح هو رئيس من رؤس النصارى في الدين والعلم وكذلك القسيس (*)

[٣٦١]

مع الملائكة والجن وإمداد الله له بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثيرا من أصحابه لهم * قال الله تعالى (وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل) الآية وقال (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا) وقال (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم) الأيتين، وقال (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية * حدثنا سفيان بن العاص الفقيه بسماعي عليه حدثنا أبو الليث السمرقندي قال حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا أبو أحمد الجلودى حدثنا ابن سفيان نا مسلم حدثنا عبد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا شعبة عن سلمان الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) قال رأى جبريل عليه السلام في صورته له ستمائة جناح، والخبر في محادثته مع جبريل وإسرافيل وغيرهما من الملائكة وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الإسراء مشهور وقد رأهم بحضرته جماعة من أصحابه في مواطن مختلفة فرأى أصحابه جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأله عن الإسلام والإيمان ورأى ابن عباس وأسامة بن زيد وغيرهما عند جبريل في صورة دحية ورأى سعد على يمينه ويساره جبريل وميكائيل في صورة رجلين عليهما ثياب بيض ومثله

(قوله ابن حبيش) بضم الحاء المهملة وفتح الموحدة وفي آخره شين معجمة هو أبو مريم الأسدي (قوله دحية) بكسر الدال المهملة وفتحها (*)

عن غير واحد، وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها يوم بدر وبعضهم رأى تطاير الرؤس من الكفار ولا يرون الضارب ورأى أبو سفيان بن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض ما يقوم لها شيء وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن حصين وأرى النبي صلى الله عليه وسلم لحمزة جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه ورأى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط، وذكر ابن سعد أن مصعب بن عمير لما قتل يوم أحد أخذ الرابية ملك على صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له (تقدم يا مصعب) فقال له الملك لست بمصعب فعلم أنه ملك، وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال: بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال صلى الله عليه وسلم (نغمة الجن، من أنت؟ قال أنا هامة بن الهيم بن لاقس بن إبليس) فذكر أنه لقي نوحا ومن بعده في حديث طويل وأن النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القرآن، وذكر الواقدي قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التى

(قوله زجر الملائكة) بفتح الزاى وسكون الجيم، في الصحاح الزجر المنع والنهى، وزجر البعير ساقه (قوله برجال الزط) بضم الزاى وتشديد الطاء المهملة قوم من السودان طوال (قوله وأن النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القرآن) في الميزان: وفى حديثه المذكور أنه عليه السلام علمه المرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت والمعوذتين، وقل هو الله أحد (*)

خرجت له ناشرة شعرها عريانة فجزلها بسيفه وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تلك العزى، وقال صلى الله عليه وسلم (إن شيطانا تغلت البارحة ليقطع على صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخى سليمان (رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغي لأحد من بعدى) فرده الله خاسئا، وهذا باب واسع فصل ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته ما ترادفت به الأخبار عن الرهبان والأخبار وعلماء أهل الكتب من صفته وصفة أمته وأسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذى بين كتفيه وما وجد من ذلك في أشعار الموحدين المتقدمين من شعر تبع والأوس بن حارثة وكعب بن لؤى وسفيان بن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذى يزن وغيرهم وما عرف به من أمره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميرى وعلماء يهود وشامول عالمهم

(قوله فجزلها) بالجيم والزاى المفتوحين: أي قطعها (قوله ولؤى بن كعب وفى بعض النسخ كعب بن لؤى وهو الصواب (قوله وقس) بضم القاف وتشديد السين المهملة والإيادى بكسر الهمزة، وإياد حى، وفى الصحاح وقس بن ساعدة الإيادى أسقف نجران وكان أحد حكام العرب (قوله عثكلان) بفتح العين المهملة وسكون المثناة (*)

صاحب تبع من صفته وخبره وما ألقى من ذلك في التوراة والإنجيل مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقله عنهما ثقات من أسلم منهم مثل ابن سلام وابن سعية وابن يامين ومخيريوك وكعب وأشباهم ممن

أسلم من علماء يهود وبخبراء ونسطور الحبشة وصاحب بصرى
وضغاطر وأسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشى ونصارى
الحبشة وأساقف نجران غيرهم ممن أسلم من علماء النصارى وقد
اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصارى ورئيساهم ومقوقس
صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صويا وابن أخطب وأخوه وكعب بن
أسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله الحذ
والنفاسة على البقاء على الشقاء

(قوله وشامول) بالشين المعجمة والميم المضمومة وفى آخره لام (قوله وما ألقى)
بضم الهمزة وكسر الفاء (قوله وابنى سعية) ابني بسكون الموحدة تننية ابن، وسعية
بفتح السين وسكون العين المهملتين بعدهما مثناة تحتية وفى بعض النسخ بنى
سعية بفتح الموحدة جمع ابن وفى سيرة اليعمرى قال ابن اسحاق ثم إن ثعلبة بن
سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد وهم نعر من هذيل ليسوا من قريظة ولا النضر
نسبهم فوق ذلك وهم بنوعم القوم أسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها قريظة على
حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله ومخيرق) بضم الميم وفتح الخاء المعجمة
(قوله ونسطور الحبشة احترز به عن نسطور الشام الذى راه فى رحلته صلى الله
عليه وسلم تاجرا إلى الشام لخديجة (قوله وضغاطر) بالضاد والعين المعجمتين
المفتوحتين بعدها ألف وطاء مهملة وراء هو الأسقف رومى، أسلم على يد دحية
الكلبى وقت الرسلية فقتلوه، ذكره الذهبي فى تجريد الصحابة (قوله والزبير) بفتح
الزاي وكسر الموحدة هو والد عبد الرحمن الذى قتل امرأته بنت وهب إنما معه مثل
هدية الثوب (قوله بن باطيا) بموحدة فألف فطاء مهملة مكسورة فمثناة تحتية، وفى
غير الشفاء بالطاء بلا مد ولا همز (*)

[٣٦٥]

والأخبار فى هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع أسماع اليهود والنصارى بما
ذكر أنه فى كتبهم من صفته وصفة أصحابه واحتج عليهم بما انطوت
عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم ألسنتهم
بيان أمره ودعوتهم إلى المباهلة على الكاذب فما منهم إلا من نفر
عن معارضته وإبداء ما ألزمهم من كتبهم إظهاره ولو وجدوا خلاف
قوله لكان إظهاره أهون عليهم من بذل النفوس والأموال وتخريب
الديار ونبذ القتال وقد قال لهم (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم
صادقين) إلى ما أندر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح
وسواد بن قارب وخنافر وأفعى نجران وجذل بن جدل الكندى وابن
خلصة الدوسى وسعد بن بنت كريب وفاطمة بنت النعمان ومن لا
ينعد كثرة إلى ما ظهر على ألسنته الأصنام من نبوته وحلول

(قوله وشق) بكسر المعجمة وتشديد القاف: كاهن من كهان العرب كان شق إنسان:
يدا واحدة ورجلا واحدة وعينا واحدة (قوله وسطيح) بفتح السين المهملة وكسر الطاء
المهملة بعدها مثناة تحتية ساكنة فحاء مهملة: كاهن بنى ذئب وقال غير واحد ما
كان فيه عظم سوى رأسه، وقال محمد بن حبيب النسابة كان سطيح جسدا يلقى لا
جوارح له فيما يذكرون ولا يقدر على الجلوس إلا إذا غضب انتفخ فجلس (قوله وخنافر)
بضم الخاء المعجمة وتخفيف النون وكسر الفاء أحد كهان حمير أسلم على يد معاذ
(قوله وأفعى) بفتح الهمزة وسكون الفاء وفتح العين المهملة (قوله وجدل) بكسر
الجيم وسكون الذال المعجمة (قوله وابن خلصة) بفتح المعجمة واللام والصاد المهملة
(قوله النعمان) قال المزمى كل اسم على هذه الصيغة فهو بضم النون إلا نعمان بن
قراد فإنه بفتحها (*)

[٣٦٦]

وقت رسالته وسمع من هواتف الجان ومن ذبائح النصب وأجواف
الصور وما وجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له
بالرسالة مكتوبا فى الحجارة والقبور بالخط القديم ما أكثره مشهور
وإسلام من أسلم بسبب ذلك معلوم مذكور فصل ومن ذلك ما ظهر

من الآيات عند مولده وما حكته أمه ومن حضره من العجائب وكونه رافعا رأسه عندما وضعته شاخصا ببصره إلى السماء وما رأته من النور الذي خرج معه عند ولادته وما رأته إذ ذاك أم عثمان ابن أبي العاص من تدلى النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر إلا النور وقول الشفا أم عبد الرحمن بن عوف: لما سقط صلي الله عليه وسلم على يدي واستهل سمعت قائلا يقول رحمك الله وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى قصور الروم. وما تعرفت به حليلة وزوجها ظئراه من بركته ودرور لبنها له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابة وحسن نشأته وما جرى من العجائب ليلة مولده من ارتجاج إيوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار

(قوله وقول الشفا) بكسر الشين المعجمة بعدها فاء وألف مقصورة هي بنت عوف ابن عبد الزهرية من المهاجرات (قوله شرفاته) بضم الشين المعجمة وضم الراء فتحها وإسكانها جمع شرفة بضم الشين وإسكان الراء (قوله وغيض بحيرة طبرية) الغيض مصدر غاض يغيض أي قل، وطبرية مدينة معروفة بالشام ذات حصن في ناحية الأردن (*)

[٣٦٧]

فارس وكان لها ألف عام لم تخدم وأنه كان إذا أكل مع عمه أبي طالب وآله وهو صغير شبعوا ورووا فإذا غاب فأكلوا في غيبته لم يشبعوا وكان سائر ولد أبي طالب يصبحون شعثا ويصبح صلي الله عليه وسلم صقلا دهينا كحيلة قالت أم أيمن حاضنته: ما رأيت صلي الله عليه وسلم شكى جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا * ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع وما نشأ عليه من بغض الأصنام والعفة عن أمور الجاهلية وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى في ستره في الخير المشهور عند بناء الكعبة إذ أخذ إزاره ليحمله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط إلى الأرض حتى رد إزاره عليه فقال له عمه ما بالك؟ فقال (إنى نهيت عن التعري) ومن ذلك إظلال الله وهي داخله في الأرض المقدسة بينها وبين بيت المقدس مرحلتين وبحيرتها معروفة والمعروف بالغيض إنما هو بحيرة ساوة كما هو في بعض النسخ إلا أن يريد المصنف عند خروج يأجوج ومأجوج فإنه ورد أن أوائل يأجوج ومأجوج يشرب بحيرة طبرية ويحى آخرهم فيقول لقد كان بها ماء (قوله لم يخدم) يجوز فيه ضم الميم وفتحها فإنه ورد من باب نصر ينصر وياب علم يعلم (قوله وكان سائر ولد أبي طالب) قال الحريري في درة الغواص في أوهام الخواص ومن أوهامهم الفاضحة وأغلاطهم الواضحة أنهم يستعملون سائر بمعنى الجميع وهو في كلام العرب بمعنى الباقي انتهى، وقال أبو عمرو ابن الصلاح لا يلتفت إلى قول صاحب الصحاح سائر الناس جميعهم فإنه لا يقبل ما يتفرد به، وقال النووي إن سائر بمعنى جميع لغة صحيحة لم يتفرد بها صاحب الصحاح بل ذكرها الجواليقي في شرح أدب الكاتب (قوله حتى في ستره) بفتح السين المهملة وسكون المثناة الفوقية (*)

[٣٦٨]

له بالغمام في سفره. وفي رواية أن خديجة ونساءها رأينه لما قدم وملكأن يطلانه فذكرت ذلك لميسرة فأخبرها أنه رأى ذلك منذ خرج معه في سفره، وقد روى أن حليلة رأت غمامة نطله وهو عندها، وروى ذلك عن أخيه من الرضاعة * ومن ذلك أنه نزل في بعض أسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها وأينعت

هي فأشرفت وتدلّت عليه أغصانها بمحضر من رآه وميل فئ الشجرة إليه في الخير الآخر بحتى أطلته وما ذكر من أنه كان لا ظل شخصه في شمس ولا قمر لأنه كان نورا وأن الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه * ومن ذلك تحبيب الخلوة إليه حتى أوحى إليه. ثم إعلامه بموته ودنو أجله وأن قبره في المدينة وفى بيته وأن بين بيته وبين منبره روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده على ما روينا في بغضها واستئذان ملك الموت عليه ولم يستأذن على غيره قبله وندائهم الذى سمعوه أن لا تنزعوا القميص عنه عند غسله وما روى من تعزية الخضر والملائكة أهل بيته عند موته إلى ما ظهر على أصحابه من كرامته وبركته في حياته وموته كاستسقاء عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته.

(قوله وأبعت) أي أدركت بموتها ونضجت (*)

[٣٦٩]

فصل قال القاضى أبو الفضل رحمه الله قد أتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا من الأحاديث الطوال على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الأحاديث وغريبها على ما صح واشتهر إلا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الأئمة وحذفنا الإسناد في جمهورها طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصى أن يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة * ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم أظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين أحدهما كثرتها وأنه لم يؤت نبى معجزة إلا وعند نبينا مثلها مو ما هو أبلغا منها وقد نبه الناس على ذلك فإن أردته فنأمل فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من الأنبياء تقف على ذلك إن شاء الله، وأما كونها كثيرة فهذا القرآن، وكله معجز وأقل ما يقع الإعجاز فيه عند بعض أئمة المحققين سورة (إنا أعطيناك الكوثر) أو آية في قدرها وذهب بعضهم إلى أن كل آية منه كيف كانت معجزة وزاد آخرون أن كل جملة منتظمة منه معجزة وإن كانت من كلمة أو كلمتين والحق ما ذكرناه أولا لقول تعالى (فأتوا بسورة من مثله) فهو أقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه وإذا كان هذا ففى القرآن من الكلمات نحو

(قوله وفص) بالفاء والصاد المهملة واحد الفصوص، ذكر ابن مالك وغيره أنه مثلث الفاء (قوله وبحسب) بإسكان السين المهملة أي يكفى (٢٤ - ١) (*)

[٣٧٠]

من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد (إنا أعطيناك الكوثر) عشر كلمات فتجزئ القرآن على نسبة عدد كلمات (إنا أعطيناك الكوثر) أزيد من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه، ثم إعجازه كما تقدم بوجهين: طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه إعجاز آخر من الإخبار بعلوم الغائب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن أشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة أخرى ثم وجوه الإعجاز الأخر التى ذكرناها توجب التضعيف، هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد

معجزاته ولا يحوى الحصر براهينه، ثم الأحاديث الواردة والأخبار الصادرة عنه صلى الله عليه وسلم في هذه، الأبواب وعماد على أمره مما أشرنا إلى جملة يبلغ نحواً من هذا * الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم فإن معجزات الرسل كانت بقدر همم أهل زمانهم وبحسب الفن الذى سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى غاية علم أهله السحر بعث إليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وأبطل سحرهم، وكذلك زمن عيسى أغنى ما كان الطب وأوفر ما كان أهله فجاءهم أمر لا يقدرون عليه وأتاهم ما لم يحتسبوه من إحياء الميت وإبراء الأكمه والأبرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الأنبياء، ثم إن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم وحمله معارف العرب وعلومها

[٣٧١]

أربعه: البلاغة والشعر والخبر والكهانة فأنزل الله عليه القرآن الخارق لهذه الأربعة فصول من الفصاحة والإيجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والأسلوب العجيب الذى لم يهتدوا في المنظوم إلى طريقه ولا علموا في أساليب الأوزان منهجه ومن الأخبار عن الكوائن والحوادث والأسرار والمخبات والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وإن كان أعدى العدو فأبطل الكهانة التى تصدق مرة وتكذب عشرة ثم احتجها من أصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الأخبار عن القرون السالفة وأنبياء الأنبياء والأمم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذه العلم عن بعضه على الوجوه التى بسطنها وبيننا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه إلى الفصول الأخر التى ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة إلى يوم القيامة بينة الحجة لكل أمة تاتى لا يخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتأمل وجوه إعجازه إلى ما أخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر عصر ولا زمن إلا ويظهر في صدقه بظهور مخبره على ما أخبر فيتجدد الإيمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان، وللمشاهدة زيادة في اليقين والنفوس أشد طمأنينة إلى عين اليقين منها إلى علم اليقين وإن كان كل عندها حقاً وسائر معجزات الرسل انقرضت

(قوله والكهانة) في الصحاح يقال كهن يكهن كهانة مثل كتب يكتب كتابة قال وإذا أردت أنه صار كاهناً قلت كهن بالضم كهانة بالفتح (قوله ثم احتجها) بيمين فمثناة فوقية فمثلثة أي اقتلعها من أصلها (قوله مخبرة) بسكون المعجمة وفتح الموحدة (*)

[٣٧٢]

بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله فيما حدثنا القاضى الشهيد أبو على حدثنا القاضى أبو الوليد حدثنا أبو ذر حدثنا أبو محمد وأبو إسحاق وأبو الهيثم قالوا حدثنا الفربرى حدثنا البخارى حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا الليث عن سعيد عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ما من الأنبياء نبي إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذى أوتيت وحياً أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة) هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح إن شاء الله وذهب غير واحد من العلماء في تأويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم إلى

معنى آخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن التخيل فيه ولا التحيل عليه ولا التشبيه فإن غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها بأشياء طمعوا في التخيل بها على الضعفاء كألقاء السحرة حبالهم وعصيمهم وشه هذا مما يخيله الساحر أو يتخيل فيه، والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للسحر في التخيل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم أظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب أن يكون شاعرا أو خطيبا بضرب من الحيل والتمويه، والتأويل الأول أخلص وأرضى وفى هذا التأويل الثاني ما يغمض عليه الجفن

(قوله ولا يضمحل) يقال اضمحل السحاب أي تشجع (قوله ما يغمض) بضم المثناة التحتية وتشديد الميم المفتوحة، والجفن بفتح الجيم (*)

[٢٧٢]

ويغضى * وجه ثالث على مذهب من قال بالصرفة وأن المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها أو على أحد مذهبي أهل السنة من أن الإتيان بمثله من جلس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لأن الله تعالى لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا فترك العرب الإتيان بما في مقدورهم أو ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء والسبأ والإذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والأموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد أبين آية للعجز عن الإتيان بمثله والنكول عن معارضته وأنهم منعوا عن شئ هو من جنس مقدورهم، وإلى هذا ذهب الإمام أبو المعالي الجويني وغيره قال وهذا عندنا أبلغ في خرق العادة بالأفعال البديعة في أنفسهما كقلب العصا حية ونحوها فإنه قد يسبق إلى بال الناظر بدارا أن ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزيد معرفة في ذلك الفن وفضل علم إلى أن يرد ذلك صحيح النظر وأما التحدي للخلائق المئين من السنين بكلام من جنس كلامهم لياتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر الداعي على المعارضة ثم عذمها إلا أن منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي آتني أن يمنع الله القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فلو كان ذلك وعجزهم الله تعالى عن القيام لكان ذلك من أبهر آية وأظهر دلالة وبالله التوفيق، وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور آيته على سائر آيات الأنبياء حتى احتاج للعذر عن

(قوله والجلء) بفتح الجيم والمد أي الخروج من البلد (قوله مقدرتهم) بضم الدال وفتحها أي قدرتهم (*)

[٢٧٤]

ذلك بدقة أفهام العرب وذكاء ألبابها ووفور عقولها وأنهم أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب إدراكهم، وغيره من القبط وبنى إسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون أنه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد إيمانهم وعبدوا المسيح مع إجماعهم على

[٢٧٤]

ذلك بدقة أفهام العرب وذكاء ألبابها ووفور عقولها وأنهم أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب إدراكهم، وغيره من القبط وبنى إسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون أنه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد إيمانهم وعبدوا المسيح مع إجماعهم على صلبه (وما قتله وما صلبوه ولكن شبه لهم)، فجاءتهم من الآيات الظاهرة البينة للأبصار بقدر غلط أفهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو ادنى بالذى هو خير، والعرب على جاهليتها أكثرها يعترف بالصانع وإنما كانت تتقرب بالأصنام إلى الله زلفى ومنهم من آمن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء ليه، ولما جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل إدراكهم لأول وهلة معجزته فأمنوا به وازدادوا كل يوم إيمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم وابنائهم في نصرته، وأتى في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج إليه وحقق، لكننا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغنى عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها وبالله استعين وهو حسبي ونعم الوكيل

(قوله من الغباوة) بفتح الغين المعجمة عدم الفطنة (قوله السامري) كان اسمه موسى بن ظفر وكان من عظماء بنى إسرائيل (قوله زبرج) بكسر الزاي بعدها موحدة ساكنة فراء مكسورة فجيهم هي الزينة من وشى أو جوهر أو ذهب ثم بحمد الله الجزء الأول، ويلييه إن شاء الله تعالى الجزء الثاني (*)

[٢٧٤]

ذلك بدقة أفهام العرب وذكاء ألبابها ووفور عقولها وأنهم أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب إدراكهم، وغيره من القبط وبنى إسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون أنه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد إيمانهم وعبدوا المسيح مع إجماعهم على صلبه (وما قتله وما صلبوه ولكن شبه لهم)، فجاءتهم من الآيات الظاهرة البينة للأبصار بقدر غلط أفهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو ادنى بالذى هو خير، والعرب على جاهليتها أكثرها يعترف بالصانع وإنما كانت تتقرب بالأصنام إلى الله زلفى ومنهم من آمن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء ليه، ولما جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل إدراكهم لأول وهلة معجزته فأمنوا به وازدادوا كل يوم إيمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم وابنائهم في نصرته، وأتى في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج إليه وحقق، لكننا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغنى عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها وبالله استعين وهو حسبي ونعم الوكيل

(قوله من الغباوة) بفتح الغين المعجمة عدم الفطنة (قوله السامري) كان اسمه موسى بن ظفر وكان من عظماء بنى إسرائيل (قوله زبرج) بكسر الزاي بعدها موحدة ساكنة فراء مكسورة فجيهم هي الزينة من وشى أو جوهر أو ذهب ثم بحمد الله الجزء الأول، ويلييه إن شاء الله تعالى الجزء الثاني (*)

[٢٧٤]

ذلك بدقة أفهام العرب وذكاء ألبابها ووفور عقولها وأنهم أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب إدراكهم، وغيره من القبط وبنى إسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون أنه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد إيمانهم وعبدوا المسيح مع إجماعهم على صلبه (وما قتله وما صلبوه ولكن شبه لهم)، فجاءتهم من الآيات الظاهرة البينة للأبصار بقدر غلط أفهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو ادنى بالذى هو خير، والعرب على جاهليتها أكثرها يعترف بالصانع وإنما كانت تتقرب بالأصنام إلى الله زلفى ومنهم من آمن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء ليه، ولما جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل إدراكهم لأول وهلة معجزته فأمنوا به وازدادوا كل يوم إيمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم وابنائهم في نصرته، وأتى في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج إليه وحقق، لكننا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغنى عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها وبالله استعين وهو حسبي ونعم الوكيل

(قوله من الغباوة) بفتح الغين المعجمة عدم الفطنة (قوله السامري) كان اسمه موسى بن ظفر وكان من عظماء بنى إسرائيل (قوله زبرج) بكسر الزاي بعدها موحدة ساكنة فراء مكسورة فجيم هي الزينة من وشى أو جوهر أو ذهب ثم بحمد الله الجزء الأول، ويلييه إن شاء الله تعالى الجزء الثاني (*)

[٢٧٤]

ذلك بدقة أفهام العرب وذكاء ألبابها ووفور عقولها وأنهم أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب إدراكهم، وغيره من القبط وبنى إسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون أنه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد إيمانهم وعبدوا المسيح مع إجماعهم على صلبه (وما قتله وما صلبوه ولكن شبه لهم)، فجاءتهم من الآيات الظاهرة البينة للأبصار بقدر غلط أفهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو ادنى بالذى هو خير، والعرب على جاهليتها أكثرها يعترف بالصانع وإنما كانت تتقرب بالأصنام إلى الله زلفى ومنهم من آمن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء ليه، ولما جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل إدراكهم لأول وهلة معجزته فأمنوا به وازدادوا كل يوم إيمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم وابنائهم في نصرته، وأتى في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج إليه وحقق، لكننا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغنى عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها وبالله استعين وهو حسبي ونعم الوكيل

(قوله من الغباوة) بفتح الغين المعجمة عدم الفطنة (قوله السامري) كان اسمه موسى بن ظفر وكان من عظماء بنى إسرائيل (قوله زبرج) بكسر الزاي بعدها موحدة ساكنة فراء مكسورة فجيم هي الزينة من وشى أو جوهر أو ذهب ثم بحمد الله الجزء الأول، ويلييه إن شاء الله تعالى الجزء الثاني (*)

[٢٧٤]

ذلك بدقة أفهام العرب وذكاء ألبابها ووفور عقولها وأنهم أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب إدراكهم، وغيره من القبط وبنى إسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون أنه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد إيمانهم وعبدوا المسيح مع إجماعهم على صلبه (وما قتله وما صلبوه ولكن شبه لهم)، فجاءتهم من الآيات الظاهرة البينة للأبصار بقدر غلط أفهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو ادنى بالذى هو خير، والعرب على جاهليتها أكثرها يعترف بالصانع وإنما كانت تتقرب بالأصنام إلى الله زلفى ومنهم من آمن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء ليه، ولما جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل إدراكهم لأول وهلة معجزته فأمنوا به وازدادوا كل يوم إيمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم وابنائهم في نصرته، وأتى في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج إليه وحقق، لكننا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغنى عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها وبالله استعين وهو حسبي ونعم الوكيل

(قوله من الغباوة) بفتح الغين المعجمة عدم الفطنة (قوله السامري) كان اسمه موسى بن ظفر وكان من عظماء بنى إسرائيل (قوله زبرج) بكسر الزاي بعدها موحدة ساكنة فراء مكسورة فجيهم هي الزينة من وشى أو جوهر أو ذهب ثم بحمد الله الجزء الأول، ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الثاني (*)

[٢٧٤]

ذلك بدقة أفهام العرب وذكاء ألبابها ووفور عقولها وأنهم أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب إدراكهم، وغيره من القبط وبنى إسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون أنه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد إيمانهم وعبدوا المسيح مع إجماعهم على صلبه (وما قتله وما صلبوه ولكن شبه لهم)، فجاءتهم من الآيات الظاهرة البينة للأبصار بقدر غلط أفهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو ادنى بالذى هو خير، والعرب على جاهليتها أكثرها يعترف بالصانع وإنما كانت تتقرب بالأصنام إلى الله زلفى ومنهم من آمن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء ليه، ولما جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل إدراكهم لأول وهلة معجزته فأمنوا به وازدادوا كل يوم إيمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم وابنائهم في نصرته، وأتى في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج إليه وحقق، لكننا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغنى عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها وبالله استعين وهو حسبي ونعم الوكيل

(قوله من الغباوة) بفتح الغين المعجمة عدم الفطنة (قوله السامري) كان اسمه موسى بن ظفر وكان من عظماء بنى إسرائيل (قوله زبرج) بكسر الزاي بعدها موحدة ساكنة فراء مكسورة فجيهم هي الزينة من وشى أو جوهر أو ذهب ثم بحمد الله الجزء الأول، ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الثاني (*)

[٢٧٤]

ذلك بدقة أفهام العرب وذكاء ألبابها ووفور عقولها وأنهم أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب إدراكهم، وغيره من القبط وبنى إسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلّة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون أنه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد إيمانهم وعبدوا المسيح مع إجماعهم على صلبه (وما قتله وما صلبوه ولكن شبه لهم)، فجاءتهم من الآيات الظاهرة البينة للأبصار بقدر غلط أفهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو ادنى بالذى هو خير، والعرب على جاهليتها أكثرها يعترف بالصانع وإنما كانت تتقرب بالأصنام إلى الله زلفى ومنهم من آمن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء ليه، ولما جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل إدراكهم لأول وهلة معجزته فأمنوا به وازدادوا كل يوم إيمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم وابنائهم في نصرته، وأتى في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج إليه وحقق، لكننا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغنى عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها وبالله استعين وهو حسبي ونعم الوكيل

(قوله من الغباوة) بفتح الغين المعجمة عدم الفطنة (قوله السامري) كان اسمه موسى بن ظفر وكان من عظماء بنى إسرائيل (قوله زبرج) بكسر الزاي بعدها موحدة ساكنة فراء مكسورة فجيهم هي الزينة من وشى أو جوهر أو ذهب ثم بحمد الله الجزء الأول، ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الثاني (*)

[٢٧٤]

ذلك بدقة أفهام العرب وذكاء ألبابها ووفور عقولها وأنهم أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب إدراكهم، وغيره من القبط وبنى إسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلّة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون أنه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد إيمانهم وعبدوا المسيح مع إجماعهم على صلبه (وما قتله وما صلبوه ولكن شبه لهم)، فجاءتهم من الآيات الظاهرة البينة للأبصار بقدر غلط أفهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو ادنى بالذى هو خير، والعرب على جاهليتها أكثرها يعترف بالصانع وإنما كانت تتقرب بالأصنام إلى الله زلفى ومنهم من آمن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء ليه، ولما جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل إدراكهم لأول وهلة معجزته فأمنوا به وازدادوا كل يوم إيمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم وابنائهم في نصرته، وأتى في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج إليه وحقق، لكننا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغنى عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها وبالله استعين وهو حسبي ونعم الوكيل

(قوله من الغباوة) بفتح الغين المعجمة عدم الفطنة (قوله السامري) كان اسمه موسى بن ظفر وكان من عظماء بنى إسرائيل (قوله زبرج) بكسر الزاي بعدها موحدة ساكنة فراء مكسورة فجيهم هي الزينة من وشى أو جوهر أو ذهب ثم بحمد الله الجزء الأول، ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الثاني (*)

[٢٧٤]

ذلك بدقة أفهام العرب وذكاء ألبابها ووفور عقولها وأنهم أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب إدراكهم، وغيره من القبط وبنى إسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلّة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون أنه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد إيمانهم وعبدوا المسيح مع إجماعهم على صلبه (وما قتله وما صلبوه ولكن شبه لهم)، فجاءتهم من الآيات الظاهرة البينة للأبصار بقدر غلط أفهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو ادنى بالذى هو خير، والعرب على جاهليتها أكثرها يعترف بالصانع وإنما كانت تتقرب بالأصنام إلى الله زلفى ومنهم من آمن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء ليه، ولما جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل إدراكهم لأول وهلة معجزته فأمنوا به وازدادوا كل يوم إيمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم وابنائهم في نصرته، وأتى في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج إليه وحقق، لكننا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغنى عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها وبالله استعين وهو حسبي ونعم الوكيل

(قوله من الغباوة) بفتح الغين المعجمة عدم الفطنة (قوله السامري) كان اسمه موسى بن ظفر وكان من عظماء بنى إسرائيل (قوله زبرج) بكسر الزاي بعدها موحدة ساكنة فراء مكسورة فميم هي الزينة من وشى أو جوهر أو ذهب ثم بحمد الله الجزء الأول، ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الثاني (*)

[٢٧٤]

ذلك بدقة أفهام العرب وذكاء ألبابها ووفور عقولها وأنهم أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب إدراكهم، وغيره من القبط وبنى إسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلّة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون أنه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد إيمانهم وعبدوا المسيح مع إجماعهم على صلبه (وما قتله وما صلبوه ولكن شبه لهم)، فجاءتهم من الآيات الظاهرة البينة للأبصار بقدر غلط أفهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو ادنى بالذى هو خير، والعرب على جاهليتها أكثرها يعترف بالصانع وإنما كانت تتقرب بالأصنام إلى الله زلفى ومنهم من آمن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء ليه، ولما جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل إدراكهم لأول وهلة معجزته فأمنوا به وازدادوا كل يوم إيمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم وابنائهم في نصرته، وأتى في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج إليه وحقق، لكننا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغنى عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها وبالله استعين وهو حسبي ونعم الوكيل

(قوله من الغباوة) بفتح الغين المعجمة عدم الفطنة (قوله السامري) كان اسمه موسى بن ظفر وكان من عظماء بنى إسرائيل (قوله زبرج) بكسر الزاي بعدها موحدة ساكنة فراء مكسورة فميم هي الزينة من وشى أو جوهر أو ذهب ثم بحمد الله الجزء الأول، ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الثاني (*)
